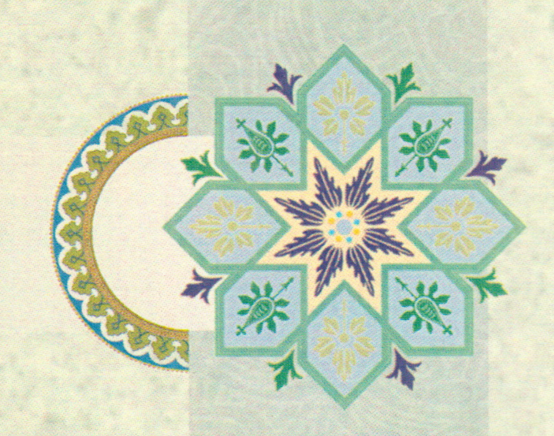


السيد جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ ...

الجزء الرابع



مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي



سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ



دفتر مركزی:

قم - خیابان ارم (آیت الله مرعشی) - کوچه ارک - پلاک ٣٢ - ٣٤.

تلفن: ٠٢٥٣٧٧٣٥٠٠٨

همراه ٠٩٣٣٤٤٩٠١٦٠

فکس: ٠٢٥٣٧٧٤٧٨٥٤

Email: info@al-ameli.com

Website: www.nt-ameli.com

www.al-ameli.com

www.al-ameli.net

www.al-ameli.org

telegram: @alameli

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الرابع





بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

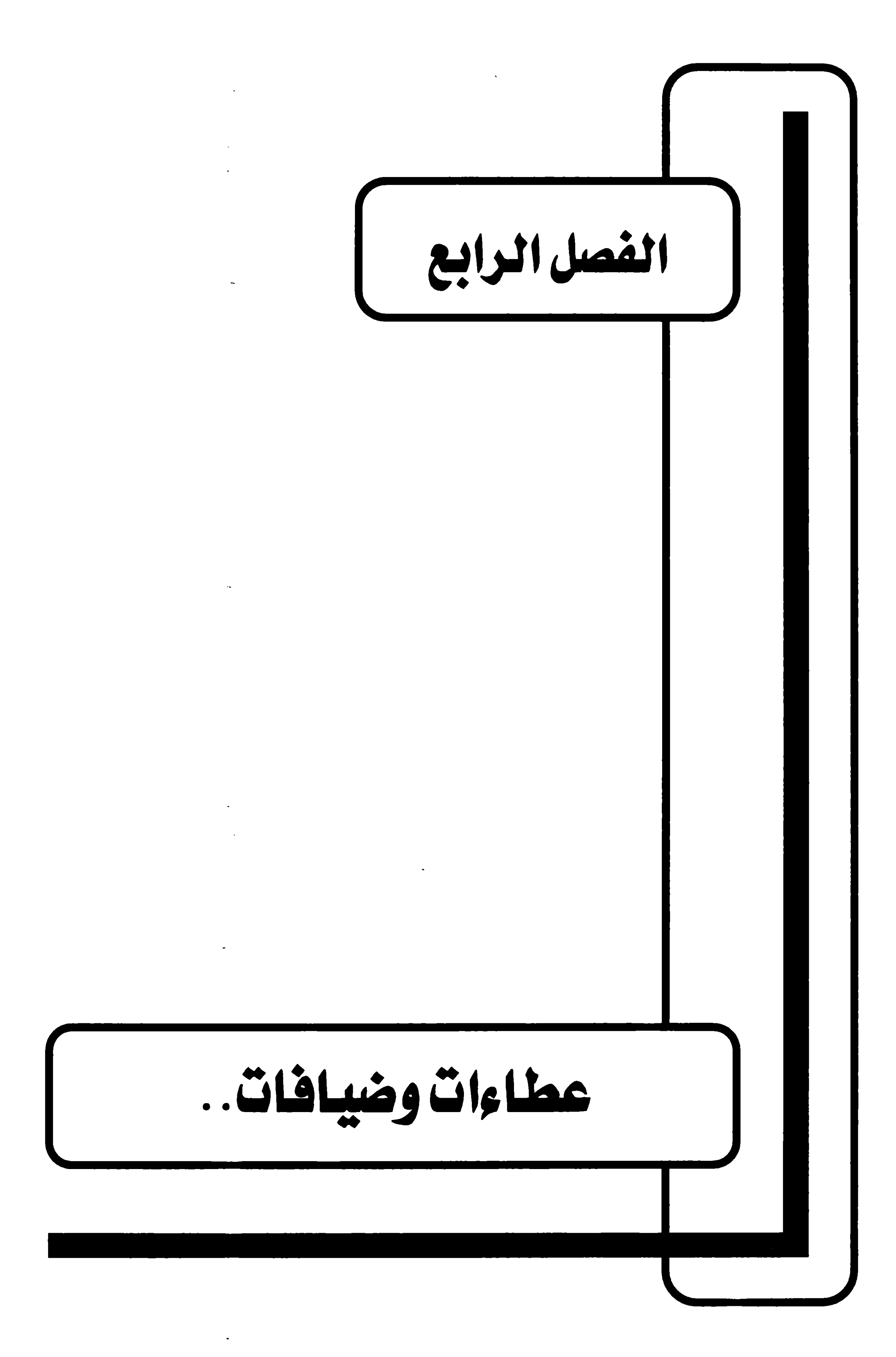
وبعد.. فهذا هو المجلد الرابع من كتابنا: سيرة الإمام الحسن «عليه السلام» في الحديث والتاريخ.. بدأت بكتابته مستعيناً بالله الواحد الأحد، راجياً منه التسديد للصواب، والتوفيق للإتمام، والاستحقاق للتفضل والإنعام.. إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير..

يوم السبت ١/ تموز/ ٢٠١٧ م. ش.

الموافق لـ ٦/ شوال/ ١٤٣٨ هـ. ق.

لبنان ـ جبل عامل ـ عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) قضاء بنت جبيل

جعفر مرتضى الحسيني العاملي



الفصل الرابع

عطاءات وضيافات..

مائدة من الجنة:

قال ابن جرير بن رستم الطبري الصغير ما يلي:

روي عن الصحابة الصادقين: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دخل على فاطمة «عليها السلام»، فقال «صلى الله عليه وآله»: أبوك اليوم ضيفك.

فقالت فاطمة «عليها السلام»: الحسن والحسين «عليهما السلام» يطالبان بشيء من الزاد، ولم يكن شيء في المنزل من القوت..

فدخل أمير المؤمنين، والحسن، والحسين، فجلسوا عنده.

فنظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى السماء ساعة، وإذا بجبرئيل «عليه السلام» قد نزل من السماء، فقال: يا رسول الله! العلي الأعلى يقرئك السلام، ويخصك بالتحية، ويقول لك: قل لعلي بن أبي طالب، ولفاطمة، والحسن، والحسين: أي شيء تطلبون من فواكه الجنة تحضر بين أيديكم؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، يا فاطمة، ويا حسن ويا حسين! أي شيء تشتهون من فواكه الجنة تحضر بين أيديكم؟!

فأمسكوا.

فقال الحسين «عليه السلام»: عن إذنك يا رسول الله، وعن إذنك يا أمير

المؤمنين، وعن إذنك يا سيدة نساء رب العالمين، وعن إذنك يا حسن.

فقالوا جميعاً: نعم، قل يا حسين مما شئت!

فقال: أريد رطباً.

فوافقوا على ذلك.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: قومي يا فاطمة، اعبري المخدع، فأحضري ما فيه..

فإذا فيه مائدة من موائد الجنة، وعليه سندسة خضراء، وفيه رطب جني في غير أوان الرطب.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لفاطمة، وهي حاملة المائدة: من أين لك هذا؟!

قالت: هو من عند الله..

وأخذه النبي «صلى الله عليه وآله» وقدمه بين يديه وسمى.

وأخذ رطبة واحدة [فوضعها] في في الحسين «عليه السلام» وقال: هنيئاً يا حسين.

ثم أخذ رطبة ثانية، فوضعها في في الحسن، وقال: هنيئاً يا حسن.

ثم أخذ رطبة ثالثة، فوضعها في في فاطمة، وقال: هنيئاً يا فاطمة.

ثم أخذ الرابعة، فتركها في في أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم قال: [هنيئاً] يا أمير المؤمنين.

ثم وثب قائماً، ثم جلس، وأخذ رطبة ثانية، ثم وضعها في في أمير المؤمنين

«عليه السلام» وقال: هنيئاً لأمير المؤمنين.

ثم وثب قائماً، ثم جلس، ثم أخذ رطبة ثالثة، فوضعها في في أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم قال: هنيئاً لأمير المؤمنين.

ثم قام وقعد، ثم أكلا جميعاً، وارتفعت المائدة إلى السماء.

فقالت فاطمة «عليها السلام»: لقد رأيت [يا] رسول الله منك اليوم عجباً!

فقال: يا فاطمة [الرطبة] الأولى التي وضعتها في في الحسين سمعت ميكائيل وإسرافيل، يقولان: هنيئاً يا حسين، فقلت موافقاً لهما: هنيئاً يا حسين.

ثم أخذت الرطبة الثانية، فوضعتها في في الحسن، فسمعت جبرئيل وميكائيل يقولان: هنيئاً يا حسن، فقلت موافقاً لهما: هنيئاً يا حسن.

فأخذت الرطبة الثالثة، فوضعتها في فيك، فسمعت الحور العين مشرفين من الجنان، وهنَّ يقلن: هنيئاً يا فاطمة، فقلت موافقا لهن: هنيئاً لك يا فاطمة.

ثم أخذت الرابعة، فوضعتها في في أمير المؤمنين، فسمعت صوت النداء من الحق، يقول: هنيئاً يا علي.. ثم قمت إجلالاً لله تعالى، ثم ثانية، ثم ثالثة، وأسمع صوت الحق هنيئاً يا علي.

[فقمت] إجلالاً لله تعالى ـ ثلاث مرات ـ فسمعت الحق يقول: وعزتي وجلالي، لو ناولت علياً من الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت: هنيئاً هنيئاً[١].

---

(١) نوادر المعجزات ص٧٨ ـ ٨٠ وراجع: بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٠ ـ ٣١٢ والمنتخب للطريحي ج١ ص٢٠ و ٢١ ومدينة المعاجز ج١ ص٣٤٤ ـ ٣٤٦ وج٣ ص٣٠٤ ـ ٣٠٨ و ٥٤٣ ـ ٥٤٦.

ونقول:

كرامات وألطاف:

لا حاجة إلى التذكير: بأن السياسة الإلهية تقضي بتربية حالة وجدانية، تقوم على تكريس معنى التميز لأهل البيت «عليهم السلام»، وإثارة الشعور لدى الناس: بأنهم موضع الرعاية الإلهية، والألطاف الربانية.. الأمر الذي يجعل التعامل معهم يختلف كثيراً عن التعامل مع أي كان من الناس.

وكانت هذه الكرامات التي تحصل لهم، هي الوسيلة الفضلى لرفد الوجدان بهذه المعاني، لأن قِوَام هذه الكرامات: هو ممازجة المعنى الغيبي بالمحسوس، لترسخ المضمون العتيد في العقول والقلوب.. كما يترسخ أي معنى شيَّده الشاهد والدليل، وتلمّسه ورسَّخه عمق حضوره في الحس، الذي هو في العادة، الأشد، والأقوى أثراً في القلب والروح، والمشاعر، حين تتشارك في تلقي رشحاته، وتلقف نفحاته.

ولأجل ذلك نجد النبي «صلى الله عليه وآله»، والأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، يكثرون من إظهار هذه الكرامات، ويلفتون النظر باستمرار إلى هذه الحالات، سواء فيما يرتبط بهم أنفسهم، أو فيما يرتبط بمن يريدون إرشاد الناس إليه، وربطهم به من بعدهم.

وقصة هذه المائدة التي أتحف الله تعالى أهل البيت «عليهم السلام» بها من الجنة، هي واحدة من مئات الموارد التي أريد لها أن تُسهم في تكوين هذه الحالة الوجدانية..

أي شيء يطلبون؟!:

إن الحواريين اقترحوا على عيسى «عليه السلام»: أن ينزِّل الله عليهم

مائدة من السماء، فأنزلها الله عليهم، فكان ذلك سبب وقوع المسخ على الذين لم يفوا منهم بوعودهم ـ كما جاء في روايات أهل البيت «عليهم السلام»[١].

وقد يتوهم البعض: أن ما ذكرته القصة المتقدِّمة يشبه بنحو أو بآخر.. ما حكاه الله تعالى عن أصحاب عيسى، الذين طلبوا منه «عليه السلام» إنزال مائدة عليهم من السماء، وتعهدوا بأمور لم يفِ بها قسم منهم، فاستحقوا العذاب.. ولكن لم يحصل لأهل البيت «عليهم السلام» ـ حسب القصة المتقدم ذكرها ـ ما حصل لأصحاب عيسى مع التشابه بين الواقعتين في ظاهر الأمر.. فلماذا كان ذلك يا ترى؟!

ونجيب:

بأن ثمة بوناً شاسعاً بين هذه القصة وبين قصة الحواريين..

ففي قصة الحواريين كان الحواريون هم الذين اقترحوا إنزال المائدة، بحجة: أنهم يريدون أن تطمئن قلوبهم، ويعلموا: أن عيسى «عليه السلام» قد صدقهم فيما جاءهم به..

وفي هذه القصة، كان الله تعالى هو الذي أرسل جبرئيل ليسألهم عما يطلبونه من فواكه الجنة.. والذي طلب الرطب هو الحسين «عليه السلام»، وهو الأصغر سناً فيهم، حيث لم يكن عمره يزيد على ست سنوات..

بل إن الحسين «عليه السلام» لم يطلب إنزال الرطب باسم الجميع، بل

(١) راجع: البرهان (تفسير) ج١ ص٥١١ و٥١٢.

هو عبَّر عن رغبته الشخصية، فلم يقل: «نريد»، بل قال: أريد..

كما أنه لم يطلب تفويضاً، بل استأذنهم بالكلام قبلهم.

وهم لم يقولوا له: أطلب لنا ولك ما تشاء، بل قالوا له: قل يا حسين، ما شئت..

كما أنه «عليه السلام» لم يطلب ذلك لكي يطمئن قلبه، أو قلبهم إلى صدق جدهم «صلى الله عليه وآله» فيما جاءهم به..

معاناة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام:

ثم إن من يراجع حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، لا يرى أي أثر للبحبوحة المالية في أي مقطع من مقاطع حياتهم، بل كانت حياتهم حياة معاناة وضيق شديد، حتى إن عائشة تقول: «ما شبع آل محمد «عليهم السلام» ثلاثة أيام تباعاً، حتى لحق بالله عز وجل»[١].

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٢٢١ عن مجالس الشيخ ص١٩٦ والأمالي للطوسي ص٣١١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٩٨ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٣٣٢ وراجع: مسند أحمد ج٦ ص١٢٧ و ١٥٦ وج٦ ص١٨٧ و ٢٧٧ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٦ ص٢٠٥ وج٧ ص١٨٠ و ٢٣٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص٢١٧ و ٢١٨ وسنن النسائي ج٧ ص٢٣٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٧ وعمدة القاري ج٢١ ص٥٣ وج٢٣ ص٦١ وتركة النبي لحماد بن إسحاق ص٦١ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص١٥٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١١٠ وشرح مسلم للنووي ج١٣ ص٢١١ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٣ والترغيب والترهيب ج٤ ص١٨٧ وحلية الأبرار ج١ ص٢٣٨.

وكان «صلى الله عليه وآله» يعصب الحجر على بطنه من الجوع[١].

وحين كانوا يحفرون الخندق جاءت الزهراء «عليها السلام» أباها «صلى الله عليهما وآلهما» بكسيرة من خبز، فقال لها: يا فاطمة، أما إنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث[٢].

ولم يقتصر ذلك على حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان هذا هو حال أهل البيت «عليهم السلام» بعده «صلى الله عليه وآله»، كما أوضحه أمير المؤمنين «عليه السلام» في رسالته لعثمان بن حنيف، حينما نمي إليه أنه دعي إلى إحدى الولائم في البصرة حين ولّاه «عليه السلام» عليها..

ومن الواضح: أن الجاهلين، وأهل الدنيا، يعتبرون الجاه، والسلطة والمال كمالات لهم، وهي التي تأتيهم بالمجد، وبأوصاف الفضل والكرامة، والسؤدد، ولا يتحرج أحد من الجاهلين، ومن أقرانهم من أهل الدنيا من إسباغ صفات العلم والقوة، والتقوى، والشرف، والكرم، والشجاعة، وسائر

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٢٧ وبحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٧ وسنن النبي للطباطبائي ص٧٣ والمستطرف للأبشيهي ج٢ ص٤٩١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٢١١ وإحياء علوم الدين ج٧ ص١٠٤ والمحجة البيضاء ج٤ ص١٢٤. وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة حول هذا الموضوع في فصل رؤية الحسين «عليه السلام» تذهب الجوع في كتابنا: سيرة الحسين في الحديث والتاريخ ج٥.

(٢) صحيفة الرضا ص٢٣٧ و ٢٣٨ وبحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٥ وج٢٠ ص٢٤٥ وج٤٣ ص٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٣٣ وراجع: مسند زيد بن علي ص٤٦١.

صفات الخير والصلاح على السلاطين، والمتمولين، والأقوياء.. وإن كانوا من ذلك كله أبرياء، براءة الذئب من دم يوسف.

أما أهل الدين، فيرون: أن طاعة الله، والعلم، والفضل، والتقوى هي الثروة الحقيقية، وهي القوة، والحسب والفضل، والكرامة، والسؤدد، والعزة للإنسان، وما إلى ذلك.

فهؤلاء لا يرون للدنيا بكل ما فيها من زبارج وبهارج قيمة، وهم يقرِّرون هذه الحقيقة، عن قناعة تامة.. ويتخذون قرارهم بملء اختيارهم، بالتفرغ للعمل للآخرة.. وأن لا ينال أحدهم من الدنيا إلا ما فيه كفاف وبلاغ.. وإن حصل على شيء منها يزيد على ذلك، فإنه يؤثر به على نفسه، ويمنحه للمحتاجين إليه، والعاجزين عن الحصول عليه عن رغبة وشوق، لأن ذلك يمنحه البهجة، ويغمر قلبه بالسرور والرضا.

فإذن، كان فقرهم ناشئاً عن البذل والإيثار، والتضحية في سبيل الآخرين، ولم يكن فقرهم ناتجاً عن خمول وكسل، واتكال على جهد الغير، لأنهم يرون هذه الأمور في جملة العاهات المرفوضة والمدانة من أهل الشرع والدين، والشرف والكرامة..

فوائد وعوائد:

والتدبر في هذا الواقع الذي يعيشه الأنبياء، والأئمة وأهل البيت الطاهرون «عليهم السلام»، والأخيار الأبرار المكرمون، المهتدون بهديهم، والمتأسُّون بهم يعطي: أن عزوف هؤلاء عن الدنيا، وفوات لذائذها لا يجعلهم مغبونين، ولا أذلاء، ولا مهانين، ولا عاجزين، أو محتاجين، بل يرون أنهم أعزاء، أقوياء،

وأغنياء بالله، وأن قلوبهم مشرقة بنور عظمته، فياضة بالحكمة، زاخرة بالمعارف، مغمورة بالألطاف والعنايات الربانية.

لأنهم على يقين أن الذي يرعى ويدبر، ويحفظ ويسيطر، ويعطي ويمنع: هو الإرادة، والتدبير الرباني من الإله العليم، والحكيم، والقادر الكريم. وهذا يجعلهم غير مبالين بلذائذ الدنيا، وغير فرحين، ولا مأنوسين بزبارجها، وبهارجها.

لأن العزوف عن الدنيا، وعدم الاهتمام باقتناء الأموال قرار اتَّخذه المؤمن بنفسه عن قناعة ورضى، فهو لا يلتذ بحجم الأموال، بل يلتذ وتنتعش روحه، ويرضى وجدانه بإنفاقها على الفقراء والأيتام، وقضاء حاجات ذوي الحاجات، لينال عند الله بذلك العزة والمقامات والكرامات.

ولأجل ذلك نزلت الآيات في مدح هذا الإنفاق، فراجع آيات سورة «هل أتى» التي نزلت بمناسبة التصدق بأقراص من شعير، وآية الإيثار على الأنفس لمن تكون به خصاصة، وكذلك آية النجوى، وآية إنفاق درهم سراً وآخر جهراً، وثالث ليلاً، ورابع نهاراً، وغير ذلك.

فقد نزلت هذه الآيات وسواها في الثناء على الإنفاق والمنفقين، لتدل الناس على مقام هذا الفقير عند الله، لأنه لم يدَّخر مالاً لنفسه، بل أنفق حتى قوت عياله على الفقراء والمساكين، طلباً لمرضاته تعالى.

وهذا يشير أيضاً إلى مدى تأثير هذا اليسير الذي لا يبالي الكثيرون به في نيل المقامات والكرامات، والسعادة، والنعيم الأبدي به، وهو مجرد درهم، أو قرص شعير، أو شق تمرة يتقي به النار، كما ورد في الحديث.

لكن أموال قارون وكنوزه الكثيرة لم تغن عنه من الله شيئاً، بل تركها مرغماً ليواجه العقوبة الإلهية على بغيه واستكباره، وبقي صفر اليدين من كل تلك الكنوز، حيث خسف الله تعالى به وبداره الأرض، ليعرف الناس كل الناس: أن الرضوان الإلهي أكبر من كل نعيم الدنيا، لأن لذته لا تحول ولا تزول، ولأنها لذة حقيقية، وليست مجرد تصورات وتخيلات للأحجام، والأشكال، والألوان، وما إلى ذلك..

وغاية ما يناله البشر من لذائذ الحياة هو بمقدار ما تستوعبه جوارحهم، وحواسهم الظاهرة كالصوم عن المأكول، والمشروب، والرائحة الطيبة في المشمومات، والحرارة والبرودة والخشونة والليونة في الملموسات، والأصوات العذبة والرقيقة، والمنكرة في المسموعات.. وكذلك الأحجام والأشكال، والألوان في المرئيات.. وهي جوارح محدودة القدرات، معرضة للتلف، مهددة بالأمراض، مشوبة بالمنغصات، والهموم والغموم وما إلى ذلك.

وما عدا ذلك.. كلذة الجاه والمقام، والسلطة، وتوهمات العظمة، وغير ذلك.. فإنها تبقى في دائرة التخيلات والأوهام، والتصورات، وأحلام اليقظة، والافتراضات..

وهي ـ أعني الجوارح الظاهرية ـ متقاربة في قدراتها على الاستيعاب، وفي سائر حالاتها بين جميع البشر، فمن يملك كنوز قارون لا تتجاوز قدراته على استيعاب الملذات، قدرات سائر الناس إلا بالنزر اليسير، الذي لا يستحق كل هذا البغي، والظلم، والطغيان..

ولكن ملذات أهل الإيمان، وآثارها الرضية، والهنية، والزكية، هي رحبة

الآفاق، تملأ محيطهم بالخيرات والبركات، وهي: نامية، زاكية، ودائمة باقية في الدنيا والآخرة.. وهي مصدر عزة، وعنوان كرامة، وشهامة، وزعامة، وإمامة، تستدرج الحب، والمودة، والاحترام، والولاء، والتقديس من العباد، حتى للأولاد والأحفاد.

فاطمة عليها السلام متحيرة:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة ـ كما في بعض مصادرها، كبحار الأنوار ـ: أنها «عليها السلام» حين جاءها النبي «صلى الله عليه وآله» والحسنان، وعلي «عليهم السلام» ليكونوا ضيوفها، قد تحيرت، ولم تدر ما تصنع..

وهذا الأمر غير مقبول في حق الزهراء «عليها السلام»، ويبدو أن الرواة قد تخيلوا ذلك، أو توقعوه منها، ظناً منهم: أن الزهراء «عليها السلام» تتعاطى وتتفاعل مع الأمور كما يتعاملون، وتتصرف كما يتصرفون، وأن ما يعرض لهم من أحوال هو ما يعرض لها..

وليست فاطمة «عليها السلام» كما زعموا، فهي لا تتحير، ولا ترتبك، لأنها تعرف:

١ ـ أن الضيف إذا جاء فنزل بالقوم، جاء برزقه معه من السماء، فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله عليهم[١].

---

(١) الكافي ج٦ ص٢٨٤ وروضة المتقين ج٧ ص٥٤٩ وهداية الأمة للحر العاملي ج٨ ص٩٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٤ ص٣١٧ و (الإسلامية) ج١٦ ص٤٥٩ ومرآة العقول ج٢٢ ص٩٣ والمحجة البيضاء ج٣ ص٣٣ وجامع السعادات ج٢ ص١١٦.

٢ ـ إن الضيف يأتي القوم برزقه، فإذا ارتحل، ارتحل بجميع ذنوبهم[(١)].

٣ ـ وقد كان عيسى، ويوسف «عليهما السلام» ينبئان الناس بما يأكلون، وما يدَّخرون في بيوتهم.. وكان يوسف يخبر الناس بما يأتيهم من طعام يرزقونه قبل أن يأتيهم[(٢)].

٤ ـ هل لم تكن السيدة الزهراء «عليها السلام» تعلم: أن أباها ووصيه لا يعرفون واقع حالها، حين قررا أن يكونا في ضيافتها؟!

٥ ـ ألم تكن «عليها السلام» تعرف: أن أباها «صلى الله عليه وآله» لم يتخذ هذا القرار من عند نفسه.

الخطاب ليس للرسول صلى الله عليه وآله:

وقد رأينا: أن جبرئيل «عليه السلام» لم يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عما يريده من ثمر الجنة، بل طلب منه أن يسأل علياً وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام» عما يطلبونه من ذلك.. فلماذا لم يوجه السؤال إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» أيضاً، كواحد من هذه الجماعة، فإنه أيضاً كان بحاجة إلى الطعام، وهو الذي قرر أن ينزل ضيفاً على فاطمة «عليها السلام»؟!

ويجاب:

أولاً: إن الخطاب لو شمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتوهم

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٤٦٠ و ٤٦١ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٤٩٠ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٢٥٨.

(٢) راجع: الآية ٤٩ من سورة آل عمران، والآية ٣٧ من سورة يوسف.

متوهم، أو شاغب مشاغب، مدَّعياً: أن الله سبحانه إنما أراد بهذه الضيافة إكرام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإظهار فضله ومكانته عند الله.. وقد استفاد الحاضرون من هذه الكرامة، فأكلوا من ثمر الجنة أيضاً تبعاً له.

ولكننا نقول:

إن الله سبحانه يريد أن يكرِّم أهل البيت بهذه المائدة، ويجعلها وسيلة لإظهار فضلهم ومكانتهم عنده، أو هو ـ على الأقل ـ يريد أن يكونوا شركاء لرسول «صلى الله عليه وآله» في هذا المعنى.

ثانياً: إن الرزق الذي يأتيهم من الجنة هو من الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، فقد قال تعالى: **﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾**[1].. وقال سبحانه: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾**[2].

فلو توجَّه الخطاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، لفهم منه: أنه «صلى الله عليه وآله» ليس في موقع المعطي والمتفضل.. بل هو في موقع الآخذ والمستفيد.. ولضاعت هذه الفائدة التي تعطي الرسول فضيلة عظيمة، ومقاماً جليلاً ونبيلاً..

الحسين عليه السلام هو الأصغر سناً:

١ ـ وقد كان الحسين «عليه السلام» هو الأصغر سناً بين الحاضرين،

---

(١) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٥٩ من سورة التوبة.

وهو الذي يُقَدَّم في مقام توزيع الفاكهة عليهم، فيفترض ـ بناء على ذلك ـ: أن يكون هو الذي يختار نوع الفاكهة التي يريدها.. وهذا ما حصل بالفعل.

نقول هذا، لأننا نعلم: أن الأصغر سناً في الجماعة التي تحتاج إلى الرعاية والمعونة، تكون له الأولوية في ذلك، حتى بنظر سائر العقلاء..

٢ ـ **ومن جهة أخرى**: إن الحياء إذا كان قد لحق بعلي وفاطمة، والحسن «عليهم السلام»، فأمسكوا عن التصريح بما يشتهون من ثمر الجنة، فمن المفروض أيضاً: أن يكون هذا الحياء قد لحق بالإمام الحسين أيضاً.. ولكنه بادر إلى الاختيار، لأن امتناع أبويه وأخيه، قد حصر أمر الاختيار به.. لاسيما وأنه سيكون هو أول من يستفيد من تلك الفاكهة بمقتضى ما يرجحه العقلاء، ويدعو إليه الشرع الشريف في مثل هذه الحالات.

أدب الحسنين عليهما السلام:

١ ـ لاحظنا هنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» اختار بسكوته الانضمام إلى أبويه، لإدراكه أن أمر الاختيار سوف ينتهي إلى أخيه، فدلَّ سكوته هذا: على أنه بالرغم من صغر سنِّه مدركٌ لما يجب عمله في موقعه، عارف بالتوجيه الشرعي والعقلائي وملتزم به..

٢ ـ كما أن الحسين «عليه السلام» حين استأذن أبويه وأخاه «عليهم السلام»، وقبل ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يكون قد قرر: أن هؤلاء مقدَّمون عليه، وأن حق الطاعة، والتبجيل والاحترام لهم، ثابت على كل حال، ولا يتناقض مع حق الرعاية والتقديم له ـ لأجل صغر سنه ـ بل هو منسجم معه.

لأن هذه الرعاية والتقديم له لا بد أن تكون بفعل واختيار منهم.. ولأجل ذلك احتاج إلى الاستئذان منهم: بأن يكون هو المتكلم.. فكان ذلك بمثابة الاعتراف بحقهم هذا.. ويكون إذنهم له بمثابة التنازل عن هذا الحق.

على أن المبادرة منه «عليه السلام» إلى الكلام تسبق في وجودها الخارجي ممارستهم حق الرعاية له، فلا تكون ناقضة لها، فهو يحتاج إلى تبرير مبادرته بالكلام، وإعطائه المشروعية والحق في ذلك، من خلال الإذن الذي طلبه منهم.

٣ ـ لاحظنا: أن الحسين «عليه السلام» قد خاطب النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: يا رسول الله، ولم يقل له: يا جداه.. وخاطب أباه بقوله: يا أمير المؤمنين، ولم يقل له: يا أبتاه، وخاطب أمه بقوله: يا سيدة نساء العالمين، ولم يقل لها: يا أماه..

وخاطب أخاه الحسن «عليه السلام» بوصف «الحسن الزكي»، كما في رواية بحار الأنوار، ولم يقل له: يا أخي يا حسن مثلاً..

كل ذلك ليشير إلى تقدمهم عليه في مقاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم.

٤ ـ وبذلك يظهر: أن ما فعله الإمام الحسين «عليه السلام» ليس من مصاديق قوله تعالى: ﴿**لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[1].

أولاً: لأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي طلب من الحسين ـ بالاسم ـ: أن يتكلم، ويخبر بما يريد، كما طلب من غيره، مصرِّحاً بأسمائهم..

---

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

وقد استجاب الإمام الحسين «عليه السلام» لطلب النبي «صلى الله عليه وآله»، فما الضير في ذلك؟!

ثانياً: إن الآخرين قد سكتوا، لأن الحياء قد منعهم، ولم يبادر الحسين «عليه السلام» إلى الكلام بصورة استباقية.. بل طلب منهم أن يأذنوا له بالكلام، وقد أذنوا له.. فأين التعدي منه عليهم بالكلام، ومصادرة دورهم؟!

رمان وتفاح وسفرجل:

عن الحسن البصري، وأم سلمة: أن الحسن والحسين «عليهما السلام» دخلا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين يديه جبرئيل، فجعلا يدوران حوله، يشبهانه بدحية الكلبي، فجعل جبرئيل يومئ بيديه كالمتناول شيئاً، فإذا في يده تفاحة، وسفرجلة، ورمانة.. فناولهما، وتهللت وجوههما، وسعيا إلى جدهما.

فأخذ منهما، فشمها ثم قال: صيرا إلى أمكما بما معكما، وبدؤكما بأبيكما أعجب.

فصارا كما أمرهما، فلم يأكلوا حتى صار النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم، فأكلوا جميعاً، فلم يزل كلما أكل منه عاد إلى ما كان، حتى قبض رسول الله..

قال الحسين «عليه السلام»: فلم يلحقه التغيير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى توفيت.

فلما توفيت، فقدنا الرمان، وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي.

فلما استشهد أمير المؤمنين «عليه السلام» فقد السفرجل، وبقي التفاح على هيئته للحسن حتى مات في سمه.

وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء، فكنت أشمها إذا

عطشت، فيسكن لهب عطشي، فلما اشتد عليَّ العطش عضضتها، وأيقنت بالفناء.

قال علي بن الحسين «عليهما السلام»: سمعته يقول ذلك قبل قتله بساعة، فلما قضى نحبه وجد ريحها في مصرعه، فالتُمِست، فلم يُرَ لها أثر، فبقي ريحها بعد الحسين «عليه السلام».

ولقد زرت قبره، فوجدت ريحها يفوح من قبره، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر، فليلتمس ذلك في أوقات السحر، فإنه يجده إذا كان مخلصاً(١).

ونقول:

اشتباه جبرئيل بدحية:

١ ـ ما زعمته الرواية، من أن الحسنين «عليهما السلام» جعلا يدوران حول جبرئيل، يشبهانه بدحية الكلبي لعله غير دقيق.. فإن دحية لم يكن من المقربين إلى أهل البيت «عليهم السلام»، كما يظهر.

ولماذا لا يأتي جبرئيل بصورة أحد الأخيار الأبرار من أصحابه «صلى

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩١ و ٣٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٩ و ٢٩٠ وج٤٥ ص٩١ و ٩٢ وروضة الواعظين ج١ ص١٥٩ و ١٦٠ ومدينة المعاجز ج٤ ص٤٧ ـ ٥١ وج٣ ص٣٩٢ ـ ٣٩٤ و ٢٦٢ ـ ٢٦٣ وراجع ج٤ ص٢١ ـ ٢٣ وج١ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩ والعوالم ج١٦ ص٨٠ و ٨١ وج١٧ ص٣١٥ والمنتخب للطريحي ج١ ص١٦٢ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٤١١ و ٤١٢.

الله عليه وآله»، أو بصورة رجل من أقاربه وأحبابه، أو بصورة رجل غريب جميل الصورة؟!

٢ ـ إن جبرئيل يمكن أن يأتي إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا يراه أحد من الجالسين حوله..

٣ ـ من أين علموا: أن الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام» قد ظنا: أن جبرئيل هو دحية الكلبي، فلعلهما عرفا أنه جبرئيل على الحقيقة، وتعاملا معه على هذا الأساس.

٤ ـ ألم يكن الملائكة وجبرائيل منهم يحضرون إلى بيوت النبي وأهل بيته، وكان أهل البيت يرونهم ويعرفونهم، ويأخذون من زغبهم، وما إلى ذلك، كما دلت عليه الروايات.. كما أن الملائكة كانت تأتي إلى بيوت الأنبياء السابقين، ويراهم أهلها، ويكلمونهم بما شاؤا.. كما دلت عليه الآيات القرآنية في العديد من المواضع.

فاتضح: أن هذا التوهم من الرواة لا يملك من المبررات، ما يجعله قابلاً للقبول، والاعتماد.

الأنوار الخمسة هم الرمز:

إن التأمل في الرواية المذكورة يعطي: أنها تريد الإيحاء بأمور مهمة، تفيد في حفظ يقين الناس بالحقائق التي يقوم عليها هذا الدين، وسيكون لها الأثر في مسيرته العملية، وفي نشأته الخاتمة والحاسمة التي بدأت ببعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهي المرحلة الأصعب التي أُوذِي فيها الرسول الخاتم «صلى الله عليه

وآله»، وحُورب في نفسه وفي أهل بيته، وكل ما ومن يتصل به بسبب أو بنسب، كأشد ما تكون الحرب في مختلف المجالات.. فنرى مثلاً:

١ ـ اعتمدت هذه الرواية على البيان الإيحائي الذي يلامس الوجدان، ويتفاعل مع الروح، ويسكن شغاف القلب.

٢ ـ إن جبرئيل لا يتصرف أي تصرف من تلقاء نفسه، بل بتوجيه إلهي مباشر وصريح.. ولا بد من وضع إعطائه الرمان والتفاح والسفرجل للحسنين «عليهما السلام» في هذا السياق، وأنه مستند إلى التوجيه الإلهي أيضاً.

٣ ـ إنها دلت على أن هؤلاء الخمسة الذين سيقوم الصرح الشامخ لهذا الدين بجهادهم وجهودهم وتضحياتهم، تتجاوز علاقتهم بالله موضوع الحب والرضا، والتعليم والإرشاد، لتبلغ درجات الرعاية الإلهية إلى حد أن تصبح ثمرات الجنة هي التي يتحفهم الله تعالى بها، لتكون في بيوتهم، وفي متناول أيديهم، وتحت اختيارهم:

٤ ـ إن الفترة التي عاش فيها هؤلاء الصفوة، وتلاشت فيها التفاحة والسفرجلة والرمان هي فترة تأسيس الدين، وحفظ معالمه، ونشر حقائقه، وقد انتهت هذه الفترة باستشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»، حيث أصبح التعامل مع الحكام بعد استشهاده «عليه السلام» من المعونة للظالم على ظلمه، وهو ما لا يجوز لأحد أن يفعله، أو أن يحدث نفسه به.

٥ ـ وقوله «صلى الله عليه وآله»: «وبدؤكما بأبيكما أعجب» يريد «صلى الله عليه وآله» به: أن بدأكما بأمكما يعجبني، ويسرني، ولكن بدأكما بأبيكما أعجب إليَّ، لدلالته على مزيد احترامكما له، ومعرفتكما بفضله، ورعايتكما

لفروض الأدب معه، والوفاء له.

طعام الجنة أمان من الحساب:

عن ابن شاذان، بإسناده، عن زاذان، عن سلمان قال: أتيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فسلمت عليه، ثم دخلت على فاطمة «عليها السلام»، فقالت: يا عبد الله، هذان الحسن والحسين جائعان يبكيان، فخذ بأيديهما، فاخرج بهما إلى جدهما.

فأخذت بأيديهما، وحملتهما حتى أتيت بهما إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

فقال: ما لكما يا حسناي؟!

قالا: نشتهي طعاماً يا رسول الله.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: اللهم أطعمهما ـ ثلاثاً ـ.

قال: فنظرت، فإذا سفرجلة في يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، شبيهة بقلة من قلال هجر، أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد.

ففركها «صلى الله عليه وآله» بإبهامه، فصيرها نصفين، ثم دفع إلى الحسن نصفها، وإلى الحسين نصفها.

فجعلت أنظر إلى النصفين في أيديهما وأنا أشتهيها.

قال: يا سلمان، هذا طعام من الجنة لا يأكله أحد حتى ينجو من الحساب(١).

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٨ ومدينة المعاجز ج١ ص٣٧٥ ـ ٣٧٦ وج٣ ص٥٣٧ ـ ٥٣٨ و ٣١٨ ـ ٣١٩ والعوالم ج١٦ ص٦٢ و ٦٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٩٧ وماءة منقبة لابن شاذان ص١٦١ ـ ١٦٣ ونفس الرحمن في فضائل

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

١ ـ لقد كان بإمكان فاطمة «عليها السلام» أن تأمر الحسنين «عليهما السلام» بالذهاب إلى جدهما، من دون مرافقة سلمان لهما، فجدهما قريب منهما، وهما يعرفان مكانه، ويطيعان والدتهما فيما تأمرهما به..

فهل أرادت أن يرى سلمان ما يكابدانه من ألم الجوع، ليكونا أسوة له ولغيره، وليعرف الناس من خلال هذا التصرف: أن آل محمد، حتى الصغار منهم لم يتعاملوا مع الناس من موقع المستفيد.. بل من موقع المفيد لهم، والحامل لهمومهم، والذي يشعر بمعاناتهم؟! وليكون حتى صغار السن في أهل بيت نبيهم، سلوتهم، وقدوتهم.. وتكون لهم الأسوة بهم، والمخفف لآلامهم، والبلسم لجراحهم.

٢ ـ إن ذلك لا يعني: أن فاطمة «عليها السلام» قد أرسلت ولديها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنها أرادت أن يكونا وسيلتها للحصول على شيء من حطام الدنيا، فهي تعلم أنه «صلى الله عليه وآله» لا يسعى وراء المال، ولا يدخر منه شيئاً لنفسه. ولكنها ربما أرادت أن تستفيد من الوقت أملاً في أن يفتح الله سبحانه على علي «عليه السلام»، بما يدفع سورة الجوع عن أطفاله.

كما أنها ربما أرادت أن يأنس الحسنان بجدهما. ويعوضهما هذا الأنس شعوراً بالراحة، ويمنحهما نشاطاً وقوة، والمزيد من الصبر على الواقع الصعب

سلمان ص٤٣١ و ٤٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٤٥ و ٦٤٦.

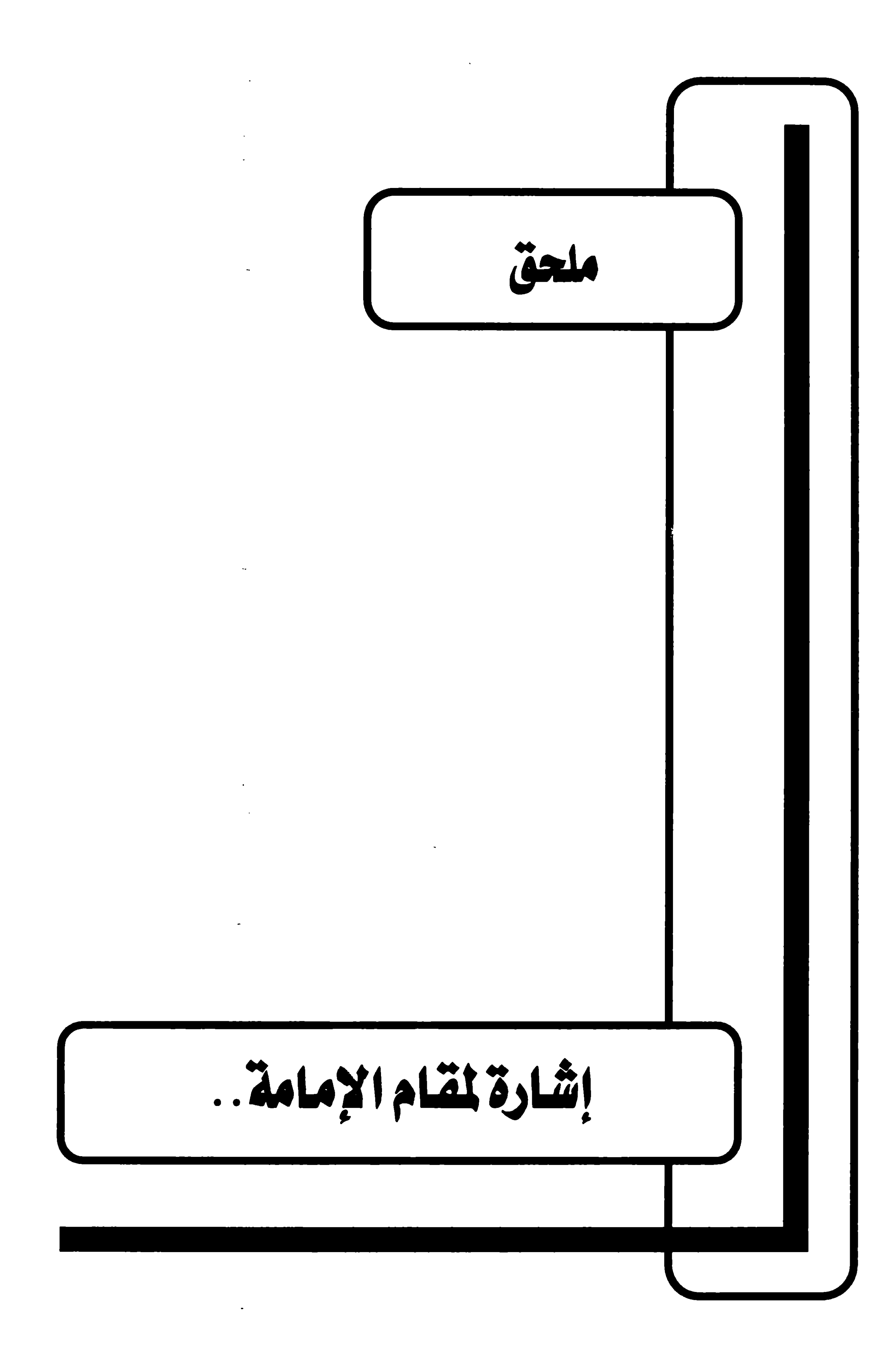
الذي يعيشانه.

كما أنهما يستفيدان من الغذاء الروحي الذي يمنحهما جدهما «صلى الله عليه وآله» إياه، ولتشملهما بركات وجوده، ومحبته وعطفه، ودعائه لهما.

طعام الناجي من الحساب:

وقد رأينا: أن سلمان لم يطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطعمه من تلك السفرجلة.. بل هو قد اكتفى بالنظر إليها، ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرأ رغبة سلمان، فأراد أن يستثمر هذه الرغبة في مجال التربية الروحية لسلمان، الذي كان رجلاً عاقلاً ساعياً للحق، طالباً للنجاة، وراغباً في الكمالات، ولم يزل يحتاج إلى المزيد من الجهاد، والعمل، ومواجهة، المغريات، واجتياز التحديات، وأن يحفظ نفسه من زلة القدم، ولا سيما بعد استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث ستواجه الأمة الارتداد الكبير عن توجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن طاعة أوامره ونواهيه، وسيتعرض المؤمنون إلى شدائد وزلازل هائلة، شديدة الوقع.. قد يعجز كثير من الناس عن تفسير بعض مبهماتها، وفهم بعض حالاتها.

فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يمنح سلمان هذه الشحنة الروحية، لتعطيه المزيد من الصلابة في الدين، والقوة في الحق، والثبات في الموقف، لأن ذلك هو الذي ينجيه من الحساب، ويؤهله للأكل من ثمر الجنة.. وإذا كان سلمان، الذي كان في الدرجة العاشرة من الإيمان، يحتاج إلى هذا التذكير والتثبيت، فما بالك بغيره، ممن لم يبلغ درجته؟!



ملحق

إشارة لمقام الإمامة..

تحايا ذات مغزى:

١ ـ عن ابن عباس وأبي رافع، قالا: كنا جلوساً مع النبي «صلى الله عليه وآله»، إذ هبط عليه جبرئيل ومعه جام من البلور الأحمر، مملوءاً مسكاً وعنبراً، فقال له: السلام عليك! الله يقرأ عليك السلام، ويحييك بهذه التحية، ويأمرك أن تحيي بها علياً وولديه.

فلما صارت في كف النبي «صلى الله عليه وآله»، هللت ثلاثاً، وكبرت ثلاثاً، ثم قال بلسان ذرب: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم * طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾**[1]، فأشمها النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم حيى بها علياً.

فلما صارت في كف علي قالت: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[2]، فأشمها علي وحيى بها الحسن.

فلما صارت في كف الحسن قالت: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم * عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**

---

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة طه.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾(١) فأشمها الحسن وحيى بها الحسين.

فلما صارت في كف الحسين قالت: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٢).

ثم ردت إلى النبي فقالت: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٣).

فلم أدر، على السماء صعدت، أم في الأرض نزلت بقدرة الله تعالى(٤).

بيان: ذرابة اللسان: حدته.

٢ ـ عن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان، بإسناده عن ابن عبّاس قال:

كنت جالساً بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم، وبين يديه عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»، وفاطمة، والحسن، والحسين، «عليهم

---

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة النبأ.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٣٥ من سورة النور.

(٤) راجع: الأمالي للطوسي ص٣٥٥ ـ ٣٥٧ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٢٩ و ٣٠ و (ط مؤسسة البعثة) ج٣ ص٧٤٩ ومدينة المعاجز ج٣ ص٥٣٤ ـ ٥٣٥ و ٣١٤ ـ ٣١٥ وج١ ص١٥٢ ـ ١٥٤ ونور الثقلين ج٤ ص٥٧٤ وج٣ ص٣٦٧ وج٥ ص٤٩٢ وإثبات الهداة ج١ ص٣٠٦ و ٣٠٧ وكنز الدقائق ج١١ ص٥٠٤ و ٥٠٥ وج١٤ ص٩٥ و ٩٦ وج٨ ص٢٨٥ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٠٠ وج٤٣ ص٢٩٠ عن أمالي أبي الفتح الحفار، ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٢ والمنتخب للطريحي ج٢ ص٤١٢ والعوالم ج١٦ ص٧٩ وموسوعة الإمام الحسين ج٢١ ص١٣٧٩ ـ ١٣٨١.

السلام»، إذ هبط عليه جبرئيل «عليه السلام» وبيده تفّاحة.. فحيّا بها النّبيّ «صلى الله عليه وآله»، وحيّا بها النّبيّ عليّاً، فتحيّا بها عليّ «عليه السلام» وردّها إلى النّبيّ «صلى الله عليه وآله»، فتحيّا بها النّبيّ وحيّا بها الحسن «عليه السلام»، فقبّلها وردّها إلى النّبيّ «صلى الله عليه وآله»، فتحيّا بها النّبيّ وحيّا بها الحسين، فتحيّا بها الحسين وقبّلها وردّها إلى النّبيّ «صلى الله عليه وآله»، فتحيّا بها النّبيّ «صلى الله عليه وآله» وحيّا بها فاطمة، فقبّلتها وردّتها إلى النّبيّ «صلى الله عليه وآله».

فتحيّا بها الرابعة، وحيّا بها عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»، فتحيّا بها عليّ بن أبي طالب «عليه السلام». فلمّا همّ أن يردّها إلى النّبيّ «صلى الله عليه وآله»، سقطت التّفّاحة من أطراف أنامله، فانفلقت بنصفين، فسطع منها نور حتّى بلغ إلى السماء الدّنيا، فإذا عليها سطران مكتوبان:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، تحيّة من الله [تعالى] إلى محمّد المصطفى، وعليّ المرتضى، وفاطمة الزّهراء، والحسن والحسين سبطي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمان لمحبّيهم يوم القيامة من النّار(١).

---

(١) الأمالي للصدوق ص٥٩٦ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣١٦ ـ ٣١٧ و ٥٣٥ ـ ٥٣٧ وج١ ص٣٦٩ ـ ٣٧١ والعوالم ج١٦ ص٦٢ والمنتخب للطريحي ج١ ص١٠٣ وماءة منقبة لابن شاذان ص٢٦ ـ ٢٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٩٥ وجلاء العيون للمجلسي ص٣٩٨ ـ ٣٩٩ وناسخ التواريخ ج١٠ ص٩٨ و ٩٩ و ١٥٩ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٩٩ وج٤٣ ص٣٠٧ ـ ٣٠٨ عن بعض كتب المناقب القديمة، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص١٩٢ و ١٩٣.

ونقول:

توطئة تتضمن أموراً:

أولها: إن هناك أموراً أعتبرت فضائل، أو كرامات لأشخاص بأعيانهم، مع أنها ترمي في واقع الأمر إلى بيان ما هو أبعد من مجرد الثناء والتشريف والتكريم، لتكون التأكيد العملي، وبيان اقتران الدعوى بالشاهد والدليل على أن الشخص المعنيّ بها لديه خصائص وميزات عالية، تؤهله لمقامات رفيعة، وتحمِّله مسؤوليات جسام، منحته تلك الميزات القدرة على الاضطلاع بها، وانجازها على أكمل وجه وأتمه..

ويشير إلى ذلك أن أنبياءنا ورسلنا وأئمتنا، ليس من وظائفهم ومسؤولياتهم الثناء على الأشخاص، إلا إذا كان ذلك في خدمة الرسالة التي يريد الله لهم أن يقوموا بأعبائها..

الثاني: إن الرسل والأنبياء ينفذون ما يأمرهم الله تعالى به، ولا يقدمون على أمر خارج دائرة طاعته.. فكيف إذا كان النص يحمل معه التصريح بأن رب العزة هو الذي يريد هذا الأمر منهم؟!

فالرواية المتقدمة تقول: إن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «الله يقرأ عليك السلام، ويحييك بهذه التحية، ويأمرك أن تحيي بها علياً وولديه».

الثالث: إن عدم ذكر الزهراء «عليها السلام» في رواية ابن عباس، وأبي رافع المتقدمة ربما كان لأجل أن المطلوب هو التأكيد على مقام الإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كما أظهرته الآيات التي نطقت بها وسيلة

التحية، حين شمها علي والحسن والحسين «عليهم السلام».. ولم تكن الزهراء «عليها السلام» من الأئمة «عليهم السلام».

الرابع: إن الفترة التي سيتولى هؤلاء الأئمة الثلاثة شؤون الإمامة فيها ستكون فترة عصيبة، ومليئة بالمزالق والمخاطر، كما ألمحنا إليه في نهايات الفصل السابق، فكان لا بد من التأكيد على أمر الإمامة، وأنه قرار إلهي، ليس للبشر فيه خيار ولا قرار.. وكان الناس ـ في خصوص الفترة التي سوف يتصدى بها عليٌّ والحسنان «عليهم السلام» لهذا المقام ـ بأمس الحاجة إلى التأكيد على هذا الأمر، وزرعه وترسيخه في وجدان الناس بواسطة المعجزة القاهرة للعقول، لأن الإكتفاء بالأقوال، والنصائح لا يفي بالمطلوب، وقد يتعرض النص للتأويل، أو للتصرف المخل بمعناه، وقد تثار الشبهات حول مقاصده وغاياته، ودوافع صدوره، وما إلى ذلك.

الخامس: قد يفهم من الرواية المتقدمة: أن ما جرى كان أمام جماعة من الناس، ولا يقتصر الأمر على ابن عباس، وأبي رافع..

مضامين ودلالات:

ويلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ لما صار جام المسك والعنبر في كف النبي «صلى الله عليه وآله» كان أول ما بدأ به ذلك الجام هو التهليل، ربما ليدل على أن القرار والقضاء الحازم والحاسم هو لله تعالى، الواحد، الأحد، وليس لأحد أن ينازعه في ألوهيته ووحدانيته، أوان ينقض ما يحكم به، ويقرره، فهو تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[١]، و﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[٢].

٢ ـ ثم إن ذلك الجام كبَّر ثلاثاً، ليؤكد على أن الإستكبار إن كان على الله، فلن يؤدي إلى نتيجة، فإن الادعاء الكاذب للأكبرية والاستطالة على الخالق بغير وجه حق، يجعل من يفعل ذلك موضعاً للغضب والمقت الإلهي، والخذلان، ويجد من يفعل ذلك نفسه في موضع المحارب لله، القادر والقاهر، والعليم، قاصم الجبارين، ومبير الظالمين، ومدرك الهاربين.

٣ ـ ثم جاء قوله: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم * طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[٣].. ليدل على أنه تعالى: لن يمكِّن الطامعين والطامحين من تضييع جهود وتضحيات رسوله «صلى الله عليه وآله» في نشر الدين، بل هو سوف يصونها، وينمِّيها، ويقوِّيها، ويمكنها من تحقيق أهدافها، بكل دقة وأمانة، ولو بعد حين..

٤ ـ حين صار ذلك الجام في كف عليٍّ حيًّا علياً «عليه السلام» بقراءة آية الولاية، التي بها تحفظ جهود الأنبياء وتضحياتهم، وبها تتحقق آمالهم. ولتكون المعجزة بنطق الجام هي التي تحدد المعنيِّ بهذه الآية المباركة، ولتجعل هذه المعجزة القاهرة للعقول سعي أهل الباطل للتشكيك في نزولها، أو في اختصاصها بعليٍّ أمير المؤمنين «عليه السلام» كرماد اشتدت به الريح في يوم

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآيتان ١ و ٢ من سورة طه.

(٣) الآيتان ١ و ٢ من سورة طه.

عاصف..

٥ ـ ثم لَمَّا صار الجام في كف الإمام الحسن «عليه السلام»، نطق مرة أخرى بصورة إعجازية فقال: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم * عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾(١).

وفي بعض الروايات: أن المراد بالنبأ العظيم الذي اختلفوا فيه هو عليٌّ «عليه السلام».

وفي بعضها: أنه الإمامة التي اختلفوا فيها.. وهذا المعنى يتوافق مع ما في هذه الرواية أيضاً، من أن الجام لما صار في كف الإمام الحسن «عليه السلام» تكلم بهذه الآية..

فدلنا ذلك: على أن تطبيق الآية على أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يمنع من انطباقها على الإمام الحسن «عليه السلام»، فإنهم أيضاً اختلفوا في إمامته «صلوات الله وسلامه عليه» استجابة لمكائد معاوية وبني أمية، ومن مالأهم.

٦ ـ حين صار الجام في كف الإمام الحسين «عليه السلام» نطق الجام بقوله تعالى: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم * قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(٢).

ومن الواضح: أن ما جرى على الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء على يد بني أمية، وأشياعهم، وأتباعهم، يتناقض مع صريح هذه الآية التي تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله يريد من الناس

---

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة النبأ.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

أن يظهروا حبهم وتتجلى مودتهم له في أهل بيته.

فقد فُسِّرت المودة بأنها الحب الظاهر أثره في مقام العمل، وتجلي حبهم للرسول في ذوي قرباه يكون في احترام ذوي القربى، والدفاع عنهم، وحفظهم، ونصرتهم، وإرضائهم، وما إلى ذلك..

ولكن ما حصل هو أنهم أبغضوهم، ومكروا وغدروا بهم، وحاربوهم، وقتلوهم، وساموهم الخسف، وآذوهم بكل ما قدروا عليه..

٧ ـ وحين ننقل الحديث إلى الرواية الثانية عن ابن عباس التي ذكرت تحية جبرئيل للخمسة أصحاب الكساء بالتفاحة، وفيهم السيدة الزهراء «عليها السلام» نجد: أنها اقتصرت على الإشارة إلى ما يلي:

ألف: إن الله تعالى هو صاحب التحية لهؤلاء الخمسة الأطهار..

ب: إن التحية حملت معها رسالة مكتوبة.

ج: إنها تضمنت أماناً لمحبي هؤلاء الخمسة من النار يوم القيامة..

تسبيح الرمان:

الكشف والبيان، عن الثعلبي، بالإسناد عن جعفر بن محمد، عن أبيه «عليهما السلام» قال: مرض النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتاه جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب، فأكل النبي منه فسبح.

ثم دخل عليه الحسن والحسين، فتناولا منه، فسبح الرمان والعنب.

ثم دخل علي، فتناول منه، فسبح أيضاً.

ثم دخل رجل من أصحابه، فأكل فلم يسبح.

فقال جبرئيل: إنما يأكل هذا نبي، أو وصي، أو ولد نبي[1].

ونقول:

١ ـ إن ما ذكرناه فيما تقدم.. من أن ربط النص على الإمامة بأمر إعجازي، أو كرامة خارقة للعادة أمر ضروري ومطلوب، لشدة تأثير المعجز في نفس الإنسان، وفي مشاعره، وفي وجدانه، وما ينتج عن ذلك من رسوخ في الذاكرة، ومن وعي دقيق، وتفاعل عميق مع أدق التفاصيل يجري في هذا المورد أيضاً.

٢ ـ تقدم معنا حديث الطائر الملك الذي حط على يد النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم سلم عليه بالنبوة.

ثم حط على يد علي «عليه السلام» وسلم عليه بالوصية.

ثم حط على يد الحسن والحسين، وسلم عليهما بالخلافة، ثم لم يقعد على يد رجل آخر، لأنها يد عصت الله سبحانه.

فما أشبه هذه الحادثة بتلك، وما أقربهما إلى بعضهما في الإيحاء والدلالة.

٣ ـ قلنا فيما تقدم: إن النص على الإمامة والإمام أمر مطلوب، ولا بد منه، وربما أخذت البيعة للإمام من الناس أيضاً، كما جرى في غدير خم.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩٠ و ٣٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٠ و ١٦١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٨ و ٢٨٩ وج١٧ ص٣٥٩ و ٣٦٠ وج٣٧ ص١٠٠ و ١٠١ وإثبات الهداة ج٢ ص٥٦٥ و ٥٢٣ والعوالم ج١٦ ص٧٨ و ٧٩ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٤١ ـ ٤٤٢ ج٣ ص٣٣٣ ـ و ٣٣٤ و ٥٤٢ ـ ٥٤٣ والخرائج والجرائح ج١ ص٤٨ وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٠٣.

ولكن ذلك لا يمنع من تدعيم النص اللفظي، والعملي بنص يصعب إنكاره، أو تأويله، أو إثارة الشبهة حول سنده، أو حول دقة النقل له، أو محاولة تأويل مضمونه، أو التشكيك في دوافعه، أو في انتسابه إلى القرار الغيبي الحاسم، أو ما إلى ذلك.. وتكون هذه الحوادث الإعجازية هي ذلك النص المؤيد، والداعم المؤكد.

٤ ـ يلاحظ: أن الأمر هنا، وفي حديث الطائر المشار إليه لم يقتصر على النص على الإثبات، بل انضم إليه نفي صلاحية الآخرين الطامعين بهذا الأمر للإمامة والخلافة، بل هو يثبت فيهم ما يوجب صرف هذا الأمر عنهم، كما هو واضح..

الفصل الخامس

النظر إلى الحسنين عليهما السلام يذهب الجوع..



حديث جفنة الطعام:

روى ركن الأئمة عبد الحميد بن ميكائيل، عن يوسف بن منصور الساوي، عن عبد الله بن محمد الأزدي، عن سهل بن عثمان، عن منصور بن محمد النسفي، عن عبد الله بن عمرو، عن الحسن بن موسى، عن سعدان، عن مالك بن سليمان، عن ابن جريح، عن عطاء، عن عائشة قالت:

كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» جائعاً لا يقدر على ما يأكل، فقال لي: هاتي ردائي.

فقلت: أين تريد؟!

قال: إلى فاطمة ابنتي، فأنظر إلى الحسن والحسين، فيذهب بعض ما بي من الجوع.

فخرج، حتى دخل على فاطمة «عليها السلام»، فقال: يا فاطمة، أين ابناي؟!

فقالت: يا رسول الله، خرجا من الجوع وهما يبكيان.

فخرج النبي «صلى الله عليه وآله» في طلبهما، فرأى أبا الدرداء، فقال: يا عويمر، هل رأيت ابنيَّ؟!

قال: نعم يا رسول الله، هما نائمان في ظل حائط بني جدعان.

فانطلق النبي، فضمهما وهما يبكيان وهو يمسح الدموع عنهما.

فقال له أبو الدرداء: دعني أحملهما.

فقال: يا أبا الدرداء، دعني أمسح الدموع عنهما، فوالذي بعثني بالحق نبياً لو قطر قطرة في الأرض لبقيت المجاعة في أمتي إلى يوم القيامة، ثم حملهما وهما يبكيان وهو يبكي.

فجاء جبرئيل، فقال: السلام عليك يا محمد، رب العزة جل جلاله يقرئك السلام ويقول: ما هذا الجزع؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل، ما أبكي جزعاً، بل أبكي من ذل الدنيا.

فقال جبرئيل: إن الله تعالى يقول: أيسرُّك أن أحول لك أُحداً ذهباً، ولا ينقص لك مما عندي شيء؟!

قال: لا.

قال: لم؟!

قال: لأن الله تعالى لم يحب الدنيا، ولو أحبها لما جعل للكافر أكلة.

فقال جبرئيل «عليه السلام»: يا محمد، ادع بالجفنة المنكوسة التي في ناحية البيت.

قال: فدعا بها، فلما حملت، فإذا فيها ثريد ولحم كثير.

فقال: كل يا محمد، وأطعم ابنيك وأهل بيتك.

قال: فأكلوا، فشبعوا.

قال[١]: ثم أرسل بها إلي، فأكلوا وشبعوا وهو [وهي] على حالها.

قال: ما رأيت جفنة أعظم بركة منها.

فرفعت عنهم، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: والذي بعثني بالحق لو سكت لتداولها فقراء أمتي إلى يوم القيامة[٢].

ونقول:

في هذه الرواية مواضع عديدة تحتاج إلى بيان، نذكر منها ما يلي:

الحاجة إلى الطعام:

لقد كثرت النصوص التي تتحدث عن شدة حاجة النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته إلى الطعام.. وفي سورة هل أتى، ومناسبة نزولها، وفي حديث ايثارهم على أنفسهم مع وجود الخصاصة وآيات أخرى شواهد على ما نقول..

أما ما ورد من ذلك في كتب السيرة والحديث، فحدِّث عن تضافره، بل عن تواتره ولا حرج.. وقد أشرنا إلى بعض من ذلك في الجزء الخامس من سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ وغيره. فمن شاء فليرجع إليه.

---

(١) ظاهر الكلام: أن القائل هو أبو الدرداء، وأن الضمير يأكلوا أو شبعوا هو لأهله وعياله.

(٢) مقتل الحسين (ط الغري) ص١٢٩ و ١٣٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٩ و ٣١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٤٤ و ٧٤٥.

غير أننا نحب لفت نظر القارئ الكريم هنا إلى ما يلي:

١ ـ إن الحاجة ليست نقصاً، ولا عيباً يؤاخذ به المحتاج إلا إذا كانت ناشئة عن كسل، أو اتكالية، أو سوء تدبير، أو نحو ذلك أما إذا كانت الحاجة ناشئة عن ظروف قاهرة وانعدام الفرصة، مع مراعاة جانب العفة والقناعة، والتزام سبيل الشرع والدين، في عدم التعدي على الآخرين في حقوقهم وأموالهم.. أو يكون سببها الإيثار على النفس، وبذل المال للمحتاجين طلباً لرضا الله تبارك وتعالى، فإن هذه الحاجة تكون وسام شرف، وسبيل عزة، ومجد وفخار في الدنيا وهي نجاة، وفوز عظيم برضا الرب الكريم في الدنيا والآخرة.

وبذلك تصبح سبباً في عطايا وهبات، وفيوضات، وتوفيقات إلهية لا تجارى ولا تبارى، في مجالات كثيرة وجديرة بذلك كله..

٢ ـ إن هذه الحاجة الشديدة كان يعاني منها أفضل وأكرم الخلق على الله، الذي فرض الله محبته وطاعته وولايته، وتقديسه على جميع المخلوقات، بل جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم.. ولكنه يكابد ألم الجوع، ويعاني من شدة الحاجة، ولا تمتد عينه إلى ما عند الناس، بل كان هو الذي يضحي بنفسه، وبكل ما لديه، وبأحب الخلق إليه، وأعزهم عليه في سبيل معونة الضعيف، وحفظ الفقير والمحتاج، أو من يدعي ذلك.. بل قد يكون من يؤثر على نفسه، وعلى أفضل الخلق من أبنائه ممن أظهر سوء نواياه، وابتدأ بالإساءة والعدوان، كالأسير الذي أشير إليه في سورة «هل أتى»، فإنه جاء منابذاً ومحارباً..

وما ذلك، إلا لأن همَّ النبي وأهل بيته هو الرقي بالناس من واقع الضعف

والحاجة، والذل، والجهل، ليكونوا أقوياء، وأغنياء، وعلماء، وحكماء، وصلحاء، ولا يريد منهم أكثر من ذلك.

نعم، هذا هو نهج أهل الحق والدين والإيمان، أما أهل الدنيا، فإنهم إذا تسلطوا على الناس، فإن كل همهم، ينصرف إلى استغلال الناس، واستلاب قدراتهم، وتقويض إمكاناتهم، وانتهاك حرماتهم، وتضييع حقوقهم، والسطو على أموالهم، وتحويلهم إلى آلات ووسائل إنتاج، أو إلى دروع بشرية يحتمون بها، وتحرس لهم ما جمعوه، وكنزوه لأنفسهم، مع أنهم لا يمكنهم الاستفادة منه.. بل أقصى ما عندهم: هو أن يحبسوه في خزائنهم، ليكونوا حراساً له بعد منع أهله منه، بالبغي والعدوان، والظلم، والطغيان ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[١].

٣ ـ واللافت: أن ظاهرة الحاجة الشديدة للنبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الطاهرين قد تجلَّت في المدينة في أواخر حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله». بعد أن ضرب الإسلام بجرانه في مختلف البقاع والأصقاع، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد بشَّر الناس من أول أيام بعثته: بأن الله سوف يفتح له كنوز كسرى وقيصر[٢].

---

(١) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٢) شرح السير الكبير ج١ ص٤٦ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٣١ وفتوح الشام للواقدي ج٢ ص١٩٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٩٢ والكامل في التاريخ (ط صادر) ج٢ ص٣٢٤ وج٢ ص٥٧ وإمتاع الأسماع ج٤ ص٣٨٦ وج١٢ ص١٣١ وج١٤ ص١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٣ و ٣٥٠ وج١ ص٢٣٢ وج٨

ص٣٧٣ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص٥٠ و ١٨٢ وج٧ ص٢١٨ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص١٨٧ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧٧ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٨ ص٤٢ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٨٩ وج١ ص١١١ وج٩ ص١٠٣ وفتح الباري ج٦ ص٤٦١ وعمدة القاري ج١٥ ص٤١ وج١٦ ص٥٠ وج٢٣ ص١٦٨ و ١٦٩ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٣٨٨ ومسند الحميدي ج٢ ص٤٦٨ ومسند أبي يعلى ج١٠ ص٢٨٤ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٨٣ و ٨٥ والحد الفاصل للرامهرمزي ص٣٤٠ ومسند الشاميين ج٤ ص١٦٥ ٢٨٢ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص١٠٥ ودلائل النبوة ج٢ ص٧٨٣ وج٤ ص٣٩٣ وج٦ ص٣٢٥ وج١ ص٤١٦ والمعجم الكبير ج٢ ص٢١٣ وج٣ ص١٦٦ وج١٨ ص١٠١ والمعجم الأوسط ج٢ ص٢٣٠ وج٥ ص١٠٣ والمعجم الصغير ج١ ص٢٤٥ والعمدة لابن البطريق ص٤٢٢ و ٦٤ وغاية المرام ج٢ ص٢٥١ والخرائج والجرائح ج١ ص٦٦ والمسند للشافعي ص٢٠٨ ومسند أحمد ج٢ ص٢٣٣ و ٢٤٠ و ٢٧٢ و ٤٢٧ و ٤٧٦ وج٥ ص٩٢ و ٩٩ و ١٠٥ وج١ ص٢١٠ والأربعين البلدانية لابن عساكر ص٩٨ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٣٦٨ و ٣٧٦ وجامع البيان ج٢١ ص١٦١ و ١٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص١٦٧ وأسد الغابة ج١ ص٢٥٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٧ و ٣٠٩ و ١١٩ وج٦ ص٢٠٨ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢٩٦ وج٧ ص٦٢ و ٦٣ و ١٧٩ و ٢٢٤ وج٣ ص٣٥ و ٢٩٢ وتذكرة الحفاظ ج٢ ص٤٣٩ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٨٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٩٧ و ٥١٣ والخصائص الكبرى ج٢ ص١١٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٨٢ وج٤ ص٥٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٦٩ و ١٧٩ والتاريخ الكبير ج٨ ص٤٣٦ وج٧ ص٧٥. وراجع: بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٠ و ٢٧١ والكافي

ومع أن الانتصارات التي تحققت في المدة الأخيرة على أعداء الإسلام كانت عظيمة وهائلة، ومؤكدة للمسار الذي رسمه «صلى الله عليه وآله» منذ بعثته، من أن الله سيفتح لهم البلاد، وتنقاد لهم العباد.

فمع ذلك كله، ومع أنه هو وأهل بيته كانوا رواد هذه المسيرة، وأعلامها وقادتها، والمضحين في سبيلها.. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يشد

ج٨ ص٢١٦ وج١٨ ص٢٠٨ وج٣٨ ص٢٤٤ و ٢٥٨ ومرآة العقول ج٢٦ ص١٣٩ وذخائر العقبي ص٥٩ ولسان الميزان ج١ ص٣٩٥ وعن أبي يعلى، وخصائص النسائي، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٧ و ٢٣٨ وراجع حياة الصحابة ج١ ص٣٣ وروضة الواعظين ص٨٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٨ وسعد السعود ص١٣٨ والاستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٩٦ و ١٢٤٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٧ ص٣٣٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٢٠ وج١٠ ص٢٢٠ والرياض النضرة ج٣ ص١١٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٩٩ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٥٤ وج٥ ص١١٢ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٢٠٦ وزبدة التفاسير ج٣ ص١٥٨ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٨٤ وج٨ ص١٤ وتفسير البغوي ج٣ ص٥١٢ والمحرر الوجيز ج٤ ص٣٧٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٣٣ و ١٣٧ وتفسير البحر المحيط ج٧ ص٢١٢ وتفسير الثعالبي ج٤ ص٣٣٩ وج٥ ص٤٩٧ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٨١ والدر المنثور ج٥ ص١٨٦ ولباب النقول ص١٥٧ وتفسير أبي السعود ج٧ ص٩٢ و ٩٤ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٠٠ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٠٣ وميزان الاعتدال ج١ ص٢٢٤ والإصابة ج٤ ص٤٢٦ والمغازي للواقدي ج١ ص٤٥٩ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٣٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٨٩ والوافي بالوفيات ج٢٠ ص٨.

الحجر على بطنه من الجوع، ويطوي ثلاثة أيام بلا طعام حتى اقتطعت له ابنته كسرة من قرص أعدته للحسن والحسين «عليهما السلام» وهما بعمر الزهور، ولم يكن قد دخل جوفه أي طعام منذ ثلاث[1].

بين الروح والجسد:

وواضح وضوح الشمس: أن للمشاعر الإنسانية، والحالات النفسية والروحية، كالفرح والحزن، والهم والغم، والخوف، والبهجة، وما إلى ذلك.. تأثيراتها على حالات الجسد ضعفاً، وقوة، وخمولاً، ونشاطاً، وصحة، ومرضاً، وسلامة، واضطراباً، وما إلى ذلك.. فقد توجب سرعة الشفاء، أو توجب الإصابة بالمرض، أو شدته، أو تمنحه شعوراً بالاكتفاء والشبع، أو توجب فيه وهناً، وخوراً إلى غير ذلك من حالات.

ولذا.. فنحن لا نستغرب القول: بأن رؤية رسول الله «صلى الله عليه وآله» للحسن والحسين «عليهما السلام» توجب أن يذهب بعض ما به من الجوع.

ما شأن أبي بكر، وأبي الدرداء؟!:

وقد لاحظنا في الرواية المتقدمة ما يلي:

١ ـ إن في الرواية المتقدمة اختلافاً في بعض الموارد، فهي تذكر تارة: أنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن أكل هو وابناه، وأهل بيته «صلوات الله عليهم».. أرسل بالجفنة إلى أبي الدراداء، كما يظهر من سياق الكلام، فأكل عياله منها

---

(١) صحيفة الرضا ص٢٣٧ و ٢٣٨ وبحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٥ وج٢٠ ص٢٤٥ وج٤٣ ص٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٣٣ ومسند زيد بن علي ص٤٦١.

أيضاً، كما في بحار الأنوار.

لكن النص الذي أورده الخوارزمي للرواية ذكر أبا بكر بدل أبي الدرادء، فقال: إنه لما أتي بالجفنة المنكوسة «فإذا فيها ثريد ولحم كثير.

فقال جبرائيل: كل يا محمد، وأطعم ابنيك وأهل بيتك.

قال: فأكلوا، فشبعوا.

ثم أرسل بها إلى أبي بكر الصديق، فأكلوا وشبعوا وهو [وهي] على حالها.

فقال أبو بكر: ما أعظم بركة هذه الجفنة.

فرفعت عنهم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: والذي بعثني بالحق لو سكت لتداولها فقراء أمتي إلى يوم القيامة».

٢ ـ ونحن نشك في صحة ما ذكر عن أبي الدرداء، وعن أبي بكر على حد سواء، وذلك لما يلي:

أولاً: تقول الرواية: إن جبرئيل قال للرسول «صلى الله عليه وآله»: كل يا محمد، وأطعم ابنيك وأهل بيتك، ولم يقل له: وأطعم من شئت، فلماذا أطعم أبا الدرداء، أو أبا بكر؟!

ثانياً: لماذا خص أبا بكر وأبا الدرداء، بهذه الضيافة الإلهية، دون سائر فقراء المسلمين، كأبي ذر، والمقداد، وسلمان، ودون بني هاشم، أو أي شخص آخر غير هؤلاء؟!

ثالثاً: ما معنى وصف أبي بكر بـ «الصديق» مع أن الروايات الصحيحة تقول: إن الصديق الأكبر هو علي «عليه السلام»، لا يقولها أحد بعده «عليه

السلام» إلا كاذب.

وفي نقل آخر: إلَّا كذَّاب.

وفي ثالث: إلَّا كذَّاب مفتري.

ومحاولة التملص من هذه المؤاخذة بادِّعاء: أن علياً «عليه السلام» هو الصديق الأكبر، فليكن أبو بكر صديقاً أيضاً، ولكنه ليس هو الأكبر..

إن هذه المحاولة لن تكون موفقة:

أولاً: لأنها لا يرضاها حتى محبو أبي بكر، فإنهم يزعمون أن لقب الصديق خاص بأبي بكر بجميع مراتبه، وحالاته..

ثانياً: يبدو: أن إقحام كلمة الصدِّيق قد جاء من قبل الناقلين المحبين لأبي بكر لأن راوي الرواية هي عائشة بنت أبي بكر.. وربما كان عطاء أو ابن جريج، أو غيرهما هو الذي أقحم هذا الوصف في هذه الرواية.

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» يريد أن يرد على من يصف غيره بالصدِّيق، باعتبار: أن وصف أي كان بكلمة «الصديق» تضييع لحقه، وتعمية على الحقيقة والواقع، لأن الوصف بالصديقية منحصر به.

وقد زعموا: أن هذا الوصف لأبي بكر، ولم يذكر لغيره، فكلامه «عليه السلام» قد جاء رداً على مزاعم هؤلاء.

لماذا تعاقب الأمة؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الحسنين «عليهما السلام» بكيا من شدة الجوع، وقد مسح النبي دموعهما، ثم يقسم لأبي الدرداء: أنه لو قطرت من

دموعهما قطرة في الأرض لبقيت المجاعة في أمته إلى يوم القيامة.. ثم حملهما، وهما يبكيان، وهو يبكي.

وهذا يثير أكثر من سؤال.. إذ ما ذنب الأمة، إذا جاع الحسنان «عليهما السلام»، حتى تعاقب بهذا العقاب القاسي؟!

وإذا كان للأحياء في زمان جوع الحسنين «عليهما السلام» ذنب في ذلك، فما هو ذنب الأجيال التالية التي لم يولد منها أحد بعد؟!

وحتى الذين عاشوا في زمن جوع الحسنين «عليهما السلام»، فإنما يعاقب من الأمة من تسبب في هذا الجوع على سبيل الظلم والعدوان عليهما.. وأما من لم يشارك، أو لم يعلم بجوعهما، فلماذا يعاقب؟!

ولماذا رهن «صلى الله عليه وآله» عقوبة الأمة بدوام المجاعة فيها بصورة سقوط قطرة من دموع الحسنين «عليهما السلام» إلى الأرض.. فإن كان السبب هو الانفعال المثير للبكاء، وخروج الدمع، فقد حصل ذلك، وإن لم ينزل إلى الأرض، لأنه تلقاه بيده، أو بثوبه قبل أن يصل إليها.. فلماذا صار وصول القطرة إلى الأرض هو الموجب للقحط والمجاعة؟!

وقد يجاب:

بأن بلوغ الدمع إلى الأرض وملامسته لها هو الذي يجعل الأرض تشعر بالمأساة، ويدعوها إلى أن تمنع بركاتها، وتحجب عطاءاتها.. لاسيما، وأن الأرض هي التي تعطي ما يسد الجوع، ويكون سبباً للاستمرار والبقاء للأبدان..

فإذا انضم إلى ذلك: أن الذي أدى إلى جوع الحسنين «عليهما السلام» ليس هو تقصير كافلهما في تهيئة الأسباب التي تدفع ذلك، بل هو التعدي

على حقوقهما، أو التقصير في أدائها، أو إنكار ثبوت تلك الحقوق لهم، كالحق في الخمس، والفيء، وعدم المبادرة لمودة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهما.

فإذا كان المنكرون لتلك الحقوق، والمشككون فيها موضع تأييد من أكثر الناس في تلك الأمة، بسبب قوة نفوذهم، وطغيان شائعاتهم، وتأثير شبهاتهم، وبغي أعلامهم، وما يختلقونه، ويروِّجون له في مجال تصغير شأن أهل البيت «عليهم السلام»، وإنكار مقاماتهم، والسعي لإزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها ـ إذا كان الأمر كذلك ـ ثم تابعتهم الأجيال اللاحقة على نهجهم، ورضيت بسياساتهم هذه وسواها مما يرمي لدفن ذكر أهل البيت «عليهم السلام»، وطمس نهجهم، وتقويض جهادهم وجهدهم، وتصغير شأنهم، وتوهين أمرهم.

فإن الأمة كلها ـ والحالة هذه ـ تستحق أن تبتلى بقحط داهم، وجوع دائم، لأنها هي التي سببت ورضيت بالقحط الروحي، والأخلاقي، والإيماني، والجفاف العاطفي، والإنتاجي.. فكان جزاؤها مناسباً لما اقترفته، ومنسجماً مع ما رضيت به.

وربما احتاج هذا الجواب إلى تنقيح وتوضيح وتصحيح يجعله وافياً وكافياً وشافياً، أكثر وأقوى وأدل مما هو عليه الآن.

تضييع العطية الإلهية:

وذكرت الرواية أنه لما قال القائل ـ وهو أبو الدرداء ـ: «ما رأيت جفنة أعظم بركة منها» رفعت عنهم، أو على حد قول أبي بكر: «ما أعظم بركة هذه

الجفنة، فرفعت عنهم».

ثم ذكرت الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما سمع ذلك أقسم بالذي بعثه بالحق: أن ذلك القائل لو سكت لتداولها فقراء أمته إلى يوم القيامة.

ولا ندري كيف كانت كلمة أبي بكر، أو أبي الدرداء سبباً في تضييع هذه العطية الإلهية، وحرمان فقراء، الأمة منها؟!

إلا أن يكون هذا الإعجاب من أبي بكر، أو أبي الدرداء قد جاء على طريقة الإعجاب بالكثرة يوم حنين، الذي تحوَّل إلى إصابة بالعين الحاسدة.. فإنه أدى إلى هزيمة المسلمين يومئذ..

ثم تداركهم الله بلطفه، وهزم الله المشركين بسيف علي أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه»..

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ذلك، فقال: **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾**(١).

النبي صلى الله عليه وآله وذل الدنيا:

وذكرت الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لجبرئيل لتبرير بكائه وبكاء الحسنين «عليهما السلام» معه: ما أبكي جزعاً، بل أبكي من ذل الدنيا.

ونقول:

---

(١) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

أولاً: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فكيف يبكي النبي «صلى الله عليه وآله» من ذل الدنيا، والله تعالى قال: بأن رسوله عزيز؟!

ثانياً: إن الجوع والحاجة ليس ذلاً، كما أن العزة لا تكون بكثرة المال والولد، أو الشوكة، والسلطان وإن كان أهل الدنيا يتوهمون ذلك.. بل الذل هو في معصية الله، والعز في طاعته..

والشاهد على ذلك: أن هذه الرواية نفسها تقول: إن الله عرض على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إزالة ذل الدنيا عنه: بأن يحوِّل له جبل أُحد ذهباً، ولا ينقص له شيء مما عنده، فرفض النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك، محتجاً: بأن الله تعالى لم يحب الدنيا، ولو أحبها لما جعل للكافر أكلة..

ورفض تحويل جبل أُحد ذهباً لا يستسيغه أهل الدنيا: ولا سيما إذا جاء هذا الرفض ممن يبكي من ذل الدنيا.. لأن المفروض حسب زعمهم: أن الذهب إذا كان بمقادير كبيرة يكون من أهم أسباب إزالة الذل، وتوفير العز.. إذ لا سبيل إلى الذل لمن يملك ذهباً بمقدار جبل أحد..

فجاء السؤال الثاني من جبرئيل للنبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب رفضه هذا العرض الفريد والعتيد..

فأجاب «صلى الله عليه وآله»: بأن الله تعالى لا يحب الدنيا، ولو أحبها لما جعل للكافر أكلة منها، فدل بذلك على أن ما لا يحبه الله لا يمكن أن يكون

---

(١) الآية ٩ من سورة المنافقون.

مصدر عزة، وافتخار.

ولعل السبب في ذلك: أن الله تعالى هو مصدر القوة، ومعدن الغنى والعطاء، فإذا كان لا يحب الدنيا، فهو لا يعطيها لمن يحبهم. ولا يبالي إذا نال منها من لا يحبهم من الكافرين والعاصين، لأن الله تعالى لا يعطي هؤلاء ما يوجب لهم عزة وقوة لأن ذلك يغريهم بالإمعان في الباطل والبعد عن الله، وهو تحريض لهم على العناد، ومواصلة الافساد.

وهذا يعني: أن إعطاء الذهب لا يوجب قوة، بل هو من أسباب الوهن والضعف، والتلاشي.

ولعل هذا ما أشار إليه بقوله «صلى الله عليه وآله»: «لو أحبها ـ يعني الدنيا ـ لما جعل للكافرين أكلة».

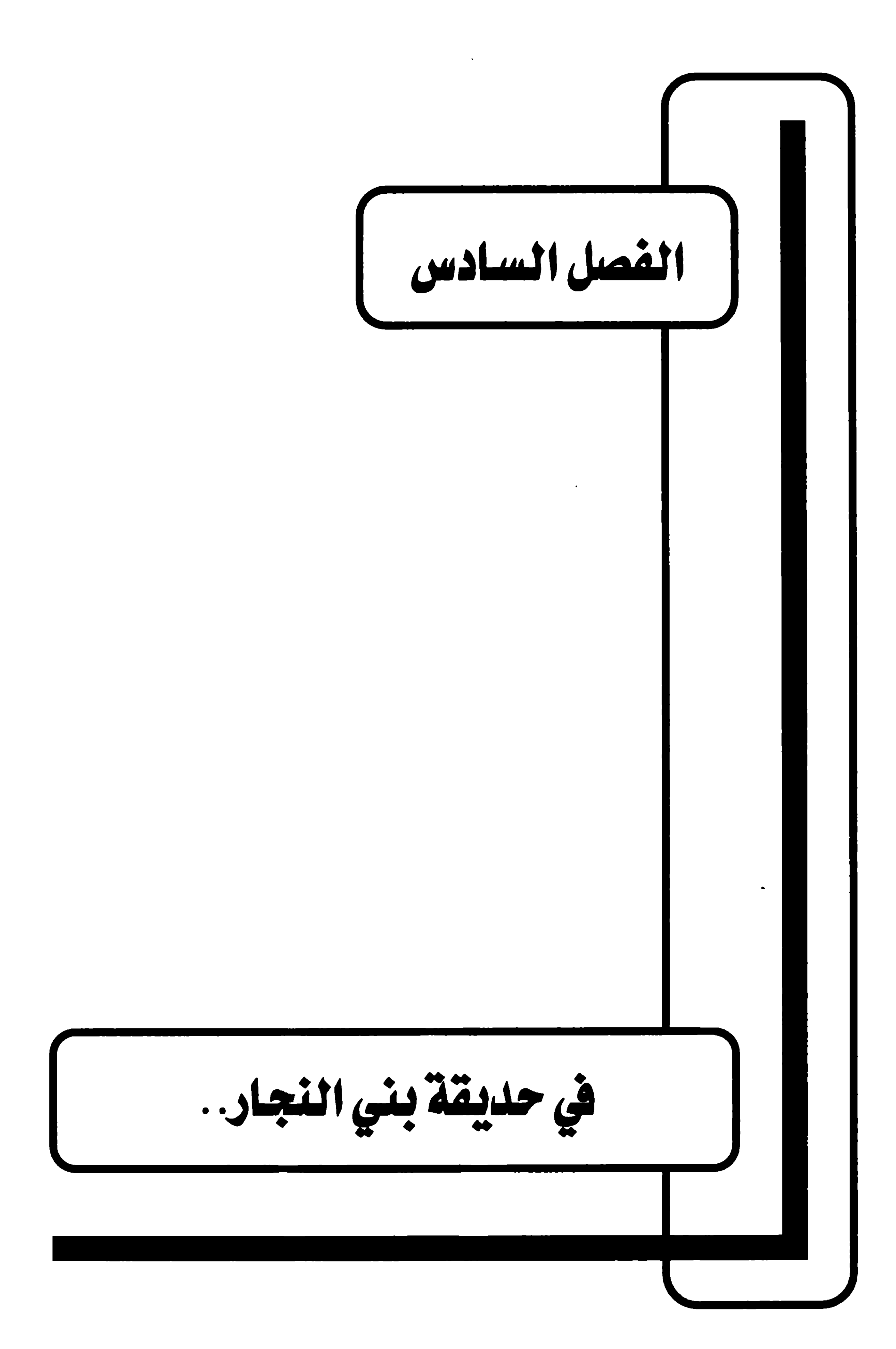
حديث الجفنة المنكوسة:

وإذا كانت هناك جفنة منكوسة، فلا أحد يتوهم أن يجد فيها ثريداً أو لحماً، لا قليلاً ولا كثيراً.. ولكن ما حصل كان على عكس هذا، فقد وجدوها حين أتوا بها مملوءة ثريداً، ولحماً كثيراً. وقد أكل النبي «صلى الله عليه وآله»، وجميع أهل البيت منها، وأكل منها آخرون..

وبذلك لا يبقى مجال للقول: بأن وجود الطعام فيها مجرد وهم وخيال.. بل لقد كانت هذه الجفنة هي الشاهد والدليل على أن الرضا الإلهي هو الذي يعطي: العز، والغنى، والقوة، حتى حين لا يكون هناك مال، أو جاه، أو سلطان، أو ذهب.

ولو وجد الذهب، فإنه لا يستطيع أن يملأ الجفنة ثريداً ولحماً، بل يحتاج

توفرهما إلى وسائل وأسباب أخرى غير الذهب. كما هو ظاهر.



الفصل السادس

في حديقة بني النجار..

الحسنان عليهما السلام في حديقة بني النجار:

١ ـ ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن أبيه، عن فضالة، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»، عن أبيه، عن جده «عليهما السلام» قال:

مرض النبي «صلى الله عليه وآله» المرضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة سيدة النساء، ومعها الحسن والحسين «عليهما السلام»، قد أخذت الحسن بيدها اليمنى، وأخذت الحسين بيدها اليسرى، وهما يمشيان، وفاطمة بينهما، حتى دخلوا منزل عائشة.

فقعد الحسن «عليه السلام» على جانب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأيمن، والحسين «عليه السلام» على جانب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأيسر، فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما أفاق النبي «صلى الله عليه وآله» من نومه.

فقالت فاطمة للحسن والحسين: حبيبيَّ! إن جدكما قد غفا، فانصرفا ساعتكما هذه، ودعاه حتى يفيق، وترجعان إليه.

فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا هذا.

فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن، والحسين على عضده الأيسر، فغفيا، وانتبها قبل أن ينتبه النبي «صلى الله عليه وآله».

وقد كانت فاطمة «عليها السلام» لما ناما انصرفت إلى منزلها، فقالا لعائشة: ما فعلت أمنا؟!

قالت: لما نمتما رجعت إلى منزلها.

فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة، ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نور، فلم يزالا يمشيان في ذلك النور، والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى، وهما يتماشيان ويتحدثان، حتى أتيا حديقة بني النجار..

فلما بلغا الحديقة حارا، فبقيا لا يعلمان أين يأخذان، فقال الحسن للحسين: إنَّا قد حرنا، وبقينا على حالتنا هذه، وما ندري أين نسلك؟! فلا عليك أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح.

فقال له الحسين «عليه السلام»: دونك يا أخي، فافعل ما ترى. فاضطجعا جميعاً، واعتنق كل واحد منهما صاحبه وناما.

وانتبه النبي «صلى الله عليه وآله» عن نومته التي نامها، فطلبهما في منزل فاطمة، فلم يكونا فيه.. وافتقدهما، فقام «صلى الله عليه وآله» قائماً على رجليه، وهو يقول: إلهي وسيدي ومولاي، هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللهم أنت وكيلي عليهما.

فسطع للنبي «صلى الله عليه وآله» نور، فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه، وقد تقشعت السماء فوقهما كطبق، فهي تمطر كأشد مطر ما رآه الناس قط،

وقد منع الله عز وجل المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان، لا يمطر عليهما قطرة.

وقد اكتنفتهما حيَّة لها شعرات كآجام القصب، وجناحان: جناح قد غطت به الحسن، وجناح قد غطت به الحسين.

فلما أن بصر بهما النبي «صلى الله عليه وآله» تنحنح، فانسابت الحيَّة وهي تقول: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أن هذين شبلا نبيك قد حفظتهما عليه، ودفعتهما إليه، سالمين صحيحين.

فقال لها النبي «صلى الله عليه وآله»: أيتها الحيَّة، ممن أنت؟!

قالت: أنا رسول الجن إليك.

قال: وأي الجن؟!

قالت: جن نصيبين. نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عز وجل، فبعثوني إليك لتعلمنا ما نسينا من كتاب الله.

فلما بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي: أيتها الحيَّة، هذان شبلا رسول الله، فاحفظيهما من العاهات والآفات، ومن طوارق الليل والنهار.

فقد حفظتهما، وسلمتهما إليك سالمين صحيحين.

وأخذت الحيَّة الآية وانصرفت.

فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن، فوضعه على عاتقه الأيمن، ووضع الحسين على عاتقه الأيسر، وخرج علي «عليه السلام»، فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال له بعض أصحابه: بأبي أنت وأمي، ادفع إلي أحد شبليك، أخفف

عنك.

فقال: امض، فقد سمع الله كلامك، وعرف مقامك.

وتلقاه آخر، فقال: بأبي أنت وأمي، ادفع إلي أحد شبليك أخفف عنك.

فقال: امض، فقد سمع الله كلامك، وعرف مقامك.

فتلقاه علي «عليه السلام»، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ادفع إلي أحد شبلي وشبليك حتى أخفف عنك.

فالتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحسن، فقال: يا حسن، هل تمضي إلى كتف أبيك؟!

فقال له: والله يا جداه، إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي.

ثم التفت إلى الحسين «عليه السلام»، فقال: يا حسين هل تمضي إلى كتف أبيك؟!

فقال له: والله يا جداه، إني لأقول لك كما قال أخي الحسن، إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي.

فأقبل بهما إلى منزل فاطمة «عليها السلام». وقد ادخرت لهما تميرات، فوضعتها بين أيديهما، فأكلا، وشبعا، وفرحا.

فقال لهما النبي «صلى الله عليه وآله»: قوما الآن فاصطرعا، فقاما ليصطرعا، وقد خرجت فاطمة في بعض حاجتها، فدخلت، فسمعت النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: إيه يا حسن، شد على الحسين، فاصرعه.

فقالت له: يا أبه، وا عجباه، أتشجع هذا على هذا؟! تشجع الكبير على الصغير؟!

فقال لها: يا بنية، أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شد على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين شد على الحسن فاصرعه[1].

قال العلامة المجلسي «قدس سره»:

بيان: غفا غفواً وغُفُوّاً: نام، أو نعس كأغفى.

وادلهم الظلام: كثف.

وقال الجزري: العزالى، جمع العزلاء، وهو فم المزادة الأسفل، فشبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة. انتهى.

والشبل ـ بالكسر ـ: ولد الأسد إذا أدرك الصيد.

ويقال: قشعت الريح السحاب. أي كشفته، فانقشع، وتقشع.

وانسابت الحيَّة: جرت[2].

حديقة بني النجار. الرواية الثانية:

٢ ـ روي مرفوعاً إلى إسحاق بن سليمان الهاشمي عن أبيه قال: إنهم كانوا عند هارون الرشيد، فتذاكروا علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال

---

(١) الأمالي للصدوق ص٥٢٨ ـ ٥٣١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٦ ـ ٢٦٨ وراجع: روضة الواعظين ص١٥٨ ـ ١٥٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٩ ـ ١٩٠ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٧٤ ـ ٢٧٦ وج٤ ص٦ ـ ١١ عن أبي هريرة، وابن عباس، والإمام الصادق، وعن الخركوشي في شرف النبي «صلى الله عليه وآله»، عن هارون الرشيد، عن آبائه، عن ابن عباس هذا المعنى.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٨.

أمير المؤمنين هارون: تزعم العوام أني أبغض علياً، وولده حسناً، وحسيناً، ولا والله ما ذلك كما يظنون، ولكن ولده هؤلاء، طالبنا بدم الحسين معهم في السهل والجبل حتى قتلنا قتلته، ثم أفضى إلينا هذا الأمر، فخالطناهم فحسدونا، وخرجوا علينا، فحلوا قطيعتهم.

والله لقد حدثني أمير المؤمنين المهدي، عن أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: بينما نحن عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ أقبلت فاطمة «عليها السلام» تبكي، فقال لها النبي «صلى الله عليه وآله» ما يبكيك؟!

قالت: يا رسول الله، إن الحسن والحسين خرجا، فوالله ما أدري أين سلكا.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا تبكين فداك أبوك، فإن الله عز وجل خلقهما، وهو أرحم بهما.. اللهم إن كانا أخذا في بر، فاحفظهما، وإن كانا أخذا في بحر، فسلمهما.

فهبط جبرئيل «عليه السلام»، فقال: يا أحمد، لا تغتم ولا تحزن، هما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما في حظيرة بني النجار نائمين، وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقمنا معه حتى أتينا حظيرة بني النجار، فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك قد غطاهما بأحد جناحيه، فحمل النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن، وأخذ الحسين الملك، والناس يرون أنه حاملهما.

فقال له أبو بكر، وأبو أيوب الأنصاري: يا رسول الله، ألا نخفف عنك

بأحد الصبيين.

فقال: دعاهما، فإنهما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما.

ثم قال: والله، لأشرفنهما اليوم بما شرفهما الله، فخطب، فقال:

يا أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة؟!

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، جدهما رسول الله، وجدتهما خديجة بنت خويلد.

ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس أباً وأماً؟!

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، أبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة بنت محمد.

ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس عماً وعمة؟!

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، عمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب.

ألا يا أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟!

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم ابن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ألا إن أباهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وجدهما في الجنة، وجدتهما في

الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة، ومن أحب من أحبهما في الجنة(١).

وفي نص آخر: «وأما خالهما، فإبراهيم والقاسم ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخالتهما رقية وزينب وأم كلثوم»(٢).

ونقول:

هنا أمور عديدة تحتاج إلى بيان، نذكر منها ما يلي:

اختلاف الروايات:

إن الحدث الواحد قد يروى بصور تبدو كأنها مختلفة فيما بينها إلى حد

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص١٤٦ ـ ١٤٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠١ ـ ٣٠٣ وج٣٧ ص٩١ وج٣٦ ص٣١٩ وج٢٣ ص١١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣١٩ وكشف اليقين للحلي ص٣١٥ وراجع: الأمالي للصدوق ص٥٢٢ و ٥٢٣ وشرح الأخبار ج٣ ص١١٩ و ١٢٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٣٩ والفضائل لابن شاذان ص١١٨ و ١١٩ والطرائف لابن طاووس ص٩١ و ٩٢ وحلية الأبرار ج٢ ص١٤٤ و ١٤٥ وج٣ ص٢٧٩ ـ ٢٨٢ وكتاب الأربعين ص٣٥٨ و ٣٥٩ والروضة في المعجزات والفضائل لابن شاذان ص١٣١ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٨١ ونظم درر السمطين ص٢١٢ و ٢١٣ وبشارة المصطفى ص١٨٥ ـ ١٨٦ و ٢٦٧ ـ ٢٦٨ والمناقب للخوارزمي ص٢٨٧ ـ ٢٨٩ والدر النظيم ص٧٧٤ و ٧٧٥ وإرشاد القلوب للديلمي ج٢ ص٤٢٨ ـ ٤٣٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٢٣ ـ ٧٢٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٤١١ والأمالي للصدوق ص٥٣٣ وكفاية الأثر للخزاز ص٩٨ وروضة الواعظين ص١٢٢.

التناقض، ويتعذر الجمع بينهما، إلا بالمزيد من التعسف، والخروج عن المعروف والمألوف والممكن، ليدخل في دائرة الهذيان والخرافة، واللامعقول.. فلا بد في هذه الحالة من استبعاد النص الأضعف، والأشد غرابة، والأكثر وهناً وسقماً.

وقد لا يصل الأمر في الاختلاف بالزيادة، والنقيصة إلى هذا الحد.. ويمكن اعتبار أحدهما متمماً للآخر، وموضحاً لبعض غوامضه، وكاشفاً لمبهماته، ومبيِّناً لبعض حالاته التي غفل الراوي للنص الآخر عن بيانها، أو لم يتعلق غرضه ببيانها.. وربما تعلق غرضه باستبعادها، وتجهيل الناس بها.. فلا مانع من الأخذ بكلا النصين، والتوفيق بين المختلفين.

وربما كان النصان المتقدمان من الموارد التي تندرج في هذا السياق، فليلاحظ ذلك..

ولا نبعد إذا قلنا: إن النصين المتقدمين يتحدثان عن واقعة واحدة، ولنا مع كل واحد منهما وقفات، فنقول:

بالنسبة لرواية زيد الشحام عن الإمام الصادق «عليه السلام» نذكر:

عيادة الزهراء عليها السلام لأبيها صلى الله عليه وآله:

ربما يفهم من قول الإمام الصادق «عليه السلام»: «مرض النبي «صلى الله عليه وآله» المرضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة سيدة النساء الخ..» إن عيادة الزهراء «عليها السلام» لأبيها قد لفتت الأنظار.. ولا ندري السبب في ذلك.. فإننا نعرف أن الزهراء كانت شديدة التعلق بأبيها «صلى الله عليه وآله»، والعكس صحيح أيضاً.. فلماذا إذا مرض لا تكون معه، ملازمة له طيلة الوقت؟! هل لأنه كان في بيوت بعض أزواجه اللاتي كنَّ يظهرن للزهراء

«عليها السلام» الضيق، والضجر من وجودها؟!

ولم تكن «عليها السلام» ترغب في مضايقة أحد من الناس؟!

النوم المستغرق للنبي صلى الله عليه وآله:

وقد تقدم: أن الحسنين «عليهما السلام» قد غمزا جانبي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يستيقظ من نومه، ثم نام الحسنان على عضديه الأيمن والأيسر، واستيقظا بعد ذلك، وخرجا في ليلة مطيرة وعاصفة قبل أن يستيقظ «صلى الله عليه وآله»..

فلماذا ثقل نوم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا طال نومه إلى هذا الحد؟! مع أن الرواية عنه «صلى الله عليه وآله» تقول: «تنام عيناي، وقلبي يقظان»(١).

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص٤٨ وبحار الأنوار ج٩ ص٦٦ و ٢٨٦ وج٥٧ ص٣٧٧ وسفينة البحار ج١٠ ص١٩٩ والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ص٤٥٣ والتبيان في تفسير القرآن ج١ ص٣٦٣ ومجمع البيان ج١ ص٣١٥ وإكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان (موسوعة إبن إدريس الحلي) ص٣١٠ والبرهان (تفسير) ج١ ص٢٩٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج٢ ص٩١ وزبدة التفاسير للكاشاني ج١ ص١٩٦ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٠٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١١١٧ وجامع البيان ج١٥ ص٢٢ والكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ج٤ ص٦٥ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٧١ و ٣٨٥ والبداية والنهاية ج٣ ص١٤١ والاكتفاء للكلاعي ج١ ص٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٠٥ ونهاية الأرب ج١٦ ص٣٧١.

وعنه «صلى الله عليه وآله» إنه قال: «تنام عيناي ولا ينام قلبي»[١].

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٣٩٩ وج١٧ ص١٢١ وج٢٢ ص٢٧ و ٤١١ وج٣١ ص٩ وج٥٨ ص٢١٢ وج٦٤ ص٢٥٢ و ٢٥٣ وج٧٣ ص١٨٩ وج٨٤ ص٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٤٩ وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٢٩ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص١٢٤ وسبل السلام ج٢ ص١٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٣٢٣ والبدء والتاريخ ج٤ ص١٥٩ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٨٩ وج١٠ ص١٧٨ وج١٣ ص٣٧ و ١٨٣ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٨٦ وج٢ ص٩٦ و ١٥٣ وج٢ ص١٩٧ والخصائص الكبرى ج١ ص٦٩ و ٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢٨٩ وج١٠ ص٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ وج١١ ص٤٦٩ وج١٢ ص٤ وغريب الحديث لابن سلام ج٤ ص٢٣٩ ونهاية الأرب ج١٨ ص٢٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ ودلائل النبوة ج١ ص٣٧١ ومسند أحمد ج١ ص٢٢٠ و ٢٥١ و ٤٣٨ وج٥ ص٤٠ وج٥ ص٥٠ وج٦ ص٣٦ و ٧٣ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص٤٨ و ٢٥٣ وج٤ ص١٦٨ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٢ ص١٦٦ وسنن أبي داود ج١ ص٥٢ و ٣٠١ وسنن الترمذي ج١ ص٢٧٥ وج٣ ص٣٥٤ وسنن النسائي ج٣ ص٢٣٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص١٢١ و ١٢٢ وج٢ ص٤٩٦ وج٣ ص٦ وج٧ ص٦٢ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٥ ص١٨٤ وج٦ ص٢١ وفتح الباري ج١ ص٢٥٠ و ٣٨٠ و ٣٨١ وج٦ ص٤٢٣ وعمدة القاري ج٣ ص٦٦ وج٤ ص٢٨ وج٧ ص٢٠٢ وج١٦ ص١١٦ وشرح سنن النسائي ج٣ ص٢٣٤ وحاشية السندي على النسائي ج٣ ص٢٣٤ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٤٢٦ وج٨ ص٤٨٦ وعون المعبود ج١ ص٢٣٧ وج٢ ص٧٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص١١٦ والمصنف للصنعاني ج٢ ص٤٠٥

وألا ينافي هذا الاستغراق في النوم مقام الشاهدية الذي كان له «صلى الله عليه وآله» على الخلق؟! فإن هذا المقام هو الذي اقتضى أن تنام عيناه،

وج٣ ص٣٨ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥٥٥ وتأويل مختلف الحديث ص٢٢٦ ونيل الأوطار ج١ ص٢٦٧ وج٢ ص٤٦ وفقه السنة لسيد سابق ج١ ص٢٠٥ والمجازات النبوية ص١٧٥ و ١٧٦ ومستدرك الوسائل ج٥ ص١٢٣ وكنز الفوائد ص٢١٣ والخرائج والجرائح ج١ ص١٠٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٢٤ والصراط المستقيم ج١ ص٢٠٤ وج٣ ص٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٣٨ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص١٦٠ و ٤٤٦ والشمائل المحمدية ص١٥١ والمنتقى من السنن المسندة ص١٦ وصحيح ابن خزيمة ج١ ص٣٠ وج٢ ص١٩٢ وشرح معاني الآثار ج١ ص٢٨٢ وصحيح ابن حبان ج٦ ص١٨٦ وج١٤ ص٢٩٧ و ٢٩٨ ومسند الشاميين ج٤ ص١٣ ومعرفة السنن والآثار ج١ ص٢١٠ وج٢ ص٢٩٩ والاستذكار لابن عبد البر ج١ ص٧٥ وج٢ ص٩٨ و ١٠١ ورياض الصالحين ص٤٩٣ وعقد الدرر ص٢٨٦ ونظم درر السمطين ص٤٢ ونصب الراية ج٢ ص١٧٥ وموارد الظمآن ج٧ ص٢٧ والجامع الصغير ج١ ص٥١٧ والتمهيد لابن عبد البر ج٥ ص٢٠٨ و ٢٠٩ وج٦ ص٣٩٢ و ٣٩٣ وج٢١ ص٦٩ و ٧٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٤٠٧ و ٤٢٢ و ٤٧٧ وفيض القدير ج٣ ص٣٥٤ والتبيان في تفسير القرآن ج٣ ص٥٢٦ ومجمع البيان ج٣ ص٣٣٥ وروض الجنان ج٦ ص٣٨٢ وزبدة التفاسير ج٢ ص٢٦٢ والبرهان (تفسير) ج٢ ص٣٠٠ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٤١٨ وتفسير البغوي ج٣ ص١٢٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٠ والمحرر الوجيز ج١ ص١٨٣ وتفسير الرازي ج٣ ص١٩٤ وج٢٥ ص١٠٥ وتفسير الثعالبي ج١ ص٢٨٥ وتفسير الآلوسي ج١٩ ص١٢٢ والدرر النجفية ج٢ ص٢٧٦ والإحكام لابن حزم ج٤ ص٤٣٣.

ولا ينام قلبه، كما اقتضى أن يرى من ورائه كما يرى من قدامه[١].

إلا أن يقال: إن عيني النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن لم تستيقظا، لكن قلبه مستقيظ، يمارس دوره في الشاهدية على الخلق.

فعدم الاستيقاظ الظاهري تدبير إلهي يهدف إلى التمهيد لخروج الحسنين «عليهما السلام» إلى حديقة بني النجار، لكي تظهر هذه الكرامة لهما هناك.

حيرة الحسنين عليهما السلام:

وما ذكرته الرواية عن حيرة الحسنين حتى بقيا لا يعلمان أين يأخذان، ربما كان له هذا المنحى والمغزى في سياق التدبير الإلهي، لإظهار هذه الكرامة الإلهية لهما.

طاعة الحسنين عليهما السلام لأمهما:

وتقول الرواية: إن الزهراء «عليها السلام» طلبت من ولديها أن يتركا جدهما نائماً، على أن يعودا إليه في وقت آخر، فقالا لسنا ببارحين وقتنا هذا..

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٣٩٩ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٠٦ وج١٠ ص٢٨٠ ومسند أحمد ج٣ ص٢٢٨ وعمدة القاري ج٤ ص١٥٧ و ١٥٨ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص٣٣٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢ ص٢٣٠ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج١ ص١٠٨ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٢ ص٢٧ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٤ ص١٤٩ وفتح الباري ج١ ص٤٣١ وشعب الإيمان ج٣ ص١٣٤ ودلائل النبوة ج٢ ص٦٢٣ والترغيب والترهيب ج١ ص٣٤٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٧ ص٥٢٥ وج١١ ص٤١٨ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٥٠.

فكيف يخالف الحسنان، وهما الإمامان المعصومان أمر أمهما؟!

ويجاب:

أولاً: يبدو: أن الحسنين «عليهما السلام»، لم تلزمهما أمهما بترك جدهما، وإنما عرضت واقترحت عليهما ذلك، وعليهما: أن يتخذا القرار الذي يريانه صلاحاً لهما.

ثانياً: إنهما «عليهما السلام» كانا يعلمان أن جدهما «صلى الله عليه وآله» كان مريضاً، وقد جاءا لعيادته.. واستغراقه في النوم قد جاء على خلاف ما اعتاداه منه، فلعلهما احتملا: أن يكون مرضه دخيلاً في هذه الغفوة غير المعتادة.

مما يعني: أن تركه في هذه الساعة بالذات قد لا يكون قراراً صائباً، إلا إذا كان هناك ظرف قاهر يضطر الإنسان لمراعاته، كما لو كان للأم أطفال آخرون يحتاجون إلى رعايتها، ويستوحشون لغيبتها في مثل تلك الليلة المظلمة والماطرة، والعاصفة..

أما من هو مثل الحسنين «عليهما السلام»، فيكون بقاؤه إلى جانب جده في هذا الظرف بالذات هو الأجدر والأولى به.

ولعل هذا يشير إلى السبب في رجوع الزهراء «عليها السلام» إلى بيتها، وإلى أن بقاء الحسنين «عليهما السلام» مع جدهما «صلى الله عليه وآله» هو الأولى والأصوب، كما قلنا.

ولذا نلاحظ: أن الزهراء «عليها السلام» قد بقيت مع الحسنين «عليهما السلام» إلى أن غلبهما النوم، ولم تناقشهما فيما أبدياه من الرغبة في البقاء.

غادر الحسنان قبل انتباه جدهما!!:

وهنا سؤال آخر يطرح نفسه، وهو: أنه إذا كان الحسنان «عليهما السلام» قد رفضا ترك جدهما في تلك الساعة، ثم ناما على عضدي النبي «صلى الله عليه وآله»، فذهبت أمهما إلى بيتها، فلماذا حين استيقظا تركا جدهما، وخرجا في تلك الليلة المظلمة والمدلهمة، والماطرة قبل استيقاظه «صلى الله عليه وآله»؟!

ويجاب:

بأنه ربما كان هـذا من التدبير الإلهي، الذي يمكن أن يكونا «عليهما السلام» قد عرفا بعض فصوله.. فأرادا المساهمة فيه، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً؟!

وربما تأكد ذلك بملاحظة ما يلي:

أولاً: إنهما خرجا من حجرة عائشة، ولم يقصدا إلى منزلهما الذي كانا يعرفانه حق المعرفة.. وكان لا يبعد عن حجرة عائشة سوى بضعة أمتار، لأن حجرتها ومنزل الزهراء «عليها السلام» كانا في المسجد، فلم يكن هناك حاجة ولا ضرورة للخروج منه، والتوغل في حنايا ذلك الليل المظلم والعاصف.

ثانياً: تقول الرواية نفسها: إنهما حين خرجا في ذلك الليل سطع لهما نور، فمشيا فيه، ومعنى ذلك: أن ذلك النور كان قوياً، وقد كشف لهما تلك الظلمة المدلهمة، واخترق أمطارها الغزيرة.

والتعبير بكلمة «سطع» يرشد إلى هذا المعنى، حيث لم يكن لدى الناس في ذلك الزمان، ما يمكن أن يكون ساطعاً إلى هذا الحد في مثل هذه الحالة..

فإذا انضم إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين استيقظ، وأراد

البحث عن الحسنين «عليهما السلام» قد سطع له أيضاً نور، فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجار، حيث كان الحسنان نائمين.

فذلك يدلنا: على أن هذا النور، وذاك كانا من التدبير الإلهي.. الذي تجلى أيضاً في أنه لم يصبهما شيء من المطر، ولو بمقدار قطرة واحدة، بل «تقشعت السماء فوقهما كطبق» حسب نص الرواية..

هذا، بالإضافة إلى حراسة الحيَّة لهما، ثم كلام الحيَّة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فإن كل ذلك يعطي: أن الحسنين «عليهما السلام» بعد استيقاظهما لم يتوجها إلى منزل أمهما، ثم ضلا الطريق..

بل كانا بصدد البحث عن شيء آخر، ربما كان هو الطعام.. كما يستفاد من قول النبي في دعائه: «هذان شبلاي، خرجا من المخمصة والمجاعة.. اللهم أنت وكيلي عليهما».

ولعل رؤيتهما النور الساطع، قد منحتهما بعض الأمل والأنس، وتوقع الوصول إلى ما أملاه، من سد الرمق، والخروج من المخمصة..

وربما كان المطلوب منهما هو المساهمة في صنع الكرامة الإلهية لهما «عليهما السلام».. لما يترتب على ذلك من تأييد للدين، وربط على قلوب المؤمنين.

حيرة الحسنين عليهما السلام:

وتقول الرواية: «لما بلغا الحديقة حارا، فبقيا لا يعلمان أين يأخذان، فقال الحسن للحسين: إنَّا قد حرنا، وبقينا على حالتنا هذه، وما ندري أين نسلك»؟!

ثم اقترح على أخيه أن يناما في موضعهما.. وهذا القول لا يعني أنهما قد تاها عن الطريق، للغاية التي حدداها.. أو أنهما لا يعرفان طريق الرجوع إلى منزلهما.. فإنهما يعرفان ذلك، ولكنهما يعرفان أيضاً: أن هذا الرجوع لا يدفع جوعاً، ولا ينجي من مخمصة، فاختارا الصبر إلى الصباح، على أمل أن تفتح أمامهما أبواب الرزق.. إن كان غرضهما دفع الجوع.. وإن كان الهدف هو الإسهام في التمهيد للكرامة.. فالأمر يصير أوضح وأصرح..

بل لماذا لا نحتمل أن يكونا من موقع إمامتهما قد اطَّلعا على لوح المحو والإثبات، فوجدا فيه ما دلَّهما على حقيقة وأهداف ما يجري، وعلى ما لهما من دور فيه، أو أن بعض الملائكة الموكلين بحفظهما وتسديدهما أخبروهما بشيء مما قرأوه في ذلك اللوح، أو سمعوه من الملائكة الآخرين؟!

طاعة الحسين للحسن عليهما السلام:

وقد يلاحظ المرء: كيف أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان هو الذي يقترح، ويقرِّر، ويتصرف، والإمام الحسين «عليه السلام» لا يمانع، ولا يعترض، ولا يقترح.. بل يسمع ويطيع.

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على مدى الثقة والتوافق، والانسجام بين الأخوين.

وقد روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» قوله: «ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له، ولا تكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين «عليه السلام»، إعظاماً له»[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٩

ولا يمكن أن يقال: إن طاعة الحسين «عليه السلام»، وهو بهذه السن تكون في العادة طاعة مغفلة، وغير واعية، ولا تدل على فضيلة وامتياز له..

حيث يجاب:

أولاً: بأنه لا يوجد فارق كبير في السن بين الحسنين «عليهما السلام» إلى حدٍ يجعل هذا آمراً، ومقرراً، ومنفذاً، وذلك منقاداً، أو تابعاً، من دون إرادة أو قرار.

ثانياً: إن طفولة الإمام الحسين «عليه السلام» هي طفولة إمامة، وهي تعني: العلم، والمعرفة، والشهود، وغير ذلك من صفات وحالات أظهر الله تعالى جانباً منها في عيسى «عليه السلام»، فإنه حين ولد، وكان في المهد صبياً قال لقومه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[٢].

وتجلت في نبي الله يحيى «عليه السلام» الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٣].

وكل ذلك يشير إلى أن الحسين «عليه السلام» كان يساير أخاه مسايرة

والعوالم ج١٦ ص١٠٠.

(١) الآيات ٣٠ ـ ٣٢ من سورة مريم.

(٢) الآية ٤٦ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ١٢ من سورة مريم.

واعية، ومؤدبة، ومن موقع إدراك صوابية ما يقوم به، وما يفعله في سعيه لنيل رضى الله تبارك وتعالى..

الرعاية والحفظ الإلهي للحسنين عليهما السلام:

ويواجهنا في حديقة بني النجار ذلك المشهد المثير، حيث اكتنفت الحسنين «عليهما السلام» حيَّة لها جناحان، غطت بأحدهما الإمام الحسن «عليه السلام»، وبالآخر الإمام الحسين «عليه السلام»، ولها شعرات كآجام القصب.. وهذان الجناحان، وتلك الشعرات يدلان على أنها ليست حيَّة على نحو الحقيقة، بل هي بتغطيتها بجناحيها للحسنين «عليهما السلام» قد دلَّت على أنها مخلوق أليف، مهتم بحفظ الحسنين «عليهما السلام»، ومحب لهما..

وحين جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المكان، وتنحنح أدركت تلك الحيَّة أن مهمتها قد انتهت، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يتخذ منها موقفاً عدائياً..

وكان كلام الحيَّة دليلاً إعجازياً آخر على أنها كانت تنفذ أمراً صدر لها بحفظ الحسنين «عليهما السلام».

دلالات الرواية:

ودلالات الرواية كثيرة نذكر منها:

١ ـ إن الحيَّة تتكلم..

٢ ـ إن الحيَّة كانت مخلوقاً عاقلاً، وقد اتخذت صفة الحيَّة، ولم تكن كذلك في الواقع..

٣ ـ إنها كانت من الجن المؤمنين..

٤ ـ إن الجن المؤمنين كانوا يأخذون معارفهم الدينية من النبي «صلى الله عليه وآله»..

٥ ـ إن ذلك الفريق من الجن من بني مليح، من نصِّيبين قد نسوا آية من كتاب الله..

والظاهر: أن نسيانها كان عاماً، اضطرهم إلى إرسال الحيَّة كرسول إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليأخذها منه، ويعود إليهم.

٦ ـ يلاحظ: أن الكرامة قد ظهرت على يد رسول جن نصِّبين بالذات، فهل أنسى الله تعالى جنّ نصِّيبين تلك الآية، ليكون رسولهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يظهر هذه الكرامة للحسنين «عليهما السلام»؟!

٧ ـ إن هذا الاهتمام من الجن بحفظ آيات القرآن، وإرسال رسول إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليتعلمها منه ويعود إليهم، يدل على أن على المؤمن أن يهتم بحفظ دينه، وشرعه، وآيات كتاب الله.. ولو احتاج ذلك إلى قطع المسافات، وتحمل المعاناة الكبيرة، والأخطار الكثيرة.

٨ ـ إن حفظ حياة الأنبياء والأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين» هو مما تحكم به العقول للجن، والإنس، والملائكة.

بالإضافة إلى دلالات أخرى أراد الله تعالى أن يعرف الناس بها؟!

ويلاحظ: أن الأمر الذي صدر للحيَّة التي هي من جن نصِّيبين قد تضمن أموراً أربعة، هي التالية:

أولاً: حفظهما من العاهات، وهي الأمراض، التي توجب عيباً ظاهراً.

ثانياً: حراستهما من الآفات، وهي الأمراض المفسدة، ومنه قولهم: آفة العلم النسيان.

ثالثاً: حراستهما من طوارق الليل، وهي التي يبتلى بها الإنسان بسبب الظلمة، كما لو تدحرج حجر أو ارتطم وحش ضخم برجل نائم، فألحق به ضرراً، أو سار شخص في الظلام فوقع في حفرة أو بئر أو ارتطم بحائط، أو عود، أو نحو ذلك..

رابعاً: حراستهما من طوارق النهار، كما لو ضربت سيارة مسرعة رجلاً يعبر الطريق، أو سقط عليه حجر، أو زلت قدمه، فسقط من شاهق.

ادفع إلي شبلي وشبليك:

ويلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدفع أيّاً من ابنيه إلى اللذين عرضا عليه ذلك.. لكن علياً «عليه السلام» قال للنبي: ادفع إليَّ أحد شبلي وشبليك فنسبهما معاً إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وإلى نفسه.. فلو أعطاه «صلى الله عليه وآله» أحدهما لكان أمراً طبيعياً، لأنه سيكون في حضن أبيه، لا في حضن رجل غريب.

وقد رأينا: أنه «صلى الله عليه وآله» اتخذ قراره بعدم تلبية طلب الرجلين بأن يأخذ أحد شبليه ولم يعرض على الحسنين ذلك. ولكن حين جاءه علي «عليه السلام»، عرض على الحسنين «عليهما السلام» اقتراح أبيهما..

فدل ذلك على ما يلي:

أولاً: إن لعلي «عليه السلام» حقاً طبيعياً: أن يطلب أن يكون ابناه، أو أحدهما معه، وليست حاله كحال ذينك الرجلين.. ولذلك لم يمنعه النبي

«صلى الله عليه وآله» كما منعهما، بل سأل الحسنين «عليهما السلام» في ذلك.

ثانياً: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يفرض قراره عليهما.

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» يثق بحسن اختيارهما.

رابعاً: إنهما قد أنصفا أباهما وجدهما على حد سواء فذكرا:

ألف: أنهما يحبان كتف أبيهما، ويحبان كتف جدهما أيضاً..

ب: ذكرا: أن كتف سيد المرسلين أحب إليهما، وهذا هو الصواب الذي لا محيص عنه، وهو ما يقتضيه الإيمان الصحيح والخالص والصريح.

ج: إنهما يعلمان: أن زيادة حبهما للنبي «صلى الله عليه وآله» لا ينافي حبهما لأبيهما علي «عليه السلام»، بل يتلاقى معه، لأن علياً «عليه السلام» هو نفس النبي بمقتضى آية المباهلة.

قوما فاصطرعا:

بقي أن نشير إلى أن حديث المصارعة بين الحسنين «عليهما السلام»، المذكور في هذا النص سيأتي الكلام عنه بعد الفصل التالي في فصل مستقل، فانتظر.

التدليس في رواية هارون الرشيد:

وقد ذكرت الرواية المروية عن هارون الرشيد: أنه حاول تبرئة نفسه من بغض علي وولديه..

ثم يزعم: أنه هو وبني أبيه قد طالبوا مع ولد علي بدم الحسين «عليه السلام» في السهل والجبل وقال: حتى قتلنا قتلته..

ثم ادَّعى: أن ولد علي «عليه السلام» حسدوهم، وخرجوا عليهم، فحلت قطيعتهم.

ونقول:

تضمن كلام هارون تدليساً، وموارية، وكذباً في بيان الحقيقة.

فأولاً: إن نفس كلامه يدل على أن بغض الرشيد لعلي وأبنائه كان شائعاً وذائعاً، ثم دافع عن نفسه، بادِّعاء: أن ولد علي قد حسدوهم، وخرجوا عليهم.

ويلاحظ: أن ما ذكره إنما يبرِّر بغضه لمن خرج عليه، وحسده، وحاربه من ذرية علي «عليه السلام»، فكيف شاع بين الناس: أنه يبغض شخص علي وشخص الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

وإذا كان بنو العباس قد شاركوا في قتل قتلة الحسين «عليه السلام»، فكيف يتهمهم الناس ببغض الحسين، وهم قد قتلوا قتلته؟!

كما أن الإمام الحسن وعلياً «عليهما السلام» لم يحسدا بني العباس، ولم يخرجا عليهم، فكيف يتهم الناس بني العباس ببغضهما «عليهما السلام»؟!

ثانياً: إن الذي قتل قتلة الحسين «عليه السلام» ليسوا هم بني العباس، ولا بني الحسن، بل المختار الثقفي.

ثالثاً: إن بني علي «عليه السلام» لم يشاركوا العباسيين بصورة فعالة في قتال الأمويين.. لكن بني العباس حاولوا التذرع بثارات الحسين لإلهاب مشاعر الناس، وبثّ الحماس فيهم لمحاربة بني أمية، لإزالتهم من السلطة، وجلوسهم مكانهم..

وبعد أن وطَّدوا أركان دولتهم، انصرفوا إلى التنكيل بآل علي «عليه السلام»، بهدف التملص منهم، وأوغلوا في دمائهم أيما إيغال.

وكان أبو مسلم هو الذي تولَّى ذلك، فقد قال الخوارزمي: «وسلَّط عليهم ـ أي على آل علي «عليه السلام» ـ أبا مجرم، لا أبا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، ويطلبهم في كل سهل وجبل»[1].

وكان المنصور، ثم هارون الرشيد، ثم المتوكل أول من اعتدى على قبر الحسين «عليه السلام»، وزوَّاره.. فهدموه، وحرثوه، وحاولوا طمسه، وقطعوا السدرة التي كان زواره يستظلون بها.. وكانوا يلاحقون زوار قبره «عليه السلام»، وينكلون بهم.

ويكفي هنا أن نذكر قول الخوارزمي في ذلك: «إن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة، واقتلع غرس الإمامة»[2].

رواية هارون ورواية زيد الشحام:

يلاحظ: أن رواية الشحام لم تذكر مجيء فاطمة باكية إلى أبيها تطلب منه البحث عن ابنيها.. وقد جاء ذلك في رواية هارون.. وقد تذكر رواية أمراً يرى الراوي ضرورة ذكره.. لكن الراوي الآخر لا يذكر ذلك الأمر لتعلق غرضه بنقل ما هو أهم، ونفعه أعم بنظره.

---

(١) رسائل الخوارزمي (طبع القسطنطينية سنة ١٢٩٧هـ) ص١٣٠ وضحى الإسلام ج٣ ص٢٩٦ و ٢٩٧.

(٢) رسائل الخوارزمي وراجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا (الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ) ص١٠٢ و (الطبعة الثالثة سنة ١٤٣٠هـ) ص١٢٣.

ولعل فاطمة «عليها السلام» قد باتت ليلتها، وهي مطمئنة إلى أن ولديها في كنف جدهما.. وبعد طلوع النهار بلغها أنهما ليسا عنده، فخرجت إليه باكية.

وقد يترجّح في النظر: أن تكونا قصتين مختلفتين، كما يشهد له الاختلاف الظاهر بينهما.

ثقة فاطمة بالله:

وقد يجيز البعض لنفسه: أن يتساءل عن سبب بكاء فاطمة، هل هو لضعف ثقتها بحفظ الله تعالى لولديها؟! ألم تكن تعلم ـ استناداً إلى قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ـ: أن الله تعالى سوف يحفظهما حتى يكبرا ويتوليا أمر الإمامة بعد أبيهما؟!

ونجيب:

بأن علمها بسلامتهما، وبقائهما على قيد الحياة، لا يعني: أن لا تخشى عليهما من التعرض لمكاره ومصائب لا تبلغ بهما حدَّ الموت، وهي لا تريد أن يتعرضا لأي مكروه، مهما كان حجمه، أو نوعه.

هما فاضلان في الدنيا والآخرة:

إن جبرائيل حين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بمكان وجود الحسنين «عليهما السلام»، قد أشار في كلامه إلى أمور أخرى ترتبط بهما، فذكر:

أولاً: أنهما فاضلان في الدنيا.. والإنسان الفاضل لا يتصرف بطيش ورعونة، ولا ينقاد للهوى، بل يتصرف بروية وحكمة، ورصانة ووعي.

ثانياً: يلاحظ: أن جبرئيل قد ألمح إلى مقارنة ينبغي أخذها بنظر الاعتبار،

لأنها تحدد مقدار ما لهما «عليهما السلام» من فضل، وذلك حين قال: «وأبوهما خير منهما»، ليدل على أن من يسبقهما، ويزيد عليهما في الفضل هو أبوهما فقط، الذي تقول آية المباهلة: إأنه نفس النبي «صلى الله عليه وآله».. مع أن أباهما كان رجلاً كاملاً، وهما كانا حينئذٍ في سن الأطفال، ربما لم يتجاوز عمرهما عدد أصابع اليد الواحدة.. مع التذكير: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس طرفاً في هذه المفاضلة، لأن المطلوب هو بيان فضل من عداه..

ثالثاً: إن من يبلغ في الفضل درجة لا يدانيه فيها أحد سوى النبي الخاتم، ووصيه الأعظم برغم صغر سنه، لا بد أن يكون مشمولاً لألطاف الله، مرعياً بعين عنايته.. ولأجل ذلك كان له ملك يحرسه، فلا موضع للخوف عليه.

رابعاً: ليس في الرواية ما يدل على مقصد الحسنين «عليهما السلام» حين خروجهما من بيتهما، فلا مجال للقول: إن خروجها، ثم عدم معرفتهما بطريق العودة يضع علامة استفهام حول ما يقال عن درجة وعيهما، وحكمتهما، وما إلى ذلك.

خير الناس أماً وأباً وجداً:

تقول الرواية المتقدمة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر الناس: بأن الحسنين «عليهما السلام» هما خير الناس أباً وأماً، وجداً وجدة، وعماً، وعمة، وخالاً وخالة..

ونقول:

إن فضل الحسن والحسين «عليهما السلام» في صفاتهما الذاتية، وميزاتهما الأخلاقية، وسائر ما لديهما من كمالات أمر ثابت، ومشهود، ولا يمكن

المراء فيه..

ولكن قد يظن ظان: أن هذه الكمالات والفضائل قد لا تكون متجذرة في عمق الذات، بل هي مكتسبة من الرفيق والصديق، وربما تأثرت بعامل وراثي.. فإن العرق دسَّاس، من طرف عم أو خال، أو ما إلى ذلك..

ويشهد لذلك: قول علي «عليه السلام» لابنه محمد ابن الحنفية: «أدركك عرق من أمك»[١].

فاستعرض النبي «صلى الله عليه وآله» لائحة الأقارب الذين هم المصادر المحتملة للعرق الدسَّاس، ليدل على أنهم أيضاً كانوا في أرقى درجات الصفاء والنقاء، والطهر، والخلوص من الشوائب.

وقد رأينا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجمل الكلام، بل تعمد التصريح بالموارد، ويصف كل واحد منها: بأنه هو الخير، والأفضل من سائر الناس الذين يتفقون معه في التوصيف بوصف الأم، أو الأب، أو الخال، أو الخالة، أو العم، أو العمة، أو الجد، أو الجدة..

ملاحظات وتساؤلات:

يلاحظ على رواية هارون ما يلي:

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٣ و ٢٤٤ وقاموس الرجال ج٩ ص٢٤٥ عنه، وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٨ ومروج الذهب ج٢ ص٣٦٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٣٢ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ والجمل لابن شدقم ص١٤١.

١ ـ ذكرت الرواية من خالات الحسنين «عليهما السلام» خصوص زينب.. فإن كان المقصود هو زينب زوجة أبي العاص بن الربيع، فيرد عليه سؤال:

أولاً: عن السبب في عدم ذكر رقية وأم كلثوم، زوجتي عثمان معها.

ثانياً: إن الجزم بإرادة زينب هذه يحتاج إلى دفع جميع الشواهد التي ذكرناها في كتبنا، عن أن زوجة أبي العاص، وزوجتي عثمان لسنَ بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، بل هنَّ ربيباته.

وقد ذكرنا في كتبنا:

١ ـ الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» شواهد عديدة على هذا الأمر لم نذكرها في سائر كتبنا.

٢ ـ هناك طوائف من الشواهد الأخرى على ذلك في كتابنا: البنات ربائب: قل هاتوا برهانكم.

٣ ـ وفي كتابنا: القول الصائب في إثبات الربائب.

٤ ـ وفي كتاب: بنات النبي «صلى الله عليه وآله» أم ربائبه؟!

٥ ـ وفي كتاب: ربائب الرسول (شبهات وردود).

وإن كان المقصود بزينب هو بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، التي ماتت وهي صغيرة.. فيرد سؤال عن سبب عدم ذكره رقية، وأم كلثوم أيضاً، فقد ماتتا وهنَّ صغيرتان أيضاً.

إلا إذا قيل: إنه «صلى الله عليه وآله» يعلم: أن ابنته زينب لو عاشت

وكبرت لكانت مقدمة في تقواها وصلاحها على أختيها، وإن كانتا أيضاً ستكون لهما درجات عالية في ذلك.. لكن هذا يبقى مجرد احتمال يحتاج إلى شاهد.

وذكرهما في روايات أخرى لا يدفع هذا الإشكال على هذه الرواية، ولا يؤكد صحة الروايات الأخرى التي ذكرتهما، بل ستبقى الشبهة قائمة.

٢ ـ استنكر البعض ذكر زينب في الرواية، إذ لا يصح أن تقرن طفلة ماتت في الجاهلية، بعلي، وفاطمة، وجعفر، وخديجة.

ونجيب:

أولاً: إن الرواية نفسها التي قرنت زينب الصغيرة بهؤلاء الصفوة قد ذكرت القاسم وإبراهيم، مع أنهما قد ماتا وهما صغيران.. فلماذا قرنتهما بعلي، وفاطمة، وخديجة، وجعفر الخ..؟!

ثانياً: لا يستطيع أحد أن يدرك ما سيكون عليه حال هؤلاء الصغار لو عاشوا وكبروا في الفضل، والاستقامة، والتقوى. وقد روي: أن إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لو عاش لكان نبياً[(١)].

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٥٨ وج٢٤ ص٢٦٤ وج٦٥ ص٥٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٠٩ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٤٧ ومسند أحمد ج٣ ص١٣٣ وفتح الباري ج١٠ ص٤٧٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١١٥ والجامع الصغير ج٢ ص٤٣٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٤٦٩ و ٤٧٠ وج١٢ ص٤٥٥ وكشف الخفاء ج٢ ص١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٣٦٠ وتفسير فرات الكوفي ص٥٨٦ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٧٢٠ وتفسير كنز الدقائق ج١٤ ص٣٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٩

ولكن بما أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده. لم يكن من المصلحة لإبراهيم، ولا من مصلحة الدين والأمة أن يعيش ويكبر، فقبضه الله إليه..

إلا أن يقال: المراد: أنه لو عاش إبراهيم لكان في فضله، وعلمه، وسائر ميزاته في مستوى نبي..

وهذا يؤكد ما قلناه، ولا ينقضه.

٣ ـ كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يشر في هذه الرواية إلى إبراهيم، ربما لكي لا ينبري بعض الناس ليقول: إن إبراهيم لم يكن من أم حرة.. وإنما يريد «صلى الله عليه وآله» بيان فضل أبناء وبنات الأحرار من الأمهات، لا الإماء.

أو لعل هذا القول قد قيل قبل ولادة إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقال بعض الإخوة الأكارم ما يلي:

«يلاحظ: أن الرواية لم تقارن بين علي وفاطمة وخديجة.. وبين زينب

والإصابة ج١ ص٣١٩ و ٣٢٠ وأسد الغابة ج١ ص٤٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٤٠ والمحاضرات والمحاورات ص٣٠٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٢ و ٦١٣ والخصائص الكبرى ج٢ ص٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٥ و ٢٦ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٨٣٢ وينابيع المودة ج٢ ص٥٢ و ٨٠ و ١٠٠ وغاية المرام ج٣ ص٣٠١ وذخائر العقبى ص١٥٦.

الصغرى، أو إبراهيم، أو القاسم.. بل قارنت بين هؤلاء كخال، أو خالة، وبين أخوال وخالات سائر الناس، ممن عدا الحسنين «عليهما السلام»، فخالهما، وخالتهما خير خالة وخال، وعمهما وعمتهما خير عم وعمة.. كما أن أباهما وأمهما خير أب وأم.. كل ذلك بصرف النظر عن المقارنة بين هؤلاء الأقارب أنفسهم، ومرتبة كل منهم في الفضل والكمال.. والله أعلم». انتهى.



الفصل السابع

عطفاً على ما سبق..

روايات لها نفس السياق:

عن سلمان الفارسي قال: أهدي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» قطف من العنب في غير أوانه، فقال لي: يا سلمان، ائتني بولديَّ الحسن والحسين ليأكلا معي من هذا العنب.

قال سلمان الفارسي: فذهبت أطرق عليهما منزل أمهما، فلم أرهما.. فأتيت منزل أختهما أم كلثوم، فلم أرهما.. فجئت، فخبَّرت النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك.

فاضطرب، ووثب قائماً وهو يقول: وا ولداه، وا قرة عيناه، من يرشدني عليهما فله على الله الجنة.

فنزل جبرئيل من السماء، وقال: يا محمد، علام هذا الانزعاج؟!

فقال: على ولديَّ الحسن والحسين، فإني خائف عليهما من كيد اليهود.

فقال جبرئيل: يا محمد، بل خف عليهما من كيد المنافقين، فإن كيدهم أشد من كيد اليهود، واعلم يا محمد: أن ابنيك الحسن والحسين نائمان في حديقة أبي الدحداح.

فصار النبي «صلى الله عليه وآله» من وقته وساعته إلى الحديقة، وأنا معه،

حتى دخلنا الحديقة.. وإذا هما نائمان، وقد اعتنق أحدهما الآخر، وثعبان في فيه طاقة ريحان يروِّح بها وجهيهما.

فلما رأى الثعبان النبي «صلى الله عليه وآله» ألقى ما كان في فيه، فقال: السلام عليك يا رسول الله، لست أنا ثعباناً، ولكني ملك من ملائكة [الله] الكروبيين، غفلت عن ذكر ربي طرفة عين، فغضب علي ربي، ومسخني ثعباناً كما ترى، وطردني من السماء إلى الأرض.

وإني منذ سنين كثيرة أقصد كريماً على الله، فأسأله أن يشفع لي عند ربي، عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت أولاً، إنه على كل شيء قدير.

قال: فجثا النبي «صلى الله عليه وآله» يقبلهما حتى استيقظا، فجلسا على ركبتي النبي، فقال لهما النبي «صلى الله عليه وآله»: انظرا يا ولدي، هذا ملك من ملائكة الله الكروبيين، قد غفل عن ذكر ربه طرفة عين، فجعله الله هكذا، وأنا مستشفع بكما إلى الله تعالى، فاشفعا له.

فوثب الحسن والحسين «عليهما السلام»، فأسبغا الوضوء، وصليا ركعتين، وقالا: اللهم بحق جدنا الجليل الحبيب محمد المصطفى، وبأبينا علي المرتضى، وبأمنا فاطمة الزهراء، إلا ما رددته إلى حالته الأولى.

قال: فما استتم دعاؤهما، فإذا بجبرئيل قد نزل من السماء في رهط من الملائكة، وبشر ذلك الملك برضى الله عنه، وبرده إلى سيرته الأولى، ثم ارتفعوا به إلى السماء، وهم يسبحون الله تعالى.

ثم رجع جبرئيل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وهو متبسم، وقال: يا رسول الله، إن ذلك الملك يفتخر على ملائكة السبع السماوات ويقول لهم:

من مثلي، وأنا في شفاعة السيدين السبطين الحسن والحسين[١].

الحسنان عليهما السلام في كهف:

حدث محمد بن يزيد المبرد النحوي في إسناد ذكره قال: انصرف النبي إلى منزل فاطمة فرآها قائمة خلف بابها، فقال: ما بال حبيبتي ههنا؟!

فقالت: ابناك خرجا غدوة، وقد غبي علي خبرهما.

فمضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقفو آثارهما، حتى صار إلى كهف جبل، فوجدهما نائمين، وحيَّة مطوقة عند رؤسهما. فأخذ حجراً وأهوى إليها.

فقالت: السلام عليك يا رسول الله! والله ما نمت عند رؤوسهما إلا حراسة لهما.

فدعا لها بخير، ثم حمل الحسن على كتفه اليمنى، والحسين على كتفه اليسرى، فنزل جبرئيل، فأخذ الحسين وحمله.

فكانا بعد ذلك يفتخران، فيقول الحسن: حملني خير أهل الأرض.

ويقول الحسين: حملني خير أهل السماء[٢].

٥ ـ وبإسناده عن الطبراني، بإسناده عن سلمان قال: كنا حول النبي

---

(١) المنتخب للطريحي ج٢ ص٢٦٠ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٤٥٤ و ٤٥٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٣ و ٣١٤ وراجع: العوالم ج١٦ ص٦٦ ومعالي السبطين ج١ ص٨٣ بتفاوت يسير.

(٢) مثير الأحزان ص١١ و ١٢ عن تاريخ البلاذري، وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٦ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٨٧ و ٢٨٨ وج٤ ص١٨ و ١٩ ولواعج الأشجان ص١٣.

«صلى الله عليه وآله»، فجاءت أم أيمن، فقالت: يا رسول الله، لقد ضلَّ الحسن والحسين، وذلك عند ارتفاع النهار.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قوموا فاطلبوا ابني.

فأخذ كل رجل تجاه وجهه، وأخذت نحو النبي «صلى الله عليه وآله»، فلم يزل حتى أتى سفح الجبل، وإذا الحسن والحسين «عليهما السلام» ملتزق كل واحد منهما بصاحبه، وإذا شجاع[1] قائم على ذنبه، يخرج من فيه شبه النار.

فأسرع إليه رسول الله، فالتفت مخاطباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم انساب، فدخل بعض الأجحرة[2].

ثم أتاهما فَأَفْرق بينهما، ومسح وجوههما، وقال: بأبي وأمي أنتما، ما أكرمكما على الله.

ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن، والآخر على عاتقه الأيسر.

فقلت: طوبا لكما، نِعْمَ المطية مطيتكما.

فقال رسول الله: ونِعْمَ الراكبان هما، وأبوهما خير منهما[3].

---

(١) الشجاع ـ بالضم والكسر ـ الحيَّة، أو ذكر الحيَّة.

(٢) كأنه جمع جحر، وهو مكان تحتفره الهوام والسباع لأنفسها، والقياس في جمعه: جحرة وأجحار.

(٣) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٨ و ٣٠٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٦٥ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٦٢ و ٦٦٣ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٤٣٢ و ٤٣٣ ودلائل الصدق ج٦ ص٤٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص١٨٨

ونقول:

أخت الحسنين عليهما السلام:

ذكرت رواية سلمان المتقدمة: أن سلمان لم يجد الحسنين «عليهما السلام» في منزل أمهما، ولا في منزل أختهما أم كلثوم..

ويحق لنا أن نتساءل:

هل المقصود بأم كلثوم هو زينب «عليها السلام»، التي يقال: إنها ولدت في سنة ست للهجرة؟! أو المقصود أختها أم كلثوم التي ولدت بعدها؟!

وفي كلتا الحالتين: هل كان لزينب، أو أم كلثوم منزل منفصل عن بيت أبيها وأمها، وهي لم تزل في طور الطفولة، بعمر سنة أو سنتين، أو ثلاث على أبعد التقادير؟!

إلا أن يُدَّعى: أنه لم يجد الحسنين «عليهما السلام» في الغرفة المخصصة لأم كلثوم!

ولكننا أيضاً نتساءل: هل كانت الزهراء «عليها السلام» قد خصصت لأولادها غرفاً، لكل واحد غرفة على حدة؟! وهل كان ذلك البيت يشتمل على غرف عديدة بعدد الأشخاص والأولاد، حتى الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا بحث عنهما سلمان في منزل أمهما، ومنزل

و ١٨٩ وج١٩ ص٢٠١ و ٢٠٢ وج٢٦ ص٢٨٣.

إختهما أم كلثوم، ولم يفتقدهما في منزلهما أيضاً؟!

إلا أن يقال: إن في الرواية خطأً إملائياً يتمثل بزيادة حرف الميم في قوله «اختهما»، والصحيح: «اختها». أي أخت الزهراء «عليها السلام».. لكن هذا يبقى مجرد احتمال..

من يرشدني للحسنين، فله الجنة:

وعن قول الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «من يرشدني عليهما فله على الله الجنة» نقول:

أولاً: الذي نعرفه أن المناسب هنا أن يقول: «من يرشدني إليهما» لا أن يقول: من يرشدني عليهما.. إلا على سبيل تضمين الإرشاد معنى الدلالة.. ولكنه تضمين لم يأت بجديد لكي يصار إليه..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» جعل نفس الإرشاد إلى موضع الحسنين كافيا لاستحقاق الجنة.. فكيف يمكن تعقل أن يكون هذا الإرشاد له هذه المكافأة؟!

ويجاب:

ألف: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل من يرشدني إليهما فله الجنة، بل أضاف كلمة: «على الله» ليفيد معنى الاستحقاق لذلك المرشد، وأنه ليس عطاء تفضلياً، بل هو حق ثابت له، يمكنه المطالبة به.

ب: لعل الوجه في صيرورة ذلك حقاً: أن من يرشد إليهما إذا كان قد تابع حركتهما من حين خروجهما من بيتهما، رغبة في الاطمينان إلى سلامتهما،

مع الاستعداد للتدخل لدفع أي سوء، أو مكروه يمكن أن يتعرضا له.. فمن يضع نفسه في موضع المراقب والراعي، والهادي، والحافظ، والغيور على سلامتهما.. لا يكون إلا محبّاً وفيّاً، ووليّاً، صفيّاً، يستحق الجنة بعمله هذا.. الناشئ عن النية الطيبة، وعن الإخلاص والإيمان، والحرص على الدين وأهله.

أو يقال: إن قيمة وعظمة الحسنين بالنسبة للدين تجعل حتى من يرشد إليهما، ولو لأجل رؤيته لهما بصورة عفوية، مستحقاً لهذه الجائزة العظيمة، من حيث إن هذا يمكن أن يعدّ من التوفيقات الإلهية له.

خوف النبي صلى الله عليه وآله على الحسنين عليهما السلام:

تقول الرواية: إنه لمَّا عرف النبي «صلى الله عليه وآله» من سلمان: بأن الحسنين خرجا من منزل أبويهما، ولم يعودا اضطرب، ووثب قائماً، وهو يقول: وا ولداه، واقرة عيناه إلى أن قال له جبرئيل: يا محمد علام هذه الانزعاج؟!

ويجاب:

بأن هناك نوعين من الأمور التي يُخاف منها على الحسنين «عليهما السلام»:

الأول: الأحداث الداهمة بصورة عشوائية، وغير محسوبة، ولا مجال لتوقعها.

وهذه الأمور يمكن أن تتدخل الإرادة الإلهية لدفعها، دون أن يلزم من ذلك ظلم وعدوان، أو مصادرة لقرار أحد، أو قهر لإرادته..

ولأجل ذلك رأينا السماء تمطر بشدة، ولا يصيب الحسنين «عليهما السلام» من المطر قطرة، كما أن صونهما من العاهة والآفة لا يضر العاهة، ولا الآفة بشيء، كما أن تغيير مسير حجر يسقط من شاهق مثلاً، حتى لا يصيب من

يريد الله حفظه ليس فيه أي محذور.

الثاني: أن يكون الخوف على الحسنين من فاعل مختار، كاليهود أو المنافقين. فإن الله لا يردعهم عن عدوانهم بالقوة والقهر، لأن ذلك يعدُّ ظلماً لهم..

ولو نهاهم عن العدوان، ولم يحاسبهم عليه، فذلك يعدُّ انتقاصاً من حق المظلوم، المعتدى عليه..

ولكن يمكن أن يلهم الله وليه: بأن يتحرز من ذلك الظالم، ويعمِّي عليه السبل.. أو يلهمه أن يلقي حفنة من تراب في وجوه مترصِّديه، فلا يتمكنون من رؤيته، وهو يخرج من بينهم كما حصل للنبي «صلى الله عليه وآله» مع المشركين الذين اجتمعوا على بابه لقتله ليلة خروجه إلى الغار، ثم الهجرة إلى المدينة.. ومبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» على فراشه وقاية له.

المنافقون أشد كيداً من اليهود:

١ ـ وذكرت رواية سلمان: أن المنافقين أشد كيداً من اليهود، مع أن الله تعالى يقول: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾[1]. فكيف نوفق بين هذين الأمرين؟!

ونجيب:

أولاً: إن المنافقين الذين تتحدث عنهم الرواية هم الذين كانوا على الشرك ثم أظهروا الإسلام، وقدصرحت الآية: بأن الذين أشركوا يشاركون اليهود في شدة عدواتهم للذين آمنوا.

---

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة.

ثانياً: إن المنافق قد يكون من اليهود المتظاهرين بالإسلام بهدف الكيد للإسلام، أو من سائر الأديان التي ليست بريئة من الشرك ولو بمعناه العام.

ثالثاً: إن اليهود عدو ظاهر، معلوم الحال.. فيمكن تلافي الكثير من مكائده من خلال مراقبته، ورصد حركته، وتضييق سبل المكر والغدر عليه.

رابعاً: لقد قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(١).

خامساً: تبين مما تقدم: أن مستوى العداوة لا يلازم مستوى الخطورة.. فقد يكون الأقل عدواة أشد خطورة.. حتى لو كان الذي يحركه إلى العدوان هو من اليهود الذين اشتدت عداوتهم..

٢ ـ إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» أعلم من جبرئيل، وكان جبرئيل «عليه السلام» يتعلم منه، فلماذا عرف جبرئيل أن المنافقين أشد خطراً من اليهود، ولم يعرف النبي «صلى الله عليه وآله» هذه الحقيقة حتى عرَّفه بها جبرئيل؟!

ونجيب:

بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعلم أن المنافق أخطر من اليهودي.. ولكن لم يكن من المصلحة أن يكون هو من يعلن وجود المنافقين بين أصحابه. فإن ذلك ليس فقط يجرئهم عليه، بل يحدث اختلالات خطيرة في التعامل، وفي العلاقات، ويحد من القدرة على استصلاحهم، ومن إمكانية التأثير على عوائلهم،

---

(١) الآية ٤ من سورة المنافقون.

وعشائرهم.. ومن يأتمر بأوامرهم. كما أنه يوجب عداوة، وانكماشاً، وحذراً، وتحرزاً من التعامل مع المسلمين بيسر، وسهولة، وعفوية.. وهذا يصعِّب على النبي «صلى الله عليه وآله» هدايتهم، وهداية أبنائهم، وإخوانهم، ومن يلوذ بهم..

ولأجل ذلك كانت السياسة الإلهية تقضي بالإشارات الإجمالية لوجود منافقين تأتي من قِبَل الله، أو من قِبَل جبرئيل.. بل هناك تصريح في آية قرآنية ستبقى تتلى إلى يوم القيامة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعرف قسماً من أولئك المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم بصورة تفصيلية، فقد قال الله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾**[١].

أبو الدحداح، أم بنو النجار؟!:

إذا فرضنا: أن الروايات في هذين الفصلين تتحدث عن واقعة واحدة، ـ وإن كنا نستبعد ذلك ـ فإننا نقول:

لا منافاة بين قول الرواية المتقدمة: إن الحسنين «عليهما السلام» كانا نائمين في حديقة بني النجار، ورواية سلمان المتقدمة التي تذكر نومهما في حديقة أبي الدحداح، واسمه ثابت، فلعل أبا الدحداح كان من بني النجار، أو من مواليهم، أو كانت حديقته قريبة، أو ملاصقة لحديقتهم، ولعلها كانت قريبة من الجبل أيضاً، أو من الكهف، حسبما ورد في الروايات الأخرى..

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

فتصح نسبة الحديقة إلى الدحداح، لأجل هذه الخصوصية، أو تلك المجاورة، أو المعروفية والشهرة، أو لكونها تحدد الموقع بصورة أدق.

ويقال: إن أبا الدحداح استشهد يوم أحد(١).

وقيل: بل استشهد مرجع النبي «صلى الله عليه وآله» من الحديبية(٢).

يحرسهما ملك من الكروبيين:

١ ـ صرحت الرواية المتقدمة في الفصل السابق: بأن الحيَّة التي حرست الحسنين «عليهما السلام» في حديقة بني النجار كانت من جن نصِّيبين..

لكن الروايات التي ذكرناها في هذا الفصل تقول: إن الحيَّة كانت ملكاً.

وفي إحداها: أنه ملك من الكروبيين.

وهذا يؤيد ما نرجِّحه من تعدد الوقائع التي تحدثت الروايات عنها.

---

(١) راجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج١ ص٢٠٣ وج٤ ص١٦٤٥ وأسد الغابة ج١ ص٢٢١ و ٢٢٢ والإصابة ج١ ص٥٠٣ وقاموس الرجال ج٢ ص٤٤٤ وج١١ ص٣١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٤ ص٢٧٧ و ٢٧٤ والمغازي للواقدي ج١ ص٢٨١ وإمتاع الأسماع ج١ ص١٦٥ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٢٦.

(٢) راجع: قاموس الرجال ج٢ ص٤٤٤ والجوهر النقي ج٦ ص٢١٦ وكشف المشكل لابن الجوزي ج١ ص٤٦١ و ٤٦٢ والإصابة ج١ ص٥٠٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٧٦ والوافي بالوفيات ج١٠ ص٢٧٩ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٢٦.

٢ ـ إن الرواية التي تقول: إن الملك كان من الكروبيين ذكرت أمراً يحتاج إلى تأمل وتدبّر، فإن ذلك الملك قال: «غفلت عن ذكر ربي طرفة عين، فغضب علي ربي، ومسخني ثعباناً كما ترى، وطردني من السماء إلى الأرض.. وإني منذ سنين كثيرة أقصد كريماً على الله، فأسأله أن يشفع لي عند ربي، عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت».

ونقول:

يلاحظ ما يلي:

ألف: إن ما يذكر عن هذا الملك يشبه إلى حد كبير ما يذكر من قصة فطرس، ودردائيل، وسواهما من الملائكة الذين قصَّروا في أداء وظائفهم، فابتلاهم الله بالحرمان، وأهبطهم إلى الأرض.

٢ ـ إن الأرض مرتع للشياطين، وموضع انطلاق الأهواء، والبحث عن الشهوات، والتفاعل مع المغريات، وتنتشر فيها الأباطيل والأضاليل، فهي بالنسبة للملائكة تُعَدُّ انحطاطاً هائلاً عن مقامات الطهر، والعلم، والمعرفة، وقراءة ما في لوح المحو والإثبات، والإخلاص، والعبادة التي تتوفر لهم في السماء.

فإنزال الملك إلى الأرض يُعَدُّ طرداً له من مواقع الرحمة، والسمو، والرضا.. فكيف إذا كان إنزاله إلى الأرض يمثل حرماناً من العطايا والألطاف، وعلى سبيل العقوبة له، فإن الأمر سيكون أشد إيلاماً، وأعظم وقعاً..

٣ ـ إن هذا المَلَك قد اعتبر صيرورته على شكل ثعبان من قبيل المسخ المهين والمشين.

٤ ـ إن التأمل في الأمور يعطي: أن الملائكة موجودات عاقلة وحكيمة، ومختارة، ولها تكاليف، ووظائف، وواجبات تقوم بها.. فتستحق المثوبة والدرجة لتحقق الطاعة منها، وتستحق الحرمان والإهباط إلى الأرض لو تلكأت في ذلك..

٥ ـ إن ملائكية المَلَك، وعصمته، ومقاماته.. إنما يحصل عليها بفعله، وجهده، وعبادته، وإخلاصه، ومثابرته، وكدِّه، وسعيه، وذكره لله تعالى..

فإذا قصَّر في ذلك، فإنه يكون هو الذي تسبب لنفسه بالحرمان من العطايا، ويخسر موقعه ومقامه، الذي لم يرفده بأسباب الثبات والقوة، والبقاء، والاستمرار، من الأذكار والعبادات، ولم يبذل في سبيل ذلك الجهد، والسعي لتكون بمثابة الزيت الذي يغذي شعلة السراج، فإذا نضب الزيت، وحصلت الغفلة من المَلَك عن ذكر الله، ولو بمقدار طرفة عين، انطفأت الشعلة.. فالعمل سبب، والعطايا والمقامات مسبب، فإذا فُقِد السبب، فُقِد المسبب تبعاً له.

دعاء الحسنين عليهما السلام للمَلَك:

١ ـ وقد ذكرت رواية سلمان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدعُ لذلك الملك، بل أوكل الأمر إلى الحسنين «عليهما السلام».. لكن الرواية قالت: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «.. وأنا مستشفع بكما إلى الله، فاشفعا له».. وهذا توسل منه «صلى الله عليه وآله» بالحسنين «عليهما السلام»، وهو طلب الشفاعة منهما لذلك المَلك عند الله عز وجل.. وفيه إظهار لفضلهما،

وأهليتهما لهذا الأمر العظيم مع صغر سنهما..

٢ ـ يلاحظ: أن الحسنين «عليهما السلام» بادرا إلى تنفيذ أمر جدهما، لأنهما يعرفان: أن الأمر صدر ليطاع، لأن المطلوب هو إظهار محلهما عند الله، من خلال استجابة دعائهما في ملائكته سبحانه، وظهور هذا الأمر فيه مصلحة للدين وللأمة، وتعريف لها من خلال أمر حسي، لا مجال للمراء فيه بموقعهما «عليهما السلام» من هذا الدين.

وهذا يعطي الأمة انطباعاً واقعياً، وحقيقياً عنهما، وأنهما ليسا مجرد طفلين صغيرين كسائر الأطفال الصغار، بل هما إمامان، يجمعان صفات الإمامة، وميزاتها، وهما بهذه السن أيضاً.

٣ ـ واللافت هنا: أن الحسنين «عليهما السلام» أقسما على الله:

ألف: بحق جدهما، الجليل الحبيب محمد المصطفى «صلى الله عليه وآله».

ب: بأبيهما علي المرتضى «عليه السلام».

ج: بأمهما فاطمة الزهراء «عليها السلام».

إلا ما ردَّه إلى حالته الأولى، فما استتم الدعاء، حتى استجاب الله تعالى لهما.

وهذا من الشواهد الكثيرة على مشروعية التوسل بالنبي «صلى الله عليه وآله» وأهل البيت «عليهم السلام»، وهو الأمر الذي يحاربه الحاسدون والحاقدون على أهل البيت «عليهم السلام».

ابناك خرجا غدوة:

وتقدم في حديث المبرد النحوي: أن فاطمة «عليها السلام» قالت لأبيها

«صلى الله عليه وآله»: «ابناك خرجا غدوة، وقد خبي [أو غبي] علي خبرهما».

ولم تقل له: ولداي خرجا.. أو الحسنان خرجا..

ولعل السبب في ذلك:

أولاً: أنها كانت تدرك: أن قريشاً وأشياعها وأتباعها كانوا يتعاملون مع الأمور بالمفاهيم والمنطلقات الجاهلية..

ومن هذه المفاهيم المغلوطة: دعوى: أن أبناء البنت لا يعدُّون في جملة أبناء الرجل.. مما يعني: أنها كانت تتوقع أن يفكر هؤلاء في إنكار انتساب الحسنين «عليهما السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إنها كانت باستعمالها هذا النوع من التعابير تريد أن تثير مكامن العاطفة، والحب لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليكون ذلك من دواعي الاسراع في حسم الأمر..

الحسن يبحث عن الحسين عليهما السلام:

روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج من المدينة غازياً، وأخذ معه علياً. وبقي الحسن والحسين «عليهما السلام» عند أمهما، لأنهما طفلان صغيران.

فخرج الحسين «عليه السلام» ذات يوم من دار أمه يمشي في شوارع المدينة، وكان عمره يومئذ ثلاث سنين، فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة، فجعل يسير في جوانبها، ويتفرج في مضاربها، فمر على يهودي يقال له صالح بن رقعة (زمعة) اليهودي، فأخذه إلى بيته، وأخفاه عن أمه، حتى

بلغ النهار إلى وقت العصر، والحسين «عليه السلام» لم يتبين له أثر.

فطار قلب فاطمة بالهم والحزن على ولدها الحسين «عليه السلام»، فصارت تخرج من دارها إلى باب مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» سبعين مرة، فلم تر أحداً تبعثه في طلب الحسين «عليه السلام».

ثم أقبلت إلى ولدها الحسن «عليه السلام» وقالت له: يا مهجة قلبي، وقرة عيني، قم واطلب أخاك الحسين «عليه السلام»، فإن قلبي يحترق من فراقه.

فقام الحسن وخرج من المدينة، وأتى إلى دور حولها نخيل كثير، وجعل يصيح: يا حسين بن علي، يا قرة عين النبي، أين أنت يا أخي؟!

قال: فبينما الحسن «عليه السلام» ينادي، إذ بدت له غزالة في تلك الساعة، فألهم الله الحسن أن يسأل الغزالة، فقال لها: يا ظبية، هل رأيت أخي حسيناً؟!

فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله وقالت: يا حسن، يا نور عيني المصطفى، وسرور قلب المرتضى، ويا مهجة فؤاد الزهراء، اعلم أن أخاك أخذه صالح اليهودي، وأخفاه في بيته.

فسار الحسن حتى أتى دار اليهودي، فناداه، فخرج صالح، فقال له الحسن: يا صالح، أخرج إلي الحسين «عليه السلام» من دارك، وسلمه إلي. وإلا أقول لأمي: تدعو عليك في أوقات السحر، وتسأل ربها حتى لا يبقى على وجه الأرض يهودي، ثم أقول لأبي: يضرب بحسامه جمعكم حتى يلحقكم بدار البوار، وأقول لجدي: يسأل الله سبحانه أن لا يدع يهودياً إلا

وقد فارق روحه.

فتحير صالح اليهودي من كلام الحسن، وقال له: يا صبي، من أمك؟!

فقال: أمي الزهراء بنت محمد المصطفى، قلادة الصفوة، ودرة صدف العصمة، وغرة جمال العلم والحكمة، وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر، ولمعة من أنوار المحامد والمآثر، خمرت طينة وجودها من تفاحة من تفاح الجنة، وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأمة، وهي أم السادة النجباء، وسيدة النساء، البتول العذراء، فاطمة الزهراء «عليها السلام».

فقال اليهودي: أما أمك فعرفتها، فمن أبوك؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب، الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، والمصلي مع النبي «صلى الله عليه وآله» في القبلتين، والمفدي نفسه لسيد الثقلين، وأبو الحسن والحسين.

فقال: صدقت يا صبي، قد عرفت أباك، فمن جدك؟!

فقال: جدي درة من صف [لعل الصحيح: صدف] الجليل، وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل، والكوكب الدري، والنور المضيء من مصباح التبجيل، المعلقة في عرش الجليل، سيد الكونين، ورسول الثقلين، ونظام الدارين، وفخر العالمين، ومقتدى الحرمين، وإمام المشرقين والمغربين، وجد السبطين: أنا الحسن، وأخي الحسين.

قال: فلما فرغ الحسن «عليه السلام» من تعداد مناقبه انجلى صدأُ الكفر من قلب صالح اليهودي، وهملت عيناه بالدموع، وجعل ينظر كالمتحير،

متعجباً من حسن منطقه، وصغر سنه، وجودة فهمه.

ثم قال: يا ثمرة فؤاد المصطفى، ويا نور عين المرتضى، ويا سرور صدر الزهراء، أخبرني من قبل أن أسلم إليك أخاك عن أحكام دين الإسلام حتى أذعن إليك، وأنقاد إلى الإسلام.

ثم إن الحسن عرض عليه أحكام الإسلام، وعرفه الحلال والحرام، فأسلم صالح، وأحسن الإسلام على يد الإمام ابن الإمام، وسلم إليه أخاه الحسين، ثم نثر على رأسهما طبقاً من الذهب والفضة، وتصدق به على الفقراء والمساكين، ببركة الحسن والحسين «عليهما السلام».

ثم إن الحسن أخذ بيد أخيه الحسين، وأتيا إلى أمهما، فلما رأتهما اطمئن قلبها، وزاد سرورها بولديها.

قال: فلما كان في اليوم الثاني أقبل صالح ومعه سبعون رجلاً من رهطه وأقاربه، وقد دخلوا جميعهم في الإسلام، على يد الإمام ابن الإمام، أخ الإمام «عليهم أفضل الصلاة والسلام».

ثم تقدم صالح إلى الباب ـ باب الزهراء ـ رافعاً صوته بالثناء للسادة الأمناء، وجعل يمرغ وجهه وشيبته على عتبة دار فاطمة الزهراء، وهو يقول: يا بنت محمد المصطفى، عملت سوءاً بابنك، وآذيت ولدك، وأنا على فعلي نادم، فاصفحي عن ذنبي.

فأرسلت إليه فاطمة الزهراء تقول: يا صالح، أما أنا فقد عفوت من حقي ونصيبي، وصفحت عما سؤتني به، لكنهما ابناي وابنا علي المرتضى، فاعتذر إليه مما آذيت ابنه.

ثم إن صالحاً انتظر علياً «عليه السلام» حتى أتى من سفره، وعرض عليه حاله، واعترف عنده بما جرى له، وبكى بين يديه، واعتذر مما أساء إليه.

فقال له: يا صالح، أما أنا فقد رضيت عنك، وصفحت عن ذنبك، ولكن هؤلاء ابناي وريحانتا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فامض إليه واعتذر إليه، مما أسأت بولده.

فأتى صالح إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» باكياً حزيناً، وقال: يا سيد المرسلين، أنت قد أرسلت رحمة للعالمين، وإني قد أسأت وأخطأت، وإني قد سرقت ولدك الحسين «عليه السلام» وأدخلته إلى داري، وأخفيته عن أخيه وأمه، وقد سؤتهما في ذلك، وأنا الآن قد فارقت الكفر، ودخلت في دين الإسلام.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أما أنا فقد رضيت عنك، وصفحت عن جرمك، لكن يجب عليك أن تعتذر إلى الله تعالى، وتستغفره مما أسأت به إلى قرة عين الرسول، ومهجة فؤاد البتول، حتى يعفو الله عنك سبحانه.

قال: فلم يزل صالح يستغفر ربه، ويتوسل إليه، ويتضرع بين يديه في أسحار الليل، وأوقات الصلاة، حتى نزل جبرائيل على النبي بأحسن التبجيل وهو يقول: يا محمد، قد صفح الله عن جرم صالح، حيث دخل في دين الإسلام على يد الإمام ابن الإمام، أخ الإمام «عليهم أفضل الصلاة

والسلام»[١].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

الحسن عليه السلام يبحث عن الحسين عليه السلام:

١ ـ لعل ما أقدم عليه صالح اليهودي من إخفائه للحسين «عليه السلام» كان يهدف إلى إيذاء أمه، وأبيه ومن له صلة به «عليه السلام».. ولكن ما لفت نظرنا هنا هو قول الرواية: إن الزهراء «عليها السلام» لم تجد من ترسله للبحث عنه سوى أخيه الإمام الحسن الذي لا يزيد عمره على أربع سنوات أي أن عمره يزيد عن عمر أخيه بمقدار سنة أو أقل بالرغم من أنها «عليها السلام» خرجت إلى باب المسجد سبعين مرة ـ ولعل هذا الرقم لا يراد به التحديد، بل أريد منه الكناية عن الكثرة ـ والسؤال هنا هو: كيف ترسله أمه للبحث عن أخيه؟! ألم تخش عليه من أن يحصل له نظير ما حصل لأخيه؟! فتصبح في مواجهة مشكلتين.

فقد كان معلوماً: أن الحسين «عليه السلام» لم يكن في مكان قريب من المسجد، وإلا لكان عاد إليه.. بل كان إما في مكان بعيد، أو كان ممنوعاً من الحركة.. والإمام الحسن «عليه السلام» إذا كان بعمر أربع سنوات قد يواجه نفس المحذور: بأن يبتلى بها، أو بمن يمنعه من الحركة أيضاً؟!

---

(١) المنتخب للطريحي ص١٦٨ ـ ١٧٠ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٩٣ ـ ٢٩٨ وتظلم الزهراء ص٢٠ ـ ٢٣.

وقد يزيد هذا الاحتمال قوة، إذا كان بحثه عن أخيه سوف يدعوه إلى قصد الأماكن البعيدة التي يقلّ تردد الناس إليها.

وقد صرحت نفس الرواية بذلك، فقالت: «فقام الحسن، وخرج من المدينة، وأتى دُوراً حولها نخل كثير».

الغزالة دلّته:

وتقول الرواية: إن الإمام الحسن «عليه السلام» سأل الغزالة عن أخيه، فأخبرته أن صالحاً اليهودي أخفاه في بيته..

ومن المعلوم: أن سؤال الإمام الحسن للغزالة عن أخيه لم يكن عبثياً، فهو كان يعلم: أنها سوف تجيبه بالنفي أو الإيجاب.

وهذا يعطي: أنه يعرف أن له مقاماً وموقعاً، من شأنه أن يوصل هذه النتيجة، وهو موقع الإمامة.

وقد يقال: كيف عرفت الغزالة مكان الإمام الحسين، ولم يعرفه الإمام الحسن «عليه السلام»، وهو الإمام الذي تطيعه الحيوانات والجمادات وسواها؟!

ويمكن أن يجاب:

لعل الغزالة رأت ذلك اليهودي حين أدخل الإمام الحسين «عليه السلام» إلى بيته، وأخفاه فيه.. كما أن المطلوب: هو إظهار المعجزة له «عليه السلام»، والتنويه بإمامته، لأن سؤال الإمام للغزالة وجوابها يدل على إمامته، وهو أمر تمازج فيه المحسوس بالغيب.. من خلال سؤال الغزالة وجوابها.. وليس

المطلوب هو مجرد العثور على الإمام الحسين «عليه السلام» كيفما اتفق.

سؤال العارف:

إذا كان صالح اليهودي في بداية الأمر لم يعرف من هو الإمام الحسن «عليه السلام»، فإنه لما أخبره: بأن أمَّه هي فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وهي بنت محمد المصطفى «صلى الله عليه وآله».. لم يعد بحاجة إلى التعريف بأبيها وزوجها، ولكنه واصل أسئلته، ربما لأنه كان يتلذذ ويأنس بأجوبة الإمام الحسن، وقد أعجب إلى حد الانبهار بها.

أسلوب الرواية:

قد يقال: إن أسلوب هذه الرواية يشي: بأنه كلام مصنوع، تظهر عليه سمة التكلف، وقد تضمن تعابير غير مألوفة، بل غير مستساغة، مثل:

١ ـ قوله عن فاطمة الزهراء «عليها السلام»: «وعزة جمال العالم والحكمة». إلا إن كانت كلمة «عزة» مصحفة عن كلمة غرة.

٢ ـ قوله عنها «عليها السلام»: «خمرت طينة وجودها من تفاحة الخ..».

٣ ـ قوله عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «من مصباح التبجيل، المعلَّقة في عرش الجليل».

الفصل الثامن

السبق.. والاصطراع.. والولد فتنة..

أي ابنيك أحب إليك؟!:

روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سابق بين الحسن والحسين، فسبق الحسن، فأجلسه على فخذه اليمنى، ثم جاء الحسين، فأجلسه على اليسرى، فقيل له: يا رسول الله، أيهما أحب إليك؟!

فقال: أقول كما قال إبراهيم، وقيل له: أيّ ابنيك أحبّ إليك؟!

فقال: أكبرهما، وهو الذي يلد محمداً. يعني إسماعيل[١].

ونقول:

تضمنت الرواية أموراً تحتاج إلى بيان، منها:

السباق بين الحسنين عليهما السلام:

ذكرت الرواية:

١ ـ أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سابق بين الحسن والحسين

---

(١) جمل من أنساب الأشراف ج٣ ص٢٦٨ وأنساب الأشراف ج٣ ص٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٧ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢١ ص١٣٦.

«عليهما السلام»، فسبق الحسن.

ونقول:

أولاً: إن الراوي حين رأى النبي «صلى الله عليه وآله»، يأمر الحسنين بالجري الشديد، ويراقب ويرعى جريهما.. فهم، أو قدَّر: أن هذا الجري كان جري تنافس، وغلبة، كما يفعله كثير من أهل الدنيا، الذين يرون في هذه التصورات تعويضاً عن شعورهم بالضعف والخواء، والهباء فيملأونه بالتخيلات التي تكرس الضعف كحقيقة، وتعطي للخواء مشروعية وهيبة.

أما العقلاء الفهماء، الذين يزنون الأمور بموازين واقعية، فإنهم يرون: بأن كمال وقوة، أقرانهم كمال وقوة لهم، ولا يهتمون لهذه التوهمات، ولا يابهون بها، بل هم ينزهون أنفسهم عنها، ويمقتونها.

ثانياً: من الذي قال: إن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام» بالجري الحاد لم يكن على سبيل التمرين المثمر لمزيد من السلامة والقوة البدنية لهما. تماماً كما يمرن القائد جنده، بهدف تقويتهم، وتهيئتهم لتلقي فنون الحرب، وتوظيفها بالنحو اللائق والمناسب في ساحات النزال.. ليكون ذلك منه «صلى الله عليه وآله» سيرة تقتدى، وسلوكاً يحتذى.

ثالثاً: إن الحسين «عليه السلام» الذي لم يتقدم على أخيه الإمام الحسن «عليه السلام» بشيء طيلة حياته، تأدباً معه، كما تصرح الروايات.. لم يكن ليتقدم عليه في سباق الجري، لمجرد إرضاء ذاته، وتغذية خياله.. علماً: بأن مساواته في الجري، أو التقدم عليه بخطوة أو خطوتين، لن يزيد الحسين «عليه السلام» قوة، ولن يمنحه فهماً، وعلماً، وتقوى، وخلقاً رضياً.. ولن

يأتيه بمال، ولا بجاه، ولا بغير ذلك.

وأي ضير يلحقه «عليه السلام» إذا التزم جانب الأدب، وراعى مقام أخيه، وحفظ له تقدمه، ومنحه احترامه، وحبه وتوقيره؟! ولماذا لا يضع نفسه في الموقع المناسب سواء في ذلك قبل الجري، ومعه وبعده؟!

أكبرهما أحب إلي:

وتقول الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» أجاب على سؤال: أيهما أحب إليك؟! بقوله: «أقول كما قال إبراهيم، وقيل له: أي ابنيك أحب إليك. فقال: أكبرهما، وهو الذي يلد محمداً، يعني إسماعيل».

ونقول:

قد يقول قائل: إن ترجيح الأكبر، وهو الإمام الحسن على الإمام الحسين «عليهما السلام» في محبة النبي «صلى الله عليه وآله» هو الأمر الطبيعي، لأنه الأكبر سناً، ولأنه قد سبق أخاه في عملية الجري الحاد، فكان لا بد من إنصاف الإمام الحسن «عليه السلام»، والتنويه بميزته وتقدمه، وهذا ما حصل بالفعل.

غير أننا نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد استعمل التورية في جوابه لذلك السائل.. فهو نظير شخصٍ كان يتهم بالتشيع، فقيل له ـ على سبيل الاستدراج ـ وهو يخطب على المنبر: من أفضل الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال: من كانت ابنته تحته.

فمن يعتبر أن ذلك الرجل كان شيعياً، يفهم من هذا الجواب: أن الضمير في قوله «ابنته» يرجع إلى رسول الله، فيكون علي «عليه السلام» هو الأفضل، لأن ابنة النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تحت علي «عليه السلام».

ومن يعتبره من أهل السنة يقول: إن الضمير في قوله: «ابنته» يرجع للأفضل، وأبو بكر هو الذي كانت ابنته تحت رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فسيكون هو الأفضل.

ومن ذلك: ما روي، من أن معاوية فرض على عقيل بن أبي طالب «رحمه الله» أن يلعن أخاه على المنبر، فصعد المنبر، وقال: ألا إن معاوية قد أمرني بلعن علي بن أبي طالب، ألا فالعنوه.

فقال له معاوية: إنك لم تبيِّن ـ أبا يزيد ـ من لعنت بيني وبينه.

قال: والله، لا زدت حرفاً، ولا نقصت آخر، والكلام إلى نية المتكلم(١).

ولذلك نقول هنا أيضاً:

أولاً: من المعلوم: أن أكبرية الإمام الحسن سناً على الحسين «عليهما السلام»، لا يبرر بمجرده زيادة حب النبي «صلى الله عليه وآله» له.. فكم من صغير جمع من الصفات والميزات ما جعله أحب إلى قلب من يأنس، ويقدر تلك الميزات..

---

(١) جواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٢٨ و ٢٢٩ والعقد الفريد ج٤ ص٢٩ و (ط أخرى) ج٤ ص٣١ و (ط أخرى) ج٢ ص١١٤ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٣٢ ومطارح الأنظار للشيخ الأنصاري ص٢٢٥ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٠٤ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٣١٧ والصراط المستقيم ج٣ ص٧٢.

بل قد يكون نفس صغر سنه من دواعي زيادة حبه، فقد سأل كسرى غيلان بن سلمة: أي ولدك أحب إليك؟!

فقال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يؤب[١].

ثانياً: ويمكن الإجابة بنحو آخر، وهو: أنه «صلى الله عليه وآله» استشهد بقول نبي الله إبراهيم «عليه السلام»، والتأمل في كلام إبراهيم يشهد على ما نقول، لأن إبراهيم لم يقل: أكبرهما أحب إلي، ثم سكت.. بل أضاف إلى ذلك: ما يدل على سبب هذا الحب، وهو: أنه سيكون من ذرية أكبرهما محمد «صلى الله عليه وآله»، وهو خاتم الأنبياء..

والنبي «صلى الله عليه وآله» لم يخص بحبه إيَّاً من الحسن أو الحسين «عليهما السلام» على الإطلاق، واكتفى بكلام إبراهيم «عليه السلام».. فدلنا بذلك: على وجود خصوصية في الذي هو أحب للنبي تشبه خصوصية إسماعيل «عليه السلام»، وهي أن يولد من ذرية من هو أحب إليه، الإمام الذي يظهر الله به دينه، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً..

ولكن ذلك لا يعني: أن الحسين «عليه السلام» صار الأحب إليه «صلى الله عليه وآله» لامتياز شخصي فيه، بل هو والإمام الحسن «عليهما السلام» في مرتبة واحدة، بل لخصوصية أخرى تضاف إليه، وهي ولادة الإمام المهدي منه، فالحب الزائد هو للخصوصية، وهناك حب آخر لذات

---

(١) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٥٦ وأسد الغابة ج٤ ص١٧٢ والإصابة ج٥ ص٢٥٤ الأغاني ج١٣ ص١٤١ و ١٤٢ والبداية والنهاية ج٧ ص١٦١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٦١.

الحسين يعادل حبه «صلى الله عليه وآله» للإمام الحسن «عليه السلام»..

لا يجوز إيذاء الحسين عليه السلام:

وقد يدرو بخلد البعض: أن هذا لو صح، لكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد آذى الحسن «عليه السلام» بجوابه هذا، لأن الحسن الإمام المعصوم الذي يمتاز بقدراته الفكرية، والإيمانية، والعقلية، وسائر صفات الكمال.. لا بد أن يكون قد فهم ما يرمي إليه كلام جده «صلى الله عليه وآله».. وسيكون حزيناً إذا عرف أن أخاه الأصغر أحب إلى جده منه!

ونجيب:

أولاً: لو رجَّح النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن «عليه السلام» أيضاً، ألا يوجب ذلك حزن الحسين «عليه السلام»؟!

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يرجح الحسين «عليه السلام» لكمال ذاتي في صفاته، وميزاته لم يجده في الإمام الحسن «عليه السلام»، ليحق للحسن أن يحزن ويتألم، بل هو قد صرح: بأن سبب ترجيحه الإمام الحسين أمر خارج عن حقيقة ذاته، ولا ربط له بزيادة كمالاته في صفاته وميزاته، بل رجَّحه، لأن مصالح العباد، والرأفة بهم، وهدايتهم هي التي اقتضت أن تمتد الذرية الهادية والمعصومة، والمتسربلة بمقام الإمامة من خلال الحسين «عليه السلام».. وهي مصالح تخضع للسنن، وتتأثر بما يختاره العباد كما هو واضح.

مصارعة الحسنين عليهما السلام:

عن زيد الشحام، عن الإمام الصادق، عن آبائه «عليهم السلام» قال:

دخل النبي «صلى الله عليه وآله» ذات ليلة بيت فاطمة «عليها السلام» ومعه الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال لهما النبي «صلى الله عليه وآله»: قوما فاصطرعا.

فقاما ليصطرعا، وقد خرجت فاطمة «صلوات الله عليها» في بعض حاجتها، فدخلت، فسمعت النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: إيه يا حسن، شد على الحسين، فاصرعه.

فقالت له: يا أبه، وا عجباه أتشجع هذا على هذا؟! تشجع الكبير على الصغير؟!

فقال لها: يا بنية، أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شد على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل «عليه السلام» يقول: يا حسين شد على الحسن فاصرعه؟![1].

وروي نحوه ملخصاً عن عبد الله بن ميمون القداح، عن الإمام الصادق «عليه السلام»[2].

---

(١) راجع: الأمالي للصدوق ص٥٣٠ و ٥٣١ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٨١ و ٨٢ وبحار الأنوار ج١٠٠ ص١٨٩ وراجع ج٤٣ ص٢٦٨ و ٢٦٢ و ٢٧٦ عن قرب الإسناد، وعن إعلام الورى، والإرشاد للمفيد، وراجع: مدينة المعاجز ج٣ ص٢٧٦ وج٤ ص١٠ و ١١.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٢٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٢٥ و ٤٢٦. وراجع: مناقب الإمام علي بن أبي طالب للكوفي ج٢ ص٢٣١ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩٣ وكشف الغمة ج٢ ص٢١٩

وفي نص آخر عن علي بن أبي علي اللهبي، عن الإمام الصادق، عن أبيه «عليهما السلام»، قال: قعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» موضع الجنائز، فطلع الحسن والحسين فاعتركا، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إيها حسن.

فقال علي: يا رسول الله! أعلى حسين تواليه؟! (لعل الصحيح: تؤلبه، كما في سائر المصادر، أي: تحفزه).

فقال: هذا جبريل يقول: إيها حسين[1].

وفي نص آخر: عن ابن عباس قال: اتخذ[2] (أي اصطرع) الحسن والحسين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل يقول: هي يا حسن، خذ يا حسن.

فقالت عائشة: تعين الكبير على الصغير؟!

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٨٤ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص١٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٦٥ وراجع ج٣ ص١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ض٦٥٠ وج١٩ ص١٩٨ و ٢٤٨. وراجع: كنز العمال ج١٣ ص٦٦١ وذخائر العقبى ج٢ ص٩٨ وفي هامشه عن: منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥ ص١٠٨ وسيلة المآل (مخطوط) ص١٦٥ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١٢٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩ وشرف النبي للكازروني (مخطوط) ص٢٤٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص١٠٤ ومودة القربى ص١٢٧ والإصابة ج١ ص٣٣١ وأمثال الحديث ج١ ص١٠١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٣ والخصائص الكبرى للسيوطي ج٢ ص٢٦٥ وينابيع المودة ج٢ ص٤٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٩٠.

(٢) أصلها ائتخذ. ولذا تظهر في المضارع والمصدر، فيقال: يأتخذون ائتخاذاً، وذلك إذا تصارعوا.

فقال: إن جبريل يقول: خذ يا حسين[١].

وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق عن آبائه، عن علي «عليهم السلام»، وعن أبي الحارث الهمداني: أن فاطمة «عليها السلام» هي التي سألت النبي «صلى الله عليه وآله» هذا السؤال[٢].

هي: اسم فعل أمر.

وقال الفيروزآبادي: إنها بالفتح «هَيَّ»، ويقال: هيَّك: أي أسرع فيما أنت فيه[٣].

وروى جماعة، عن أبي المفضل، عن محمد بن جرير الطبري، عن عمرو بن علي، عن عمرو بن خليفة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة قال: اصطرع الحسن والحسين، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إيها حسن.

فقالت فاطمة «عليها السلام»: يا رسول الله، تقول: إيها حسن، وهو

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٣ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٦ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٠٩ وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٥٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٠٤.

(٢) راجع: قرب الإسناد ص١٠١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٢ و ٢٦٣ عنه، وص٢٩١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٢٣١ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٦٢ وعن السمعاني في فضائل الصحابة، والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٥٧.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٣ وراجع: لسان العرب ج١٥ ص٣٧٥ وتاج العروس ج١٣ ص٦٧٥.

أكبر الغلامين.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أقول: إيها حسن، ويقول جبرئيل: إيها حسين[١]. وروي نحوه عن أبي ذر[٢].

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

قال الجوهري: تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل: إيه بكسر الهاء، قال ابن السكيت: فإن وصلت نونت، فقلت: إيهٍ حدِّثنا.

ثم قال: فإذا أسكته وكففته قلت: إيها عنا. وإذا أردت التبعيد قلت: أيها بالفتح.

أقول: يظهر من الخبر: أن أيها بالفتح أيضاً يكون للاستزادة[٣].

---

(١) راجع: الأمالي للطوسي ص٥١٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٥ عنه، ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٦٢ وراجع ذخائر العقبى ج٢ ص٩٦ عن: معجم أبي يعلى ج١ ص١٧١ والإصابة ج١ ص٣٣١ وج٢ ص٧٧ والكامل لابن عدي ج٥ ص١٨ ومسند الحارث ج٢ ص٩١٠ وبغية الباحث ص٢٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٦٥ وأسد الغابة ج٢ ص١٩ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٧٠ ووسيلة المآل (مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق) ص١٦٥ ونور الأبصار ج٢ ص١٦ وكنز العمال ج٣ ص١٥٤ وينابيع المودة ج٢ ص٤٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٢٠١ و ٢٠٢ وكنز العمال ج٣ ص١٥٣ وج٧ ص١٠٧ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٧٢٤ عنه، والمناقب للخوارزمي ص٣٠١ و ٣٠٢ ونهج الإيمان ص٥٣١ و ٥٣٢ وغاية المرام ج٢ ص٤٩ وج٥ ص١١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٢٥ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٣٨.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٥.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

هل المصارعة لعب وعبث؟!:

قد يدور بخلد البعض: أن المصارعة لهو، ولعب، وعبث لا يأمر، ولا يسمح النبي المعصوم به، خصوصاً للحسنين «عليهما السلام» اللذين صرح النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن لهما مقام الإمامة قاما أو قعدا..

كما أن الحسنين «عليهما السلام» لا يقدمان على هذا الأمر من عند أنفسهما، لأن الإمام المعصوم لا يلهو ولا يلعب، لا في أيام طفولته، وصغر سنه، ولا في كبره، وتقدم السن به.

ويجاب:

أولاً: بأن المصارعة ليست لعباً، ولا عبثاً، ولا لهواً، بل هي من مبادئ تعلم فنون القتال، حيث قد تصل الأمور في الحرب إلى حد المكادمة، والمكاعمة، والمصارعة.

وقد بلغ الأمر في حرب الجمل بين الأشتر، وبين ابن الزبير إلى المصارعة، فصرعه الأشتر، لكن ابن الزبير تمكن من الإفلات، لأنه كان في عنفوان شبابه وقوته، وكان الأشتر لم يذق طعاماً منذ ثلاثة أيام، وقد ذكر ذلك الأشتر في شعره، فقال:

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ... ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا

ثانياً: لقد كان المطلوب: هو التشجيع على تعلم فنون القتال، للكبير

والصغير، والعالم، والعابد، والسائق، والقائد، والإمام، وغيره لبناء مجتمع منيع، وقوي، ومستعد ذهنياً، وجسدياً لمواجهة التحديات، وقادر على التكيف مع الأحوال.. لاسيما وأن إهمال هذا الإعداد والاستعداد إلى ما بعد اكتمال التكوين النفسي والجسدي والذهني، يجعل من الصعب إعادة الهدم والبناء، وتصبح الخصائص والسمات والصفات عصية على التطوير والنمو والانعطاف، وفق ما تقتضيه الحاجات القتالية التي يراد تلبيتها

ثالثاً: عرفنا: أن المطلوب في المصارعة ليس هو اللهو واللعب، والعبث. كما أن المطلوب ليس هو تحصيل الغلبة على الطرف الآخر وقهره، وإسقاط محله، والعدوان على كرامته، وهتك حرمته، واعتبار ذلك إنجازاً شخصياً للغالب، يكتسب به المجد، والثناء والحمد، وينظر إليه بإكبار وإعجاب..

بل المطلوب بها هو تعليم الطرفين ابتكار أساليب إلقاء الطرف الآخر أرضاً، وتعلم أساليب التخلص، والتملص، والتحرز من الوقوع في المآزق الصعبة، والتنبه إلى الحيل التي يتوسل بها الطرف الآخر إلى فرض الهيمنة على منافسه..

المصارعة أكثر من مرة:

١ ـ إن روايات المصارعة بين الحسن والحسين «عليهما السلام» تفيد: أن هذا الأمر قد حصل عدة مرات:

إحداها: بحضور فاطمة «عليها السلام».

والأخرى: بحضور عائشة، وكلا الواقعتين حصلت في بيت الرسول «صلى الله عليه وآله».

وهناك مرة ثالثة: حصلت عند موضع الجنائز.

ويظهر: أن هذه المرة حضرها أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنه سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب تحريضه الكبير على الصغير.

٢ ـ إن روايتي المصارعة بحضور عائشة، ورواية موضع الجنائز لم تذكرا أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر الحسنين «عليهما السلام» بالمصارعة.

السؤال لحفظ إيمان الناس:

١ ـ إن سؤال علي والزهراء «عليهما السلام» الموجَّه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عن سبب أخذه جانب الكبير دون الصغير لم يكن لأجل أن يعرفا سبب ذلك، فإنهما «عليهما السلام» كانا على يقين من صوابية ما يفعله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه لا ينطق عن الهوى.. ولكنهما أرادا ـ فيما يظهر ـ إزالة الشبهة الموجبة لاختلال الإيمان، والتي قد تعرض لبعض الناس، الذين لا يعرفون سبب تحريض النبي «صلى الله عليه وآله» الكبير على الصغير.. وهو أمر يخالف ما عرفوه وألفوه، وتسالموا عليه في تعاملهم.. بل قد يرون هذا التحريض منافياً لعصمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومخلاً باستقامته على طريق الحق والخير والهدى..

٢ ـ إننا لا نستبعد أن يكون من جملة أهدافه «صلى الله عليه وآله» من أخذ جانب الكبير ـ وهو الإمام الحسن «عليه السلام» ـ إثارة المشاعر، والدفع نحو طرح هذه الأسئلة.

ليأتي الجواب الذي يدل على الرضا بأصل حدوث المصارعة، من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن قبل جبرئيل أيضاً.. وليدل على أن هذا

التحريض لا يتنافى مع الحب والحنان، ومع الرحمة والعطف على هذين الطفلين الصغيرين، اللذين لديهما صفات الإمامة وسماتها، بأجلى وأبهى مظاهرها.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» حرَّض الصغير منهما، فلعل الناس لا يجدون ضرورة لطرح أي سؤال، لأنهم سيرون: أن هذا هو التصرف الطبيعي والمألوف، فإن الصغير هو الذي يحتاج إلى التشجيع، وإلى منحه جرعة قوة، وبسالة وإقدام بعد أن كانت التراكمات الزمانية لها دور في ارتفاع منسوب القوة لدى الناس غالباً.

٣ ـ قد ظهر أيضاً: أن مشاركة جبرئيل في الأمر قد منح ما جرى مزيداً من تجليات مظاهر الرعاية الإلهية، والتربية الربانية..

ألم يرَ السائلون جبرئيل عليه السلام ؟!:

إن سياق الكلام في هذه الواقعة يعطي: أن الذين سألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن سبب تحريضه الكبير على الصغير ما كانوا يرون، أو يسمعون كلام جبرئيل، وهو يحرِّض الصغير على الكبير.. مع أن الحسين «عليه السلام» كان يسمع كلام جبرئيل، وهو يحرِّضه على الإمام الحسن «عليه السلام»، وكان يراه أيضاً، وكذلك الحال بالنسبة للنبي «صلى الله عليه وآله»..

وهذا يعطي: أن هذا المَلَك كان يظهر نفسه، ويُسمعُ صوته من شاء، ولا يَسمَعه ولا يرى شخصه غيره، حتى لو كان بجانبه.

ونحن نعلم: أن علياً وكذلك الزهراء «عليهما السلام»، كانا يريان الملائكة، ويسمعان كلامهم، وكان سلمان محدَّثاً، وكان جبرئيل يحضر عند الإمام الصادق

«عليه السلام».

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي[١].

فكيف نفسر احتجاب جبرئيل بشخصه وصوته عن علي والزهراء «عليهما السلام»؟!

ونجيب:

أولاً: قد يقال: إن علياً والزهراء «عليهما السلام» قد رأيا جبرئيل، وسمعا كلامه، ولكنهما طرحا هذا السؤال على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لإفهام الناس من لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقيقة ما يجري، لأن هذه الطريقة هي المثلى، التي تحسم الأمر، وتمنعهم من اللجوء إلى الإنكار والعناد..

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٣٧ ـ ١٦٠ (الخطبة القاصعة) رقم ١٩٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٨ والطرائف لابن طاووس ص٤١٥ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص٢٢٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٣ وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٦ وج١٨ ص٢٢٣ وج٣٨ ص٣٢٠ وج٦٠ ص٢٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٦٨ والغدير ج٣ ص٢٤٠ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٤٠٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٠٧ ونهج السعادة ج٧ ص٣٣ و ١٤٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٩٧ وخصائص الوحي المبين ص٢٨ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٣٢ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٩.

ثانياً: لا مانع من أن يكون الله تعالى قد حجب رؤية جبرئيل في هذا المورد بالخصوص، ليجد المبرر لطرح تلك الأسئلة، وحسم الأمر بنحو يحقق الغرض المنشود.

إن الولد لفتنة:

هناك نصوص تقول:

١ ـ عن ابن عمر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بينما هو يخطب على المنبر، إذ خرج الحسين «عليه السلام»، فوطئ في ثوبه، فسقط، فبكى، فنزل النبي «صلى الله عليه وآله» عن المنبر، فضمه إليه وقال: قاتل الله الشيطان إن الولد لفتنة..

والذي نفسي بيده ما دريت أني نزلت عن منبري[1].

٢ ـ روى يحيى بن كثير، وسفيان بن عيينة بإسنادهما: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سمع بكاء الحسن والحسين وهو على المنبر، فقام فزعاً، ثم قال: أيها الناس، ما الولد إلا فتنة، لقد قمت إليهما وما معي عقلي.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٢٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٥ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٦٣ ولواعج الأشجان ص١١ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٧ والدر المنثور ج٦ ص٢٢٨ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص١٢٧ ومناقب علي بن أبي طالب للأصفهاني ص٢٠٧ و ٢٠٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٢٤٩ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٧٨ وج١١ ص٦٦ وج٢٦ ص٤١١.

وفي رواية: وما أعقل(١).

٣ ـ روى الخلق، عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخطب على المنبر، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

وروى نحو ذلك عن ابن عمر.

وقد ذكره أبو طالب الحارثي في قوت القلوب، إلا أنه تفرد بذكر الحسن بن علي «عليه السلام».

وفي خبر: أولادنا أكبادنا يمشون على الأرض(٣).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٤ وشرح الأخبار ج٣ ص٨٠ و ٨١ و ١١٣ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٧٠ و ١٧١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٤٥ وتفسير كنز الدقائق ج٥ ص٣٢٣ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١٣ والدر المنثور ج٦ ص٢٢٨ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٩ و ١٤٤ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٧٠.

(٢) الآية ١١ من سورة فصلت.

(٣) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٤ و ٣٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٦ عن الخركوشي في اللوامع، وشرف النبي، والسمعاني في الفضائل، والترمذي في

الجامع، والثعلبي في الكشف، والواحدي في الوسيط، وأحمد بن حنبل في الفضائل، وعن كشف الغمة للأربلي، والنسائي في صحيحه، وعن الجنابذي بألفاظ قريبة من هذا وأخصر. والملاحم والفتن لابن طاووس ص٣٣٧ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٤ ص٢٢٥ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٤ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٢٤ وسنن النسائي ج٣ ص١٩٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٥١ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٤٠٣ و ٣ وشعب الإيمان ج٧ ص٤٦٦ وتنقيح التحقيق للذهبي ج١ ص٢٨٣ ونظم درر السمطين ص٢١٠ وموارد الظمآن ج٧ ص١٨٣ وج١ ص٥٥٢ وكنز العمال ج١٣ ص٦٦٣ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٤٥ وج٥ ص٣٤٢ وتفسير كنز الدقائق ج٥ ص٣٢٣ وج١٢ ص٢٨٤ ومعالم التنزيل ج٤ ص٣٥٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٢٦٥ وزاد المسير لابن الجوزي ج٨ ص٣٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٤٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٠٢ و ٣٧٧ والدر المنثور ج٦ ص٢٢٨ وفتح القدير ج٥ ص٢٣٩ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص١٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٦١ وج٤٣ ص٢١٥ وأسد الغابة ج٢ ص١٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٣ ومناقب علي بن أبي طالب للأصفهاني ص٢٠٧ والبداية والنهاية ج٨ ص٢٢٤ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٢ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص١٥٤ و ١٥٥ ومطالب السؤول ص٣٣٥ والدر النظيم ص٧٧٦ وكشف الغمة ج٢ ص١٤٤ وينابيع المودة ج٢ ص٣٨ و ٢٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٧٦ و ٦٨٤ وج١٨ ص٥٤٦ وج١٩ ص٢٠٩ و ٢٨٣ وج٢٦ ص٢٨ وج٢٧ ص٦٦ وج٣٣ ص٤٠٦ و ٥٩٣ وذخائر العقبى ج٢ ص٨٣ وأشار في الهامش إلى مصادر كثيرة هي التالية: سنن أبي داود ج١ ص٢٩٠ وجامع البيان للطبري ج٢٨ ص١٢٦ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٥٥

ونقول:

لاحظ ما يلي..

هذه روايات الآخرين:

يبدو: أن الروايات الثلاث المتقدمة رواها أهل السنة في مصادرهم، ثم أودعها بعض الشيعة في كتبهم، آخذين لها منهم وعنهم، ولم نجد في كتب الشيعة رواية عن أئمتهم، ولا عن أصحاب الأئمة «عليهم السلام» بهذا المعنى.

وقد تضمنت هذه الروايات أموراً لا يصح أن تنسب إلى رسول الله

وج٣ ص١٥١ والمستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢١٠ وج١ ص٤٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢١٨ وج٦ ص١٦٥ وج١ ص٥٣٥ والتحقيق في أحاديث الخلاف ج١ ص٥٠٥ ونيل الأوطار ج٣ ص٣٣٧ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٧٧٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٩٠ وفتح الباري ج١١ ص٢٥٤ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣١٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٦٦ والإصابة ج٢ ص٦٩ وتلخيص الحبير ج٢ ص٦١ وكنز العمال ج١٢ ص١١٤ و ١٣ و ٦٦٣ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١٣ ص٤٠٣ وتنقيح التحقيق ج١ ص٢٨٣ ونظم درر السمطين ص٢١٠ ومصابيح السنة ج٢ ص٢١٨ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٤٣٥ وتفسير البغوي ج٤ ص٣٥٤ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢١٨ وج١١ ص٦٢ وينابيع المودة ج٢ ص٣٨ و ٢٠٥ و ٤٨١ ورفع اللبس للإدرسي ص١٠ والشرف المؤبد ص٧١ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص٣٠٣ والرصف للعاقولي ص٣٧٢ وأشعة اللمعات ج٤ ص٧٠٤ وموسوعة أطراف الحديث لبسيوني زغلول ج٣ ص٦١ والمرقاة شرح المشكاة ج١١ ص٣٩٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج١ ص٤٧٤.

«صلى الله عليه وآله».. بل هي مكذوبة عليه بلا ريب، لأنها تنافي عصمته «صلى الله عليه وآله» عن الذنب، وعن كل ما يوجب وهناً في شخصيته، أو في مقامه، أو اختلالاً في تصرفاته.. فمثلاً: لا يصح أن يقول «صلى الله عليه وآله» معتمداً على القسم ما يلي:

ألف: والذي نفسي بيده ما دريت أني نزلت عن منبري.

ب: لقد قمت إليهما وما أعقل.

ج: لقد قمت إليهما وما معي عقلي.

د: قاتل الله الشيطان، إن الولد فتنة.

فإن ذلك تسرُّع وخفة، لا تصح نسبتهما إلى نبي معصوم.. فإن من يفقد عقله لبكاء طفل، لا يكون عقله صحيحاً وسليماً.. وهذا يجعل من السهل تصديق قول القائل حين طلب النبي «صلى الله عليه وآله» في مرض موته كتفاً ودواة ليكتب للأمة كتاباً يصونها من الضلال بعده، فقال القائل، وهو عمر بن الخطاب: إن النبي ليهجر. أو نحو ذلك..

كما أن من يفقد عقله، أو توازنه لبكاء طفل ـ هو سبطه ـ يمكن أن يُتهم في أقواله عن فضل ومقام زوجته خديجة، وابنته، وابن عمه وصهره، وحمزة، وجعفر، وغيرهم: بأنها أقاويل رجل منساق مع عواطفه، لا يمكن اعتبارها صادرة عن توجيه إلهي.

الاختلاف في الروايات:

وقد لاحظنا وجود اختلافات تثير الريب في صحة هذه الروايات، مثل:

ألف: الاختلاف في الباكي، هل هو:

١ ـ الحسنان «عليه السلام».

٢ ـ أو الحسن «عليه السلام».

٣ ـ أو الحسين «عليه السلام».

ب: هل السبب في ما جرى للنبي «صلى الله عليه وآله» هو:

١ ـ أنه «صلى الله عليه وآله» نظر إلى الحسنين «عليهما السلام» يمشيان، ويعثران، فقطع حديثه، ورفعهما.

٢ ـ أنه سمع بكاءهما، وهو على المنبر، فقام فزعاً.. حيث يبدو أن الأمر اقتصر على سماع البكاء، ولم يتجاوزه إلى رؤيتهما يعثران.

٣ ـ وفي رواية: أن الحسين «عليه السلام» وطئ في ثوبه، فسقط، فبكى.

والعثرة: أن تصطدم رجل الماشي بحجر، أو بوتد، أو غيرهما، فيسقط. وهذا غير الوطء على الثوب، ثم السقوط بسبب ذلك.

اتهام الشيطان:

ظاهر كلامه «صلى الله عليه وآله»: أنه يتهم الشيطان «لعنه الله»: بأنه هو السبب في أنه «صلى الله عليه وآله» لم يدرِ كيف ينزل عن منبره. مع أنه تعالى يقول: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٢].

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٤٢ من سورة الحجر.

ويقول: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١).

ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾(٢).

وهذه الآيات كلها قد وردت في سور مكية، وإنما ولد الحسنان «عليهما السلام» في المدينة بعد الهجرة بثلاث وأربع سنوات.

هي تدل: على أنه ليس للشيطان دور فيما جرى للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا فيما جرى للحسنين، فإنهما «عليهما السلام» ليسا أقل شأناً من يحيى وعيسى «عليهما السلام»، فقد قال الله تعالى عن عيسى: إن الله جعله نبياً، وهو في المهد، وآتى يحيى الحكم صبياً..

وقد وصف النبي «صلى الله عليه وآله» الحسنين «عليهما السلام»: بأنهما إمامان قاما أو قعدا ـ أي في جميع أحوالهما.

وقد وصفهما بذلك في حال صغرهما، ولم يقيده بحال البلوغ، فيشمل جميع سني عمرهما.

وهذا يدل: على أنهما قادران على ضبط حركتهما، ووضع أقدامهما في الموضع المناسب فلا مبرر لعثورهما، ووقوعهما على الأرض..

ومن المعلوم: أن الإنسان في ضبط حركته في مسيره لا يحتاج إلى علم ومعرفة، بل يحتاج إلى الانتباه.

---

(١) الآية ٩٩ من سورة النحل.

(٢) الآية ٢١ من سورة سبأ.

لا مبرر للعثور والسقوط:

ولنا أن نسأل عن المبرر لوطء الماشي في ثوبه، ثم سقوطه وبكائه!! فهل كان ثوب ذلك الطفل فضفاضاً وطويلاً إلى حد صار يكنس الأرض بأذياله؟!

ولماذا هذا الطول في الثوب؟!

وكيف تلبسه أمه ثياباً نهى النبي عن أن تكون بهذه الصفة، فقد كان «صلى الله عليه وآله» يقول لمن يلبس ثوباً يلامس الأرض: ارفع إزارك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك(١).

ولو فرضنا: أن هذا الثوب هو المتوفر للحسنين «عليهما السلام» في ذلك الوقت، ولم يمكن تقصيره في تلك العجالة لأي سبب كان.. فهل لم يكن لابسه ـ وهو الإمام الحسين «عليه السلام» أو أخوه ـ لم يكن قادراً على أن يتدبر أمره معه، فيجمعه، ويرفعه، حتى لا يطأ عليه ويسقط؟!.

وإذا لم يحصل ذلك لأي سبب كان، ووطأ عليه، وسقط على الأرض، فلماذا يبكي «عليه السلام»؟! هل جرح، أو تألم؟! أم أن ذلك هو بكاء الشعور بالضعف والوهن والعجز؟! أو هو نتيجة الإحساس بالحرج والفشل؟! وكلا الفرضين لا يليقان بمقام الإمام «عليه السلام».

عثرة واحدة أو عثرات؟!:

ظاهر رواية ابن عمر: أن الحسين «عليه السلام» فقط هو الذي عثر،

---

(١) راجع: مكارم الأخلاق للطبرسي (منشورات الفجر) ص٧٨ و (منشورات الشريف الرضي سنة ١٣٩٢هـ) ص١٠٠ والغارات للثقفي ج١ ص١٠٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٦٠٢.

وأنه عثر لمرة واحدة.

لكن ظاهر الرواية الأخرى: أن العثور قد تكرر، وأنه حصل من الحسن والحسين «عليهما السلام» معاً، فهي تقول: إنه «صلى الله عليه وآله»: «نظر إلى الحسنين، وهما يمشيان ويعثران».

والرواية الثالثة: ذكرت أنه «صلى الله عليه وآله» سمع بكاءهما، فبادر إليهما. ولم تذكر أنهما عثرا بشيء.. فهل هما حادثتان، إحداهما كان فيها عثور، والأخرى فيها سماع صوت بكاء فقط؟! أو أنها حادثة واحدة، ذكر كل راوٍ ما عرفه ورآه منهما؟! كلاهما محتمل..

لعل للحادثة أصلاً:

وبعدما تقدم نقول:

إن ذلك كله لا يمنع من أن يكون لهذه الرواية قدر من الصحة، إذا استطعنا أن نستبعد من كل هذه الأمور النشاز الممجوج منها..

فلعل ما حدث: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان جالساً على المنبر، فرأى الحسنين قادمين، أو أحدهما «عليه السلام» فقط، فبادر لأخذهما واحتضانهما، ورفعهما إليه على المنبر، إعزازاً منه لهما، وإظهاراً لمكانتهما عنده وتشريفاً وتكريماً، واهتماماً بهما، لأن في ذلك تأييداً للدين، وتقوية لدعائمه، وتشييداً لأركانه، ونشراً لأعلامه، وهداية للإنسان المؤمن إلى إمامه..

ولكن رواة ما جرى قد حاولوا الدس والتلاعب، والتحريف لتهجين فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإضافة ما يثير الريب فيه، والانتقاص من مقامه، ليصبح الإنسان المؤمن أمام خيارين، كل منهما مرّ.

أحدهما: أن يقبل بنسبة ما فيه طعن وانتقاص لرسول الله «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام»، وتقويض لمعنى العصمة والسداد، والرشاد فيهم.

الثاني: أن يرتاب في صحة الرواية، ولا يجد سبيلاً للاستفادة منها في تكوين فكرة إيمانية، أو سلوك أخلاقي، أو تربوي، أو ما إلى ذلك..

الفصل التاسع:

فنعم الجمل جملكما..

نعم الراكبان:

يرجى ملاحظة النصوص التالية:

١ ـ عن عبد العزيز، بإسناده عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كان جالساً، فأقبل الحسن والحسين..

فلما رآهما النبي قام لهما، واستبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما وحملهما على كتفيه، وقال: نِعْمَ المطي مطيكما، ونِعْمَ الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما[١].

٢ ـ وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» حمل الحسن والحسين «عليهما السلام» على ظهره.. الحسن على أضلاعه اليمنى، والحسين على أضلاعه اليسرى، ثم مشى وقال: نِعْمَ المطي مطيكما، ونِعْمَ الراكبان أنتما، وأبوكما

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ و ٢٨٦ عن الخركوشي في شرف النبي. وعن توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل ص٧٠١ و ٧٠٣ و (نسخة مكتبة ملِّي بفارس) ص٣٥٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٢١ وج٢٢ ص٥٤٩ وج٢٦ ص١٢٠ وذخائر العقبى ص١٣٠ وراجع: شرح الأخبار ج٢ ص٣٧٤ والطرائف لابن طاووس ص٩٢.

خير منكما[١].

٣ ـ ابن بطة في الإبانة من أربعة طرق، عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبي «صلى الله عليه وآله» والحسن والحسين «عليهما السلام» على ظهره، وهو يجثو لهما ويقول: نِعْمَ الجمل جملكما، ونِعْمَ العدلان أنتما[٢].

وفي نص آخر عنه: دخلت على النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو يمشي على أربع الخ..[٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣٨٧ و ٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٦ عن تفسير الفسوي، وراجع: شواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٤٥٥ والمحاضرات والمحاورات ص٤٣٨ وعن وسيلة المآل ص٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣٨٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ ولواعج الأشجان ص١١.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٨٢ والمعجم الكبير ج٣ ص٥٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٦٤ والكامل لابن عدي ج٥ ص٢٥٩ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٣٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢١٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٦ ولسان الميزان ج٦ ص٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٩٨ والوافي بالوفيات ج١٢ ص٦٧ والمحاضرات والمحاورات ص٣٥٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٩٣ و ٩٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧١٤ وج١٩ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وج٢٦ ص١٣٢ و ١٣٣ وج٣٣ ص٤٢٠ و ٤٢١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٢٤٧ و ٢٧٠.

٤ ـ ابن نجيح: كان الحسن والحسين يركبان ظهر النبي ويقولان: حَلْ حَلْ، ويقول: نِعْمَ الجمل جملكما(١).

٥ ـ السمعاني في الفضائل، عن أسلم مولى عمر، عن عمر بن الخطاب قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي رسول الله، فقلت: نِعْمَ الفرس لكما (تحتكما).

فقال رسول الله: ونِعْمَ الفارسان هما(٢).

٦ ـ ابن حماد، عن أبيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» برك للحسن والحسين، فحملهما، وخالف بين أيديهما وأرجلهما، وقال: نِعْمَ الجمل جملكما(٣).

ونقول:

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٨١ ونظم درر السمطين ص٢١١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٥٨ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٦٢ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧١٩ وج١٩ ص٢٠٠ و ٢٨٤ وج٢٦ ص١٣٥ و ٢٨١ و ٢٨٢ عن منتخب كنز العمال (المطبوع بهامش المسند ـ ط الميمنية بمصر) ج٥ ص١٠٧ وعن المتفق والمفترق للبغدادي (مخطوط) و (النسخة مصورة من مخطوطة مكتبة استانبول) ج١٠ ص٢٦ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج٧ ص١٢٢ وعن جامع الأحاديث (ط دمشق) ج٢ ص٣٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٧١ و ١٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٢.

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، نذكر منها:

جدهما يحملهما:

١ ـ سيأتي الحديث عن مضمون رواية ابن نجح، التي تقول: إنهما «عليهما السلام» كانا يرتحلان ظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم يقولان: حل، حل.

٢ ـ يفهم من الروايات المتقدمة ـ ما عدا الرابعة والخامسة ـ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان هو المبادر لحمل الحسنين «عليهما السلام»، بل في الرواية الثالثة دلالة على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يستدرجهما: بأن يجثو لهما ليصعدا على ظهره..

وهذا يدل: على أنهما كانا يفعلان ما يرغب به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا غضاضة عليهما في ارتحاله.

٣ ـ كما أن الرجل لا يلام على حمل ولده على عاتقه، واستدراجه إلى ذلك، رغبة في تأنيسه، وإظهاراً لمحبته، والدلالة على إعجابه بصفاته وميزاته.

٤ ـ إن هذا التصرف من النبي «صلى الله عليه وآله»، بالاضافة إلى أنه يشير إلى محبته «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام»، وعاطفته الأبوية تجاههما، وإظهار مزيد من الحنان، فإنه أيضاً قيام بالواجب، وتلبية لنداء المسؤولية، التي تفرض الإسهام في هداية الناس إلى إمامتهما، وطاعتهما، ومحبتهما. كما دل عليه الكلام الذي أطلقه في حقهما وحق أبيهما كما سنرى.

٥ ـ لا بأس بالتذكير: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» حمل علياً «عليه

السلام» على كتفيه في فتح مكة لكي يقتلع الأصنام من على الكعبة، ويرمي بها بعيداً أو يحطمها.. ولم يمانع علي «عليه السلام» ولم يتردد في هذا الصعود، ما دام أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي طلب منه ذلك.

٦ ـ ومن المعلوم: أن رضا الحسنين «عليهما السلام» هو رضا الله سبحانه، وأنسهما، ومحبتهما، وكرامتهما عبادة له تعالى، وهي من المقاصد، والغايات التي يريد الله للبشر أن ينجزوها ويحققوها.

استبطأ صلى الله عليه وآله بلوغ الحسنين عليهما السلام إليه:

ذكرت رواية عبد العزيز المتقدمة برقم [١]: أنه لما رأى النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن والحسين «عليهما السلام» قام لهما، واستبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما، وحملهما على كتفيه..

ونقول:

أولاً: إن حديث الاستبطاء إنما هو من الراوي، فهو الذي فهم ذلك من مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» لاستقبالهما، وليس بالضرورة أن يكون مصيباً في فهمه هذا.

ثانياً: إن مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» لاستقبال الحسنين «عليهما السلام» كانت تهدف إلى إظهار مزيد من الاهتمام بهما، والتعبير عن شوقه «صلى الله عليه وآله» لهما.. وتمهيداً لمنحهما الوسام التكريمي الذي حباهما النبي «صلى الله عليه وآله» به، كما سنوضحه في الفقرة التالية..

نِعْمَ الجمل جملكما:

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد شهد للحسنين «عليهما السلام»

بنفس ما شهد به لنفسه، فقد وصف نفسه، واستعمل نفس التعبير الذي يعبِّر عن الإعجاب، والرضا بنفسه وبالحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال: نِعْمَ الجمل جملكما، ونِعْمَ الراكبان أنتما.. ونحو ذلك، أو نِعْمَ المطي مطيتكما، ونِعْمَ الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما..

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» معجباً بالحسنين «عليهما السلام»، وكانا مرضيين عنده، فهما مرضيان عند الله تعالى أيضاً..

لكنه «صلى الله عليه وآله» بقوله: «وأبوكما خير منكما» قد قرَّر: أن هذا الإعجاب والرضا لا يعني المساواة في الفضل، لا مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا مع علي «عليه السلام».

وإنما ذكر أفضلية وخيرية أبيهما عليهما ومنهما.. ليفهم منه أفضليته «صلى الله عليه وآله» بطريق أولى، لأن علياً «عليه السلام» وإن كان بمرتبة نفس النبي «صلى الله عليه وآله» بمقتضى آية المباهلة، لكن للنبي عليه درجة النبوة الخاتمة التي لم تكن لعلي «عليه السلام».. فكون علي خيراً من الحسنين «عليهما السلام»، يدل على أفضلية وخيرية النبي «صلى الله عليه وآله» منهما، فكيف إذا أضيف إلى ذلك درجة النبوة الخاتمة؟!

خالف بين أيديهما وأرجلهما:

وفي رواية ابن حماد: أن النبي حين حمل الحسنين «عليهما السلام»: «خالف بين أيديهما وأرجلهما».

قال المجلسي «رحمه الله»: «لعل المراد: أنهما استقبلا، أو استدبرا عند الركوب، فحاذى يمين كل منهما شمال الآخر، أو أنه جعل أيدي كل منهما

أو أرجلهما من جانب»[١].

على ظهر النبي ﷺ في الصلاة:

١ ـ روى زر بن حبيش، عن ابن مسعود قال: كان النبي «صلى الله عليه وآله» يصلي، فجاءه الحسن والحسين «عليهما السلام» فارتدفاه، فلما رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً، فلما عاد عادا، فلما انصرف أجلس هذا على فخذه وهذا على فخذه، وقال: «من أحبني فليحب هذين»[٢].

٢ ـ عن عبد الله قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي، حتى إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما قال: دعوهما. فلما أن صلى وضعهما في حجره وقال: «من أحبني فليحب هذين»[٣].

٣ ـ عن أنس بن مالك قال: كتب النبي «صلى الله عليه وآله» لرجل

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥.

(٢) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٢ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٥٤.

(٣) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٨ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣٢ وفي هامشه عن مصادر كثيرة، وفضائل الصحابة للنسائي ص٢٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٧٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٥٠ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٤٣٤ وج٩ ص٢٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٠٠ والإصابة ج٢ ص٦٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٦٠ وينابيع المودة ج٢ ص٤٠ و ٤١ و ٢٠٧ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٩٠ وج١٩ ص٢٣١ وج٢٦ ص٣٧ و ٣٩ و ١٤٢ و ٤١٠ وج٢٧ ص٦٥ عن مصادر كثيرة.

عهداً، فدخل الرجل يسلم على النبي «صلى الله عليه وآله» والنبي «صلى الله عليه وآله» يصلي، فرأى الحسن والحسين يركبان على عنقه مرة، ويركبان على ظهره مرة، ويمران بين يديه ومن خلفه، فلما فرغ «صلى الله عليه وآله» من الصلاة قال له الرجل: ما يقطعان الصلاة؟!

فغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: ناولني عهدك، فأخذه فمزقه، ثم قال: «من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا، فليس منا ولا أنا منه»(١).

٤ ـ وروى الحافظ أبو بكر محمد اللفتواني، عن أبي هريرة: أن الحسن بن علي «عليهما السلام» قال: السلام عليكم.

فرد أبو هريرة، فقال: بأبي، رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي، فسجد، فجاء الحسن «عليه السلام»، فركب ظهره وهو ساجد، ثم جاء الحسين «عليه السلام» فركب ظهره مع أخيه وهو ساجد، فثقلا على ظهره، فجئت فأخذتهما عن ظهره ـ وذكر كلاماً سقط على أبي يعلى ـ ومسح على رؤوسهما وقال: من أحبني فليحبهما ثلاثاً(٢).

وفي نص آخر يقول أبو هريرة: فإذا أرادوا أن يمنعوهما، أشار إليهم: أن دعوهما.. فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره، وقال: من أحبني فليحب

---

(١) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٦ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣٢ وفي هامشه عن مصادر كثيرة، وينابيع المودة ج٢ ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٣٩ وج٢٦ ص١٤٠ عن توضيح الدلائل لشهاب الدين الشيرازي (نسخة مصورة من مخطوطة مكتبة الملي بفارس) ص٣٥٥.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٤ عنه.

هذين[١].

أو قال: «ذروهما، بأبي وأمي. من أحبني الخ..»[٢].

٥ ـ عن عبد الله قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي والحسن والحسين يتواثبان على ظهره، فباعدهما الناس، فقال «صلى الله عليه وآله»: «دعوهما بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هذين»[٣].

٦ ـ عن أبي ذر «رضي الله عنه»، أنه قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً يصلي بالناس، وأقبل الحسن والحسين «عليهما السلام» ـ وهما

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٥ و ١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٧ عن ينابيع المودة (ط اسلامبول) ص١٦٧، وعن مسند أبي يعلى، عن ابن أبي شيبة، عن فضائل الصحابة للسمعاني.

(٢) ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٢٣ و (ط أخرى) ج٢ ص٤٧ وفي هامشه عن فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص٢٠ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٨ عن حلية الأولياء (ط السعادة بمصر) ج٨ ص٣٠٥.

(٣) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٥ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣٢ عن أحمد، وفي الهامش عن مصادر كثيرة، وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٧ وموارد الظمآن ج٧ ص١٨٨ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٨ وج١٩ ص٢٨٧ وج٢٦ ص٣٦ وعن زر بن حبيش راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢٦٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٠٢ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٦٢.

غلامان ـ يثبان على ظهره إذا سجد، وأقبل الناس ينحونهما عنه، فلما انصرف قال: دعوهما بأبي وأمي هما، من أحبني فليحبب هذين[١].

٧ ـ وعن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع النبي «صلى الله عليه وآله» العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً، فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته، فأقعدهما على فخذيه.

قال: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله أردهما؟!

فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما.

قال فمكث ضوؤها حتى دخلا[٢].

٨ ـ عن الليث بن سعد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي يوماً في فئة، والحسين صغير بالقرب منه، فكان النبي «صلى الله عليه وآله» إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره، ثم حرك رجليه وقال: حل، حل.

فإذا أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل، حل.

فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي «صلى الله عليه وآله» من صلاته.

---

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٧٦ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١١.

(٢) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٥ وفي هامشه عن مصادر كثيرة، و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣١ و ١٣٢ عن أحمد، وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٢٠٣ عن مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للقاري (ط ملتان) ج١١ ص٣٧٩.

فقال يهودي: يا محمد، إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله، لرحمتم الصبيان.

قال: فإني أؤمن بالله وبرسوله، فأسلم لما رأى كرمه مع عظم قدره(١).

قال المجلسي «رحمه الله»: قال الجوهري: حلحلت القوم: أي أزعجتهم عن موضعهم، وحلحلت بالناقة إذا قلت لها: حل، بالتسكين، وهو زجر للناقة، وحوب زجر للبعير، وحل أيضاً بالتنوين في الوصل(٢).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

أحكام فقهية:

هنا أمور لها نوع ارتباط بالأحكام، نذكر منها:

أولاً: هي تدل على أن حركات الطفل الصغير مع المصلي لا تبطل صلاته.

ثانياً: لم تحدد الروايات مقدار الزمان الذي كان يستغرق ارتدافهما لظهر النبي «صلى الله عليه وآله» حال سجوده.. ولكننا نعلم: أنه يجب أن لا يكون بحيث يخرج الصلاة عن صورتها.. بل صرحت تلك الروايات: بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يرفع رأسه حين يشاء، وينزلهما عن ظهره برفق.

---

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٨٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٢٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٦ و ٢٩٧ عنه، والعوالم، الإمام الحسين ص٣٩ و ٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٧.

ثالثاً: إن انزال النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين برفق عدة مرات في الصلاة الواحدة ليس من الفعل الماحي لصورة الصلاة.

رابعاً: إن الحسنين «عليهما السلام» إذا حرَّكا رجليهما، وهما على ظهر النبي «صلى الله عليه وآله»، بغرض أن يتسبب ذلك بحركة جسد النبي «صلى الله عليه وآله»، ولو بدرجة خفيفة. وقد يصل إلى حد اختلال الاستقرار والطمأنينة لديه.. ففي هذه الحالة يفترض أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يسكت عن الذكر حين تكون هذه الحركة مخلة بالطمأنينة والاستقرار، إن كان ذلك يحصل حين أداء الذكر الواجب.

وإن كان ذلك يحصل بعد شروعه في مطلق الذكر، فلا حاجة إلى توخي الاستقرار والطمأنينة.

حل، حل:

ذكرت رواية الليث بن سعد، ورواية ابن نجح المتقدمتان: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا يحركان رجليهما، وهما على ظهر النبي «صلى الله عليه وآله»، ويقولان: حل، حل..

وهي كلمة تزجر بها الإبل لكي تسرع بالسير..

ولنا على هذا ملاحظتان:

أولاهما: إن الحسنين «عليهما السلام»، وإن كانا في سن الطفولة، ولكنهما كانا إمامين معصومين عن أي ذنب أو خطل، أو خلل في السلوك والأخلاق والآداب.. ولاسيما مع جدهما وأبيهما، وكل من يجب احترامه، وتوقيره، ومراعاة جانبه..

كما أن رسول «صلى الله عليه وآله» كان يعاملهما كما يعامل الإنسان الكامل والعاقل، والمعصوم، والواعي.

وقد عرفنا: أنه «صلى الله عليه وآله»:

١ ـ قد أشهدهما على كتاب ثقيف(١).

٢ ـ وقد بايعاه بيعة الرضوان قبل فتح مكة، ولم يبايع صغيراً (صبياً) غيرهما(٢).

---

(١) الأموال لأبي عبيد ص٢٨٩ و ٢٩٠ وراجع: التراتيب الإدارية ج١ ص٢٧٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨٤ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٧٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٤٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٨ وج٥٠ ص٧٨ والدرجات الرفيعة ص١٤١ و ١٦٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٨٧ والاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٤٥ ومدينة المعاجز ج٧ ص٣٥٥ والدر النظيم ص٧٠٨ وكشف الغمة ج٣ ص١٥٠ والمحجة البيضاء ج٤ ص٣٠٠ وعن العقد الفريد ج٢ ص٢٤٣ وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص٤٠ والمعجم الكبير ج٣ ص١١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٨٠ والبداية والنهاية ج٨ ص٢٢٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢١٥ وينابيع المودة ص٣٧٥ عن فصل الخطاب لمحمد پارسا البخاري، عن النووي على ما يبدو وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص١٥٠ وفي هامشه عن المعجم الكبير للطبراني، ترجمة الإمام الحسين الحديث رقم ٧٧ وحياة الصحابة ج١ ص٢٥٠ ومجمع الزوائد ج٦ ص٤٠ عن الطبراني، وقال: هو مرسل ورجاله ثقات، والعقد الفريد ج٤ ص٣٨٤ من دون ذكر ابن عباس.

٣ ـ وأخرجهما في قصة المباهلة ليباهل بهما نصارى نجران[١].

٤ ـ وقال عنهما وهما لا يزالان صغيرين: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي، وابن الشيخ، والترمذي، والنسائي، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، ومسلم، وابن المنذر، والحاكم. وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٨٧ ـ ١٩٠. وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٦٤ و ٢٦٦ وج٣٧ ص٢٦٥ و ٢٧٠ والدر المنثور ج٢ ص٣٩ وتفسير الآلوسي ج٣ ص١٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٤٢ والعمدة لابن البطريق ص١٣٢ و١٨٨ والطرائف لابن طاووس ص٤٥ وص١٢٩ والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ص٦٦٠ وتفسير العياشي ج١ ص١٧٦ و ١٧٧ وتفسير القمي ج١ ص١٠٤ والصراط المستقيم للعاملي ج١ ص١٨٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٦ و ١٨ و ١٩ وتفسير الثعلبي ج٨ ص٤١ وتفسير السمعاني ج١ ص٣٢٧ وأحكام القرآن ؤبن العربي ج١ ص٣٦٠ ومجمع البيان ج٢ ص٤٥٢ و (ط الأعلمي سنة ١٤١٥هـ) ص٣١٠ والتبيان ج٢ ص٤٨٤ و ٤٨٥ ونهج الحق (مطبوع مع دلائل الصدق) ج٢ ص٨٣ وتفسير الرازي ج٨ ص٨٠ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ج٢ ص٦٦٧ وحقائق التأويل ص١١٤ ودعائم الإسلام ج١ ص١٧و ١٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص١٨٧ وفقه القرآن للراوندي ج٢ ص٣٦٢ ومتشابه القرآن ومختلفه لابن شهرآشوب ج٢ ص٣٣ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٢٢٧.

(٢) راجع: الكافي ج١ ص٢٨٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦١ وفي الهامش عن: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص٤٧ وغنية النزوع ص٣٢٣

وجامع الخلاف والوفاق ص٣٦٨ و ٤٠٤ وتذكرة الفقهاء ج٥ ص٤٣٥ و (ط قديمة) ج١ ص٢٥٤ وج٢ ص٤٣٧ ومختلف الشيعة ج٣ ص٣٣٣ وج٦ ص٣٠٨ و ٣٣٠ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣١١ وج٨ ص١٦٥ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٧٠ و ٨٥٧ وتلخيص الشافي ج٤ ص١٧٠ ونور الثقلين ج٣ ص٢٩٠ وج٤ ص٢٨٤ والميزان ج٤ ص٣١٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٠ والمسائل الجارودية للمفيد ص٣٥ والمستجاد من الإرشاد للعلامة (المجموعة) ص١٥٧ والصراط المستقيم ج٢ ص١١٨ وج٣ ص١٣٠ والمحتضر لابن سليمان الحلي ص١٧٩ والتعجب للكراجكي ص١٢٩ والفصول المختارة للمرتضى ص٣٠٣ وروضة الواعظين ص١٥٦ وكفاية الأثر ص٣٨ و ١١٧ والفرق بين الفرق ص٢٥ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٣ و ١٦٣ والفضائل لابن شاذان ص١١٨ والطرائف لابن طاووس ١٩٦ وعوالي اللآلي ج٣ ص١٣٠ وج٤ ص٩٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٩١ وج٣ ص٢٩٠ وبحار الأنوار ج١٦ ص٣٠٧ وج٢١ ص٢٧٩ وج٣٥ ص٢٦٦ وج٣٦ ص٢٨٩ و ٣٢٥ وج٧٣ ص٧ وج٣٧ ص٢٩٨ و ٢٩١ وج٤٤ ص٢ و ١٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٠٧ و ٤٢١ وكشف الغمة ج٢ ص١٥٦ وج٢ ص٢٢٥ و ٢٤٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧١٧ و ٧٣٢ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص١٦٨ ونزهة المجالس ج٢ ص١٨٤ وفي السراج الوهاج للشبراوي الشافعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة، وغاية المرام ج٢ ص٢٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٨٢ وج١٩ ص٢١٦ و ٢١٧ عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة) ص١٩٥ وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص١٨ و ٦٧ وينابيع المودة ص٤٤٥.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة(١).

وظاهر الكلام: أنه «صلى الله عليه وآله»، قد أخبر عن فعلية ثبوت مقام الإمامة لهما. ولذا لم يقل سيكونان إمامين وإن كانت إمامة الساكت القاعد، فإن السكوت والقعود لا يفقده مقام الإمامة.

وذلك كله وسواه يدل: على أنهما «عليهما السلام» ـ وهما بهذه السن ـ كانا أهلاً للخطاب الإلهي..

الأمر الذي يدلنا: على أنهما لا يمكن أن يصدر منهما ما يعدُّ انقاصاً لمقام رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومن المعلوم: أن الناس يستحسنون صعود الطفل على كتف جده، وظهره، لكنهم لا يقبلون منه: أن يصف جده وأباه بالكلمات غير اللائقة بمقامه، بل يزجرونه، ويطالبونه بالاعتذار، وعدم العود.

تمزيق عهد لأجل سؤال!!:

وذكر الحديث المذكور آنفاً برقم [٣]: أن النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) نزهة المجالس ج٢ ص١٨٤ و (ط القاهرة) ج٢ ص٢٢٨ والإتحاف بحب الأشراف ص١٢٩ وإثبات الهداة ج٥ ص٥٢ والمحتضر لابن سليمان الحلي ص١٧٩ وكشف الغمة ج٢ ص١٢٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٢٥١ وج٣٣ ص٢٩٢ عن مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة (ط دار ابن كثير دمشق وبيروت) ص١٩١.

مزَّق عهداً كان قد كتبه لرجل رأى الحسنين «عليهما السلام» وهما يركبان على ظهر النبي ويمران بين يديه ومن خلفه، فقال ذلك الرجل: ما يقطعان الصلاة؟! ثم قال: «من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا، فليس منا ولا أنا منه».

ونقول:

أولاً: يفهم من قوله «صلى الله عليه وآله»: «من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا، فليس منا ولا أنا منه»: أن ذلك العهد كان مع رجل معلن للإسلام. ولكن ذلك لا يكفي لمعرفة نوع ومضمون العهد الذي كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطاه إياه، هل هو عهد أمان، أو هو عهد تبين طريقة التعامل مع رجل له مصالح في محيطه، قد تتصادم مع مصالح بعض المسلمين في ذلك المحيط، فيحصل بعض التنازع لهم معه.. أو أنه عهد يتضمن إيكال بعض المهمات، أو بعض الأراضي إلى ذلك الرجل مقابل بدلات مالية أو نحوها.

ثانياً: قد يقال: إن ما قاله ذلك الرجل لا يبرر هذا الغضب الشديد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حد تمزيق عهده، أو التبرء منه.. فلعل الرجل لم يكن يعلم: بأن هذه الحركات الكثيرة من الحسنين «عليهما السلام» تجاه رجل مشغول بالصلاة يفترض أن توجب بطلان صلاته، فأراد استيضاح هذا الأمر من النبي «صلى الله عليه وآله».. وإنما يحتاج هذا الرجل إلى التعليم والرفق والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة.. وفي مقابل ذلك يمكن ادِّعاء: أن سؤال ذلك الرجل كان مشوباً بالتخطئة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، الأمر الذي يعني أحد أمرين:

الأول: أن يكون الهدف منه: إنكار عصمة الرسول، فلا يعتمد على ما

يقول وما يفعل، لأنه يعمل بالهوى، ويتلاعب بالأحكام..

وهذا معناه: تكذيب قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾(١).

وقوله: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(٣).

الثاني: إن سؤاله يعطي: أنه أصبح شاكاً في رسوليته، وصدقه في ادّعاء النبوة، وبذلك يصبح ذلك الرجل مرتداً، وليس من المسلمين، ولا يكون الرسول من أهل نحلته.

الثالث: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يشر إلى هذين الأمرين، بل أشار إلى أمر ثالث، وهو: أن ذلك الرجل لا يرحم صغير المسلمين، ولا يوقّر كبيرهم..

والأمر الأول: يدل على قسوة قلبه.

والثاني: يدل على أنه لا يملك قيماً أخلاقية، في سلوكياته، وتعامله مع الآخرين..

وهذا يجعله غير مستحق لذلك العهد الذي أعطاه إياه النبي «صلى الله عليه وآله».. بل هو لا يفي بتعهداته، ولا مجال للتعامل معه..

ولو شككنا في دلالة سؤاله على أنه لا يرحم الصغير، فلا مجال لإنكار

---

(١) الآية ٣ من سورة النجم.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

دلالة سؤاله على أنه لم يكن مسلِّماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن يرى أن فعل النبي دليل على أن هذا المقدار من الحركة لا يبطل الصلاة، بل كان عليه أن يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب عدم بطلان الصلاة، ليتعلم منه هذا الحكم الذي يجهله.. وليس له أن يحكم هو ببطلان صلاة النبي «صلى الله عليه وآله»..

وكأنه قد طرح سؤاله بصفة الإنكار، والإدانة، والتخطئة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما قلنا.. ولعله كان مقروناً بنظرة، أو نبرة إزراء، أو استهزاء، أو نحو ذلك.

بل نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل: من لم يرحم الصغير، ولم يوقِّر الكبير، فليس منا.. بل قال: «كبيرنا» و «وصغيرنا». فهل سبب ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف: أن هذا الرجل كان من مبغضي أهل البيت «عليهم السلام»، حتى الصغار منهم.. وإن كانوا أئمة، ولا يحترم الكبار من بني هاشم، حتى لو كان أفضل الأنبياء، وأحب الخلق إلى الله. ومن كان كذلك، فلا ضير في الحكم عليه بالكفر، ولا غضاضة في تمزيق عهده، وإهانته وطرده.

التفدية والإشارة في الصلاة:

وفي رواية أبي هريرة: أن الحاضرين إذا أرادوا أن يمنعوا الحسن والحسين من الاقتراب من النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يصلي، «أشار إليهم أن دعوهما».

وبعد أن قضى الصلاة، قال: «ذروهما، بأبي وأمي الخ..» أو قال ـ كما في

رواية عبد الله ـ: «دعوهما بأبي هما وأمي»، ونحو ذلك عن أبي ذر..

ونقول:

يلاحظ ما يلي:

أولاً: قد يقال: إن إشارة النبي إلى الناس وهو في الصلاة ربما كانت لا تنسجم مع حضور القلب، وتخلُّ بالتوجه التام إلى الله تعالى.. والله تعالى يقول: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾(١).

ويجاب:

بأن رضا الحسنين «عليهما السلام»، وأنسهما بجدهما، وتمهيد السبيل لذلك هو من العبادات التي يحبها الله تعالى، فلا ينافي ذلك التوجه إليه تعالى في الصلاة..

ويؤيده، بل يدل عليه: قوله «صلى الله عليه وآله»: النظر في وجه علي عبادة(٢).

---

(١) الآية ٤ من سورة الأحزاب.

(٢) الأمالي للصدوق ص٤٤٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص١٩٩ وشرح الأخبار ج٢ ص٥٧٩ والمسترشد ص٢٩٤ ومائة منقبة لابن شاذان ص١٥١ و ١٥٢ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ والعمدة لابن البطريق ص٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ وبحار الأنوار ج٢٥ ص٣٢٤ وج٣٨ ص١٩٥ و ١٩٨ و ٢٠١ وج٤٠ ص٧٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٤٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٥٠ والمعجم الكبير ج١٠ ص٧٧ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣١٠ والرياض النضرة ج٣ ص١٩٧

ثانياً: إن تفدية النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن والحسين «عليهما السلام» ليس فيه تصغير لشأن والديه، بل فيه إظهار لمدى حبه واحترامه لهما. ولكن الحسنين «عليهما السلام» كانا ـ بما لهما من موقع الإمامة، وما رصده الله تعالى من مهمات يؤديانها لهذا الدين ـ أحب إليه حتى من والديه «صلى الله عليه وآله».

تعدد الواقعة:

قد تكون هذه الواقعة قد تكررت كرات ومرات، وليكن اختلاف الرواة، والخصوصيات في المضامين المنقولة شاهداً على ذلك.. لاسيما بملاحظة ما يلي:

١ ـ إن طفولة الحسنين «عليهما السلام» تستغرق وقتاً يعدّ بالسنوات.

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي في المسجد الذي هو مركز المدينة، وموضع لقاء أهلها.. بل كان بيته وبيت ولديه في نفس ذلك المسجد.

٣ ـ إن الصلاة كانت تقام جماعة في هذا المسجد، في جميع أوقات الصلاة

و ١٩٨ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٦٠١ و ٦٢٤ وكشف الخفاء ج٢ ص٣١٨ وقاموس الرجال ج١٠ ص٩٢ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٣٩ وج٧ ص٢١٨ وتاريخ بغداد ج٢ ص٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٩ وج٤٢ ص٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٥ وذيل تاريخ بغداد ج٢ ص١٥٣ وسير أعلام النبلاء ج١٥ ص٥٤٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٩٤ والمناقب للخوارزمي ص٣٦١ وكشف اليقين ص٤٤٩ و ٤٥٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٧٨ و ٢٥٥ و ٢٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٩٢ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٨٦٧ وينابيع المودة ج١ ص٢٦٧ وج٢ ص٨٣ و ١٨٦ و ٢٤٠ و ٣٩٥.

المفروضة. وأما الصلوات المستحبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في كل يوم، فهي تعد بالعشرات أو بالمئات.

٤ ـ يمكن أن يحصل ذلك في الصلاة المكتوبة، وفي الصلوات المستحبة..

يهودي يتساءل ثم يسلم:

وذكرت رواية الليث بن سعد: أن يهودياً كان حاضراً إحدى تلك الوقائع، ورأى كيف أن الحسين «عليه السلام» كان يرتحل النبي «صلى الله عليه وآله» حال سجوده، فإذا أراد «صلى الله عليه وآله» أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه.. فإذا سجد عاد إلى ظهره.

فقال يهودي: يا محمد، إنكم لتفعلون شيئاً ما نفعله نحن.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان.

فأسلم اليهودي لما رأى كرمه مع عظم قدره.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إسلام اليهودي:

ذكرت رواية الليث: أن اليهودي أسلم بسبب ما رآه لدى النبي «صلى الله عليه وآله» من كرم أخلاق، ومن رفق وعاطفة، ورأفة ورحمة بالصبيان.

فكأنه استدل بذلك: على أن هذه الحالات ليست مجرد حالة فرضتها العصبية للأقارب، أو حب الذات والمصلحة الشخصية، بل هي خلق أصيل،

وجميل، وطبع وسجية، ومشاعر نبيلة..

ولو كان الأمر على خلاف ذلك لكان «صلى الله عليه وآله» لا يصلي في الملأ العام، بحيث يراه الناس في حالات يرون أنها لا تلائم شخصية الرجل الحاكم والحازم، الذي يريد فرض سلطته، وهيبته حتى على أبنائه، فضلاً عن غيرهم..

ولم ير لدى الملأ من قومه هذه الروح الرضية، والمشاعر الإنسانية، بل رأى القسوة والغلظة، والأنانية الطاغية، وحب الجاه والمقام، والتسلط، والجبارية.

هل كان اليهودي في المسجد؟!:

وقد يدور بخلد البعض سؤال، عن أنه لا يجوز لغير المسلم أن يدخل مساجد المسلمين.. فكيف حضر اليهودي هـذه الواقعة، وشارك في بعض فصولها؟!

ونجيب:

أولاً: ليس في الرواية: أن هذا الذي جرى قد كان في المسجد.

ثانياً: لو فرض أن ما جرى كان في المسجد، فلا شيء يحتم دخول اليهودي، إذ يمكن أن يكون ذلك اليهودي على مشارف المسجد ويرى ويسمع ما فيه، فتدخل مخاطباً النبي «صلى الله عليه وآله» من بعيد وسمع الجواب، وانتهى الأمر بإسلامه..

ثالثاً: لعل هذه الحادثة جرت قبل تحريم دخول الكفار إلى مساجد المسلمين، فقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا**

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾(١).

وهذه الآية لا تدل على ذلك، لأنها خاصة بالمشركين، فلعل لأهل الكتاب خصوصية في هذا الأمر، كما دل عليه دخول نصارى نجران إلى مسجد النبي «صلى الله عليه وآله».. لأن المراد بالنجس القذارة المعنوية، لا القذارة الحسية. أي أن شركهم هو المانع من دخولهم إلى المسجد، وهو الذي يعدُّ هتكاً لحرمته، وإن لم يوجب تنجساً له.

وليس فيها ما يدل على أن كل كفر يمنع من دخول المتلبس به إلى المسجد..

رابعاً: لو سلمنا أن المراد هو النجاسة الحسية، فإننا نقول: إن الحرام هو تنجيس المسجد. أما إدخالها إليه، فلا تحرم إلا إذا كان في ذلك هتك لحرمته، فلا يحرم دخول من جرحت يده إلى المسجد.

خامساً: الآية المباركة تتحدث عن المسجد الحرام، لخصوصيته العظيمة. أما سائر المساجد، فقد لا تشملها الآية..

وشهد لذلك قول الآية: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ ولم تقل: فلا يقربوا المساجد.

كما أنها منعت من الاقتراب، ولا يحرم أن يمر الكافر بالقرب من سائر المساجد.

خامساً: إن هذه الآية وردت في سورة التوبة التي هي من أواخر ما

---

(١) الآية ٢٨ من سورة التوبة.

نزل في القرآن[١].

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٠٧ و ٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن أبي داود في المصاحف، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٣٠ و ٣٣١ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) والبرهان للزركشي ج١ ص٢٣٥ وراجع ص٦١ وفتح الباري ج٩ ص٣٧ و ٣٩ وكنز العمال (ط الهند) ج٢ ص٣٦٧ عمن ذكرهم في الدر المنثور آنفاً، وعن أبي عبيد في فضائله، وابن الأنباري في المصاحف، وأبي نعيم في المعرفة، وسعيد بن منصور، وفواتح الرحموت (بهامش المستصفى) ج٢ ص١٢ وعن أحمد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، ومشكل الآثار ج٢ ص١٥٢ ومسند أحمد ج١ ص٥٧ و ٦٩ والسنن الكبرى ج٢ ص٤٢ وجواهر الأخبار والآثار (مطبوع مع البحر الزخار) ج٢ ص٢٤٥ ومناهل العرفان ج١ ص٣٤٧ ومباحث في علوم القرآن للقطان ص١٤٢ والمرشد الوجيز لأبي شامة ص٦١ والمبسوط للسرخسي ج١ ص١٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٤٤٤ وتفسير البيضاوي ج٣ ص١٢٦ والغدير ج٨ ص١٠ وأبو طالب مؤمن قريش ص٣٤١ عن: البخاري، والكشاف، والبيضاوي، وتفسير ابن كثير، والإتقان، وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن الضرير، وابن المنذر، والنحاس، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وعين العبرة لأحمد آل طاووس ج٢ ص١٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٧ وسنن أبي داود ج١ ص١٨٢ وكنز العمال ج٢ ص٥٧٥ ومجمع البيان ج٥ ص٦ والبيان في تفسير القرآن ص٢٤٣ ومعاني القرآن ج٣ ص١٧٩ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٠ وأسباب النزول للواحدي ج٢ ص٨ وزاد المسير ج١ ص٣ وج٣ ص٢٦٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٩٥ والجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٦٠ وج٨ ص١٧٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢

بالتحديد في سنة تسع في ذي الحجة(١).

سادساً: لدينا ما يدل على أن دخول الكافر إلى المسجد كان جائزاً في ما يلي:

ألف: إن وفد طي حين وفد إلى المدينة «عقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ثم دخلوا وجلسوا قريباً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث يسمعون صوته»(٢).

ب: إن وفد نجران ـ كما زعموا ـ «لما حانت صلاتهم قاموا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلون، فأراد الناس منعهم، فقال «صلى الله عليه وآله» دعوهم»(٣).

ص٣٤٤ و ٤١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٣٦٥.

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، والبخاري، والنسائي، وابن الضريس، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص١٠٣ وتفسير النسفي ج٢ ص٧٧ والتبيان في تفسير القرآن ج٩ ص٣٢٥ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٥ والمنتخب من تفسير القرآن لابن إدريس الحلي ج٢ ص٢٦٨ وج٣ ص١٥١ والتفسير الصافي ج٢ ص٣١٨ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٥ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٤٣ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٤٠ والشافي في الإمامة ج٤ ص٣٨.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٨ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٧ والإصابة ج٦ ص٤٧٨ والأعلام للزركلي ج٨ ص١١٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٥١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٨ ونهاية الأرب ج١٨ ص٧٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٦ و ٤١٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني

راجع سائر أخبار الوفود للمشركين، وأهل الكتاب الذين كانوا يأتون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المدينة.

وقد يناقش في هذا الدليل الأخير بما يلي:

أنه لا دليل على أن دخول وفود المشركين كان إلى المسجد المخصص للصلاة، فلعلهم كانوا يدخلون إلى الساحة الملحقة بالمسجد، أو إلى موضع الصفة، التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» يُنزل فيها بعض فقراء المسلمين. فإن دخول الجنب والكافر إلى هذه الأماكن ليس ممنوعاً.. وقد كان أهل الصفّة يبيتون فيها، ولعل بعضهم كانت تحصل له جنابة في حال نومه.

المؤمن بالله ورسوله يرحم الصبيان:

وتقدم رواية الليث بن سعد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لليهودي: «لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان».

فهنا سؤال يقول: ألم يكن اليهود يؤمنون بالله، وبأن له أنبياء ورسلاً، وبأنه أنزل كتباً؟! فإن كان المقصود أنهم لا يؤمنون برسول الله محمد «صلى الله عليه وآله»، فلا ريب في أنهم كانوا يؤمنون بالله، فكيف يتهمهم النبي «صلى الله

ج٥ ص١٨٧ و ١٨٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٣٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٥ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٦٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤١٣ وعيون الأثر ج١ ص٢٩٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٣ وتفسير البغوي ج١ ص٢٧٦ وتفسير الثعلبي ج٣ ص٦ وجامع البيان ج٣ ص٢٢١ وزبدة التفاسير ج١ ص٤٤٧ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٢٣٤ وتفسير أبي السعود ج٢ ص٣.

عليه وآله» بأنهم لا يؤمنون بالله؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن الذي يترك الأثر المنشود ـ وهو أن يصبح الإنسان رحيماً بالصبيان ـ هو الإيمان بالأمرين معاً، وهما: الإيمان بالله، والإيمان برسوله محمد «صلى الله عليه وآله».. ربما لأن اتِّباع هذا الرسول هو الذي ينقي الإيمان، ويحفظه من الترهات والأباطيل، وهو الذي يبعث في القلب: الرقة، والرأفة، والرحمة، لأنه يضعف حب الدنيا فيه، ويزيد من تعلقه بالله، وشوقه إليه، وطاعته له، وتصديقه ورغبته بما أعدَّه الله تعالى له من مكافأت ومنح وهبات في الآخرة.

ولا يكفي الإيمان برسول سابق، وهو موسى «عليه السلام»، مع الكفر بالرسل الذين جاؤوا بعده، وأظهروا المعجزات والدلائل الكافية..

ولعل هذا هو ما فهمه اليهودي من كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولذا لم يسجِّل أي اعتراض، بل بادر إلى إعلان إسلامه.

اليهود لا يرحمون الصبيان:

وقد ظهر من الكلام المنسوب للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن اليهود لا يرحمون الصبيان.. مع أن حب اليهود للدنيا وزينتها يفوق الوصف.. والأموال والأولاد من زينة الحياة الدنيا، فالمفروض من الناحية الواقعية، والغريزية أن يحب اليهود صبيانهم، وأن يرحموهم، فكيف أطلق النبي «صلى الله عليه وآله» هذا الحكم عليهم؟!

ونجيب:

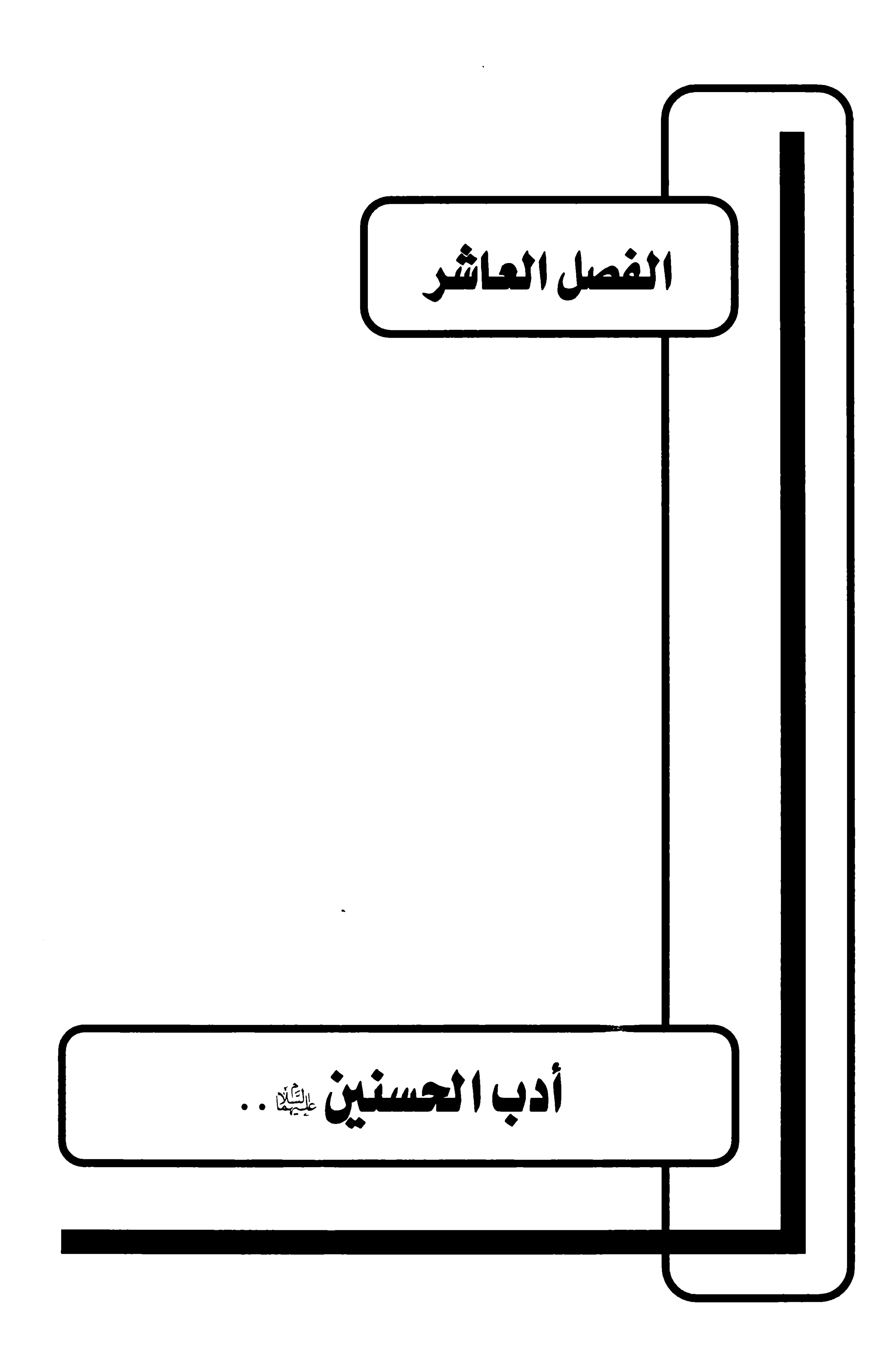
بأن كلام النبي «صلى الله عليه وآله» ليس عن رحمة الأب أو الأم للصبيان

من أبنائهما، فإن هذا حاصل بالنسبة لكل أب وابن، ولكنه يتحدث عن حقيقة: أن اليهود يفقدون عنصر الرحمة الذي يفترض أن يشمل كل من كان صبياً، لمجرد كونه صبياً يفقد الكثير من عناصر القوة، ويعجز عن تلبية الحاجات الضرورية لنفسه، فضلاً عن غيره..

إن الحب الغريزي للأبناء، وكذلك الحب المنطلق من أنانية المحب، ومن حب الاستئثار، والغنى، فذلك ليس محط نظر الرسول «صلى الله عليه وآله».. بل هو ينظر إلى حقيقة: أن اليهود والمفرطين في حبهم للدنيا وزينتها يعانون من اختلال حقيقي في المشاعر الصافية، المنطلقة من معانيَ إنسانية نبيلة، ورضية تعطي القيمة لنفس إنسانية الإنسان، ولا تعتبره شخصاً كسائر الاملاك المالية أو غيرها.

ثانياً: إن الكلام هو عن الرحمة للصبيان، والرحمة هو شعور ينشأ عن رؤية ضعف، وعجز، وفاقدية الطرف الآخر لما يحتاج إليه في انعاش حياته، أو في المنع من الانهيار والسقوط..

أما الحب، فقد يكون بدافع الغريزية، أو الإنانية، أو الإعجاب، أو لغير ذلك من أسباب، فشتان ما بين الحب والرحمة. فليلاحظ ذلك..



الفصل العاشر

أدب الحسنين عليهما السلام ..

أبو الحسن، وأبو الحسين:

قالوا: كان الحسن والحسين «عليهما السلام» يدعوان رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا أبه..

ويدعو الحسن أباه علياً «عليه السلام»: يا أبا الحسين.

ويدعو الحسين أباه علياً «عليه السلام»: يا أبا الحسن.

فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعواه: يا أبانا، أو يا أبه[1].

ونقول:

هناك أمور تحتاج إلى بيان، وهي التالية:

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٠٧ ومقاتل الطالبيين ص١٤ والمناقب للخوارزمي ص٣٩ و ٤٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٠٦ و ١٠٧ وفرائد السمطين ج٢ ص٨١ و ٨٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١١ وألقاب الرسول وعترته للراوندي (ميراث حديث الشيعة) ص٣٤ وراجع: كشف الغمة ج١ ص٦٥ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٦٦ و ٦١ ـ ٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٠ ص١٤٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب « عليه السلام » في الكتاب والسنة والتاريخ ج١ ص٨٠.

هل هذا نتيجة تعليم؟!:

قد يظن البعض: أن هذا التميز في الخطاب للنبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام»، قبل استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبعده قد كان بتعليم وتوجيه للحسنين «عليهما السلام»، من قِبَل جدهما، أو أبيهما أو أمهما.. ولا سيما بملاحظة صغر سنهما، حيث يبعد أن يكونا قد أدركا هذه التفاصيل والخصوصيات، من دون دلالة وتوجيه..

ونقول:

بل قد يكون عكس ذلك هو الأقرب إلى الاعتبار، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر لهما مقام الإمامة وقبل البيعة منهما في بيعة الرضوان، وأشهدهما على كتاب ثقيف، وأشركهما في المباهلة لإثبات نبوة عيسى ونزلت الآيات القرآنية في سورة هل آتى وغيرها في الثناء عليهما، وتصويب عملهما. وأظهرت الوقائع الكثيرة ما لديهما من علم غزير، وعقل راجح، وفهم لا يبارى، وبصيرة لا تجارى، فلماذا لا يكونان «عليهما السلام» قد أدركا في النبي «صلى الله عليه وآله» معنى عميقاً ودقيقاً يفرض عليهما هذا التعامل الرصين معه، لأنه يظهر أنه «صلى الله عليه وآله»هو الأب الرحيم، والمدبر الحكيم، الذي يدبر أمر الأمة من موقع التعقل، والدراية والحكمة، وتذهب نفسه حسرات حتى على أعدائه، وهو يرجو ويتمنى الهداية، والصلاح والفلاح والنجاح للناس كل الناس..

فكل خير وهدى في هذه الأمة، فإنما هو رشحة من رشحاته، وبعض من ثمرات جهده وجهاده، ومن بركات تضحياته، والنموذج الأعلى والأغلى،

والأسمى والأرقى والأبقى هو أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهو الذي رباه ورعاه، فكان يتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع له في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمره بالاقتداء به(١).

وهو «عليه السلام» القائل عرفاناً للنبي «صلى الله عليه وآله» بالجميل: «أنا عبد من عبيد محمد»(٢).

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٣٧ ـ ١٦٠ (الخطبة القاصعة) رقم ١٩٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٨ والطرائف لابن طاووس ص٤١٥ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص٢٢٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٣ وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٦ وج١٨ ص٢٢٣ وج٣٨ ص٣٢٠ وج٦٠ ص٢٦٤ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٤ ص٣٠٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٦٨ والغدير ج٣ ص٢٤٠ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٣٩١ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٠٧ ونهج السعادة ج٧ ص٣٣ و ١٤٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٩٧ وخصائص الوحي المبين ص٢٨ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٣٢ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٩ والأنوار البهية ص٣٥ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٣٣١.

(٢) الكافي ج١ ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ والإحتجاج ج١ ص٣١٣ وغوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ والفصول المهمة في أصول الأئمة ج١ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٣ ونور البراهين ج١ ص٤٣٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٦٤ وميزان الحكمة ج١ ص١٤٤ وج٤ ص٣٢٠٧ ونور الثقلين ج٥ ص٢٣٣.

ولذلك كان الحسنان يخاطبانه في حال حياته: بـ «يا أبة» عرفاناً منهما، بعظيم فضله، وجميل وجليل تضحياته «صلى الله عليه وآله».

بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله:

وبعد انتقاله «صلى الله عليه وآله» إلى الرفيق الأعلى، صار أمير المؤمنين «عليه السلام» هو المسؤول عن متابعة الجهد، والقيام بنفس المسؤوليات التي كانت مناطة برسول الله «صلى الله عليه وآله».

فبناء على هذا تعين على أهل الدراية، والحكمة: أن يوجهوا الأنظار إلى حقيقة مقام أمير المؤمنين، وأن ينوهوا بعظيم فضله، وجليل مقامه، وحساسية مسؤولياته. ومدى تطابقها مع المسؤوليات التي كانت على عاتق رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فخاطبه الحسنان «عليهما السلام» بنفس الخطاب الذي كانا يخاطبان به رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو قولهم له: «يا أبة». وذلك من نفس المنطلق، واستجابة لنفس الدواعي التي حتمت عليهما خطاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الكلمة بالذات.

لأن علياً كان أباً لهذه الأمة كما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أباً لها، كما قرره الرسول نفسه، حين قال «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[١].

---

(١) راجع: البرهان (تفسير) ج١ ص٣٦٩ ومعاني الأخبار ٥٢ و ١١٨ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٨٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص٩١ وعلل الشرائع ص١٢٧

وكمال الدين ص٢٦١ والأمالي للصدوق ص٦٥ و ٤١١ و ٧٥٥ والميزان ج٤ ص٣٥٧ وبحار الأنوار ج١٦ ص٩٥ و ٣٦٤ وج٢٣ ص١٢٨ و ٢٥٩ وج٢٦ ص٢٦٤ و ٣٤٢ وج٣٦ ص٦ و ٩ و ١١ و١٤ و ٢٥٥ وج٣٨ ص٩٢ و ١٥٢ وج٣٩ ص٩٣ وج٤٠ ص٤٥ وج٦٦ ص٣٤٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٣٨ والمراجعات ص٢٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٤٩ وج١٨ ص٣١١ و ٣١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٢٦٤ وج١٠ ص٤٥٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٠٠ وروضة الواعظين ص٣٢٢ وخاتمة المستدرك ج٥ ص١٤ والغارات للثقفي ج٢ ص٧١٧ و ٧٤٥ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٨٦ والعمدة لابن البطريق ص٣٤٥ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١٣٣ وسعد السعود ص٢٧٥ والعقد النضيد والدر الفريد ص٧٠ والمحتضر للحلي ص٧٣ والصراط المستقيم ج١ ص٢٤٢ و ٢٤٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٧ و ٧٤ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٦ و ٧٨٧ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص٨٠ و ٢٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٧ ص٢٤٣ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٥٩ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص٣٣٠ والصافي (تفسير) ج١ ص١٥٠ وج٤ ص١٦٥ و ١٦٦ وج٥ ص٥٢ وج٦ ص١٢ و ١٣ و ٥٢٠ ونور الثقلين ج٤ ص٢٣٧ و ٢٣٨ وكنز الدقائق ج١ ص٢٨٦ وج٢ ص٤٤٠ ومفردات غريب القرآن للراغب ص٧ وتفسير الآلوسي ج٢٢ ص٣١ وبشارة المصطفى ص٩٧ و ٢٥٤ ونهج الإيمان ص٦٢٥ و ٦٢٩ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج١ ص٧٤ و ١٢٨ وينابيع المودة ج١ ص٣٧٠ واللمعة البيضاء ص٨١ و ١٢٣ ومشارق أنوار اليقين ص٤٣ و ٢٨٩ وغاية المرام ج١ ص١٧٧ و ٢٥٠ وج٢ ص١٧٩ و ٢١١ وج٣ ص٧٠ وج٥ ص١١٨ و١٢٢ و ٢٩٩ و٣٠١ و ٣٠٣ وج٦ ص٦٦

كما كان إبراهيم «عليه السلام» أباً لها كما قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[1].

والحسنان «عليهما السلام»، وهما بعد جدهما وأبيهما أفضل الخلق، وأكملهم عقلاً، وأحكمهم حكمة، وأفضلهم معرفة ودراية وأغزرهم علماً، وأكرمهم سجية، وأرضاهم أخلاقاً، وأرقاهم في مختلف الصفات والميزات، فمن الطبيعي أن يكون من له هذه الحالات والميزات هو القادر على الاستفادة الأتم والأكمل والأرقى، من مقامي النبوة، والوصاية، اللتين تجسدتا في أفضل ما ومن خلقه الله. أعني النبي وعلياً «صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما».

وهما الأكثر ادراكاً، وتفاعلاً وانسجاماً، وفهماً، ووعياً لهذه الأبوة الحانية والعالمة والعاملة، والواعية والحكيمة المتمثلة في النبي والوصي.

توضيح حول: يا أبا الحسن، ويا أبا الحسين!!:

وفيما يرتبط بالباعث لخطاب الإمام الحسن «عليه السلام» أباه علياً «عليه السلام» في حياة النبي بـ «يا أبا الحسين»، وخطاب الإمام الحسين «عليه السلام» لأبيه علي «عليه السلام» في تلك الفترة بـ «يا أبا الحسن». قد يكون الباعث على ذلك الأمور التالية:

و ١٥٥ و ١٦٦ و ١٦٧ وج٧ ص١٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص١٠٠ و ٢٢٧ و ٣٦٦ وج٥ ص٩٥ وج٧ ص٢١٦ وج١٣ ص٧٧ وج١٥ ص٥١٨ و ٥١٩ وج٢٠ ص٢٣٠ وج٢٢ ص٢٨٠ و ٢٨٢ و ٣٤٦ وج٢٣ ص٥٨٠ و ٦٢١.

(١) الآية ٧٨ من سورة الحج.

أولاً: إن كلا من الحسن والحسين «عليهما السلام» كان يريد توجيه الأنظار إلى ميزات أخيه، ويظهر فضله، ويؤكد على تفرده في صفاته وتقدمه في مزاياه إلى حد أن يكون مصدر اعتزاز وفخر لأبيه، ويمنحه تكنيته به البهجة والرضا، لكي يكون هذان الطفلان أسوة وقدوة للكبار والصغار.. وليكون هذا الأسلوب من موجبات تنبه الناس إلى ضرورة اكتشاف ميزات ودقائق وحقائق في شخصيتي الحسن والحسين «عليهما السلام».

ثانياً: إن إظهار فضل الحسن والحسين، والتنويه بميزاتهما، وهو تنويه بأيادي أبيهما وجدهما عليهما، حيث أثمرت تربيتهما، ورعايتهما، وغرس الفضائل والأخلاق والقيم في عمق وجودهما، ورفدهما بالعلوم والمعارف، وسائر المزايا أثمرت هذه الوجودات الكاملة، والرائعة، التي ليس لها نظير..

ولأن علياً «عليه السلام» يشارك النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا الإنجاز العظيم، فمن الطبيعي أن يتشاركا البهجة والسرور بهما صلوات الله عليهما.

من دلالات التنويع بالخطاب:

ثم ان من ثمرات هذا التنويع الهادف لإبراز هذه المعاني الجليلة والجميلة هو ما لها من تأثير ايجابي غامر في قلب النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، وفي قلب سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فهو يثلج صدورهم، ويقر عيونهم، لدلالاته على فطنة الحسنين «عليهما السلام»، بالرغم من صغر سنهما، ولما يرونه من تجليات للتسديدات الربانية، والتأييدات الإلهية لهما «عليهما السلام».

هل هذا دحية أو جبرئيل؟!:

عن أبي الحسن عامر بن عبد الله، عن أبيه، عن الصادق «عليه السلام»، عن آبائه، عن الحسين «عليه السلام»، قال:

«دخلت مع الحسن «عليه السلام» على جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعنده جبرئيل «عليه السلام» في صورة دحية الكلبي، وكان دحية إذا قدم من الشام على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حمل لي ولأخي خرنوباً، ونبقاً، وتيناً..

فشبهناه بدحية بن خليفة الكلبي. وإن دحية كان يجعلنا نفتش كمه.

فقال جبرئيل «عليه السلام»: يا رسول الله، ما يريدان؟!

قال: إنهما شبهاك بدحية بن خليفة الكلبي، وإن دحية كان يحمل لهما إذا قدم من الشام نبقاً، وتيناً، وخرنوباً.

قال: فمد جبرئيل «عليه السلام» يده إلى الفردوس الأعلى، فأخذ منه نبقاً، وخرنوباً، وسفرجلاً، ورماناً، فملأنا به حجرنا.

قال: فخرجنا مستبشرين، فلقينا أبونا أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فنظر إلى ثمرة لم ير مثلها في الدنيا، فأخذ من هذا، ومن هذا واحداً، واحداً، ودخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يأكل.

فقال: «يا أبا الحسن، كل وادفع إلي أوفر نصيب، فإن جبرئيل «عليه

السلام» أتى به آنفاً»[١].

ونقول:

تقدم أكثر من مرة: أن لنا ملاحظات عديدة حول ما يقال عن تشبه جبرئيل بصورة دحية بن خليفة الكلبي فقد قلنا: أولاً: ان دحية عاش إلى زمان معاوية، ولم نسمع له ذكراً في حروب الجمل وصفين والنهروان.

كما أننا لم نره في جملة أصحاب علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

ونحتمل أن يكون حديث مجيء جبرئيل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بصورته من دعاوى محبي معاوية الذي كان يحاول أن يعظم من شأن بعض من رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولو مرة واحدة لكي يتقوى به مقابل علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي كانت حشود أجلاء الصحابة معه لا تبارى، ولا تجارى.

وقد رأينا معاوية مهتماً بتعظيم وتقديم النعمان بن بشير، لأنه كان بحاجة إليه في هذا المجال كما قلنا.

ثانياً: لا شك في أن مجيء جبريل بصورة أي كان من الناس لا بد أن يعد فضيلة عظيمة لذلك الرجل، وإذا كان الناس يعرفونه، ويتعاملون معه، فإن ذلك سوف يؤثر على نظرتهم إليه، وتعاملهم معه، حيث يستوجب معرفتهم بتشبه جبرئيل به عظمة في نفوسهم، وستتكون له جلالة، ومكانة،

---

(١) الثاقب في المناقب ص٣١٢ و ٣١٣ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٦١ و ٢٦٢ وج٤ ص٢٠ و ٢١.

وسيكون له موقع مميز ومرموق لديهم..

ولم نجد أن شيئاً من ذلك قد حصل لدحية، بل بقي إنساناً عادياً، ومغموراً لم يسجل لنا التاريخ حركاته، أو ذكر لنا من سيرته ما يحسن السكوت عليه..

ثالثاً: لماذا يأتي جبرئيل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بصورة دحية، ولا يأتيه بصورة رجل غير معروف كما كان يجري أحياناً. وقد رووا: أنه جاء مرة إلى علي في صورة رجل، وسأل علياً «عليه السلام»: أين جبرئيل في هذه الساعة، فنظر «عليه السلام» في السماء، ثم نظر إلى المشرق والمغرب، فلم يجد موطناً، فقال له: يا ذا الشيخ، أنت جبرئيل.

فصفق طائراً من بين الناس.

فضج من ذلك الحاضرون، وقالوا: نشهد أنك خليفة رسول الله حقاً حقاً[(١)].

رابعاً: إن دحية ـ كما تزعم الرواية ـ كان يأتي للحسنين «عليهما السلام» من الشام بالخرنوب والنبق والتين.. فلماذا أضاف جبرئيل السفرجل والرمان على النبق والخرنوب؟! مع أن الحسنين لم يبحثا في جيبه عن رمان وسفرجل. ولماذا لم يأتهما بالتين.. فقد كانا يبحثان في جيبه عن التين والنبق والخرنوب؟!

---

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص٣٣ و ٣٤ وبحار الأنوار ج٣٩ ص١٠٨ عنه، وعن الفضائل لابن شاذان ص٩٨ و (ط أخرى) ص١٠٢ ومدينة المعاجز ج١ ص١١٢ عن البرسي.

خامساً: روي: أن دحية أسلم في زمن أبي بكر كما رواه ابن عساكر عن ابن عباس.

ورده ابن عساكر: بأن في إسناده الحسين بن عيسى الحنفي، وهو صاحب مناكير(١).

وقال ابن منظور: ولو لم يكن دحية مسلماً في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبعثه سرية وحده، ولا كان جبرئيل يتشبه في صورته(٢).

وكلا هذين الأمرين موضع ريب، بل هما مكذوبان..

ولكن هذا لا يكفي للحكم بعدم صحة الخبر، فإن من يروي المناكير لا يعني أن تكون جميع مناكيره مكذوبة.

سادساً: قال دحية: قلت: يا رسول الله، ألا أحمل لك حماراً على فرس؟! فينتج لك بغلاً؟!

قال: إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون(٣).

سابعاً: عن دحية: أنه حين أخذ رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الروم، وهو بدمشق، وسلمه الرسالة، بعث إليه من ألفه سراً، فأدخله بيتاً عظيماً فيه ثلاث مئة، وثلاث [كذا] عشرة صورة للأنبياء والمرسلين،

---

(١) راجع: الاصابة ج١ ص٤٧٤ ومختصر تاريخ دمشق ج٨ ص١٦٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج٨ ص١٦٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ج٨ ص١٦٠ والإصابة ج١ ص٤٧٤ عن أحمد، من طريق الشعبي عن دحية.

ورأى النبي بينهم، فقال له ملك الروم: صورة من هذا عن يمينه؟!

قلت: رجل من قومه يقال له: أبو بكر الصديق.

قال: فمن ذا عن يساره.

قلت: رجل من قومه، يقال له: عمر بن الخطاب.

قال: أما أنه نجد في الكتاب: أن بصاحبيه هذين يتمم الله هذا الدين.

فلما قدمت على النبي «صلى الله عليه وآله» أخبرته. فقال: صدق بأبي بكر وعمر يتمم الله هذا الدين بعدي، ويفتح[١].

ثامناً: هل يمكن أن يكون الحسنان اللذان نزلت سورة هل آتى بالثناء عليهما لإطعامهما المسكين واليتيم والأسير، وبقائهما ثلاثة أيام بلا طعام، ومن لديهما من الدراية والعقل.. ما جعلهما، وهما بهذه السن أهلاً لمقام الإمامة، ومن يقبل النبي البيعة منهما، يوم بيعة الرضوان، ومن يشهدهما النبي على كتاب ثقيف.. ومن يشاركان في مباهلة نصارى نجران حول بشرية عيسى «عليه السلام»، هل يمكن لهذين بما لهما من عقل ودراية، وعلم وكرامة، وفضل وشهامة أن يفتشا جيوب الناس بحثاً عن النبق والخرنوب والتين اليابس؟! حتى لو كان من يفتشانه أقرب الناس إليهما، وأمسّهم بهما رحماً؟!

وهل كانا يحبان هذا الشيء القليل إلى هذا الحد الذي يخل بمقامهما، ويسقط محلهما؟!

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ج٨ ص١٦٢.

تاسعاً: لم نفهم المقصود من قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «كل، وادفع إلي أوفر نصيب» هل أراد به أن يعطيه علي القسم الأكبر والأوفر من الذي أخذه علي «عليه السلام» من ولديه الصغيرين..

ولماذا طلب منه النصيب الأوفر؟! ولماذا لم يؤثر به علياً على نفسه، أليس هو الذي ربى علياً «عليه السلام» ورعاه كما يريده الله تعالى؟! ولماذا يحث غيره على الايثار، ثم لا يكون هو المؤثر على نفسه، بل المستأثر بالنصيب الأوفر من أقرب الناس إليه، واعزهم إليه؟!

الباب الثامن:

أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله..

الفصل الأول

لا يجير أحد على رسول الله..

أبو سفيان يستجير بالحسنين:

عرفنا أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد مع قريش عهداً في الحديبية، وقد نتج عن هذا العهد أن دخلت قبيلة خزاعة في عقد وعهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولكن قريشاً نقضت العهد، وأوقعت ببني نفاثة الخزاعيين، وقتلت منهم ثلاثة وعشرين قتيلاً. وقررت أن لا تعطي ديتهم، وإن أحرجت في هذا الأمر تبرأت ممن نقضوا العهد، وخلَّت بينهم وبين النبي «صلى الله عليه وآله» ليتولى هو تحصيل الحق منهم.

ثم بادرت قريش إلى إرسال أبي سفيان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في المدينة، يطلب منه أن يشد العهد، ويزيد في المدة، وأبو سفيان يظن أن النبي لم يعلم بما جرى لبني نفاثة.

فلما طلب أبو سفيان من النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك سأله النبي «صلى الله عليه وآله» إن كان قد حدث حدث اقتضى هذا الطلب.

فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

فقال «صلى الله عليه وآله»: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا

نغير ولا نبدل.

فطلب أبو سفيان من أبي بكر، وعمر، وعثمان، وسعد بن عبادة، وعلي، وأشراف المهاجرين والأنصار: أن يشفعوا له عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يجبه أحد منهم.

فتوسل بالزهراء «عليها السلام»، ثم بالسبطين، الحسن والحسين «عليهما السلام»، طالباً منها ومنهما أن تجير، ويجيرا بين الناس، وكان الحسن غلاماً يدب بين يديها، فقالت: إنما أنا امرأة.

قال: قد أجارت أختك ـ يعني: زينب ـ أبا العاص بن الربيع، وأجاز ذلك محمد.

قالت: إنما ذاك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: مري ابنك هذا ـ أي الحسن «عليه السلام» ـ فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ ابني ذلك، أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي نص آخر أنها قالت: «ما يدري ابناي ما يجيران من قريش».

فطلب منها أن تكلم علياً.

فقالت: أنت تكلمه.

وكأنه يريد أن يستفيد من موقع الزهراء «عليها السلام» ليحصل من علي «عليه السلام» على ما يريد. فرفضت «عليها السلام» طلبه، لأنه لو كان

يملك منطقاً صحيحاً، فلا يحتاج إلى وساطة أحد، فلماذا لا يبادر هو إلى إقناع علي «عليه السلام» بمنطقه؟! بل لماذا لا يبادر إلى إقناع النبي مباشرة به، ويلزمه بما هو حق؟!

ولكنه كان يعرف أنه يتعمد الباطل، وقد أراد أن يستفيد من الجو العاطفي، أو من دواعي النسب والقربى، والتماس رضا الأصحاب والأحباب، أو نيل الشهرة لتمرير خديعته، فباء بالفشل الذريع، والخزي المريع.

فكلم علياً «عليه السلام»، فقال له «عليه السلام»: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتئت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجوار الخ.. القصة.

وقد انتهت الأمور بعودة أبي سفيان خائباً[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣ و ٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص١٠٢ و ١٢٦ و ١٢٧ وج٢٢ ص٧٧ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٦٨ وإعلام الورى ج١ ص٢١٧ و ٢١٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٦٣ وراجع: تفسير البغوي ج٤ ص٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٢٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٢٠ و ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٠ و ٥٣٣ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٥٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٣ و ١٨٤ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٣٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٢ وزاد المعاد

ونقول:

هنا أمور يحسن التوقف عندها، نذكر منها:

الخداع المفضوح:

إن أبا سفيان بمجيئه إلى المدينة مستجيراً، وطالباً تجديد العهد كان مخادعاً وظالماً، ويتضح ذلك بملاحظة ما يلي:

١ ـ أن طلب تجديد العهد وتمديده يستبطن اعترافاً: بأن العهد قد نقض، ولم يعد قائماً.

٢ ـ إنه يدَّعي: أن أحداً لم ينقض الذي أبرم مع النبي «صلى الله عليه وآله» في غزوة الحديبية.

٣ ـ إن عهد الحديبية قد أبرم قبل مدة يسيرة.

٤ ـ إنه لم يحصل أي أمر آخر يقتضي التعبير والتبديل، أو التعديل بإضافة شيء إليه، أو حذف شيء منه.

٥ ـ إن اصرار أبي سفيان على الحصول على جوار يثير الشبهة والسؤال حول سبب ذلك، فإن كان السبب هو عدم وثوقه بوفاء النبي «صلى الله عليه وآله» له.. وإنما يريد حشد الضمانات لذلك من هنا وهناك، فإن من كان يطلب جوارهم، وضمانتهم، لا يحققون له هذا الغرض، ولن ينصروه على خير الخلق وعلى رسول يوحى إليه من عند الله..

ولن يقف علي ولا فاطمة، ولا الحسنان اللذان كانا طفلين صغيرين

ج١ ص١١٤٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧.

بعمر ثلاث وأربع سنوات ـ لن يقفوا ضد أبيهم، ونبيهم وضد قرار صادر عن الله، واعتقادهم: بأن هذا النبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٦ ـ إن اصرار أبي سفيان على زيادة مدة العهد، هو الآخر يحتاج إلى تفسير من أبي سفيان ولا سيما بملاحظة أن أكبر شخصية في قريش، وأشد الحريصين على قتال رسول الله «صلى الله عليه وآله» بترك أعماله، ويسافر من بلده إلى بلد آخر يبعد عنه مئات الأميال طالباً زيادة المدة، بإلحاح شديد، واصرار أكيد، وإلى حد جعله يتوسل ويستجير، ويطلب المعونة حتى من طفلين صغيرين يرى أنهما لا يعقلان ما يفعلان، أو هما لا يعقلان ما يجيران من قريش على حد زعمه.

ويلاحظ: أن سؤالاً واحداً طرحه عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أبطل سعيه، ورد كيده إلى نحره فقد سأله «صلى الله عليه وآله»: إن كان قد حدث حدث يقتضي هذا الطلب. فلما نفى ذلك، وأعلن أنه ملتزم بالعهد. جاءه الجواب: بأن الأمر إن كان كذلك، فلا داعي للتجديد، ولا للتمديد.

الكيد والظلم السفياني:

والتأمل في الأمور يعطي: أن أبا سفيان يريد ما يلي:

أولاً: إن أبا سفيان أراد أن يستبق الأمور، ويضع النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين أمام الأمر الواقع، فإذا كانت الجريمة التي ارتكبت في حق بني نفاثة تعتبر نقضاً للعهد، فإن هذا التمديد والتجديد للعهد يعتبر إبراماً له من جديد، فإن نقضه النبي «صلى الله عليه وآله» فيكون هو المؤاخذ بهذا

النقض.

ثانياً: إنه يريد أن يسد طريق المطالبة بحقوق المظلومين، لكي يمنع من إلزام القتلة بتسليم الجناة، وإعطاء الديات.

....

لا مكان لمنطق الجاهلية:

ظن أبو سفيان، ومن ورائه قريش التي فوَّضت إليه أمر إنجاز عمل دنيء، لا يعدو كونه خدعة، وعملاً ماكراً، وسخرية بائسة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، تهدف إلى إبطال حقوق المظلومين، وتكريس المنطق الجاهلي القائم على الهوى، والمتسربل بالضلال، والفساد، والاحتيال، واغتيال عقول الرجال بالترهات والخزعبلات، والأباطيل، بهدف تمرير ظلم الظالم، وتصويب فعله، وصيانته من المؤاخذة.. وتضخيم جائزته بالمكر والفجور، وتزوير الواقع، والتلاعب بالعواطف بالمجاملات، والكلام المعسول لتضييع الحقوق وخداع حتى الأنبياء..

ولكي يكف أبو سفيان عن أباطيله، وعن هذا العمل القذر: كان موقف الزهراء وعلي «عليهما السلام» حاسماً وحازماً.

أولاً: لأن الله تعالى يقول عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو أصدق القائلين: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[١].

فالقرار الذي يتخذه في كل أمر هو قرار إلهي، ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا**

---

(١) الآية ٣ من سورة من النجم.

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١].

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» قد أبلغ أبا سفيان تهديداً صاعقاً، يكاد يكون صريحاً، معززاً كلامه بالقسم، وهو: «والله، لقد عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه».

إذن، فعلى أبي سفيان أن يفهم:

ألف: أن القرار قد اتخذ.

ب: هو قرار حاسم، وجازم، لا رجعة عنه.

ج: هو قرار فيه شدَّة وحِدَّة بالغة، وغضب، وصرامة.. تصل إلى حد أن لا يستطيع حتى علي «عليه السلام» أن يكلمه فيه.

د: إن هذا البلاغ سوف يزيد أبا سفيان إصراراً على مطالبه، وأن يتكبد المزيد من المذلة، لكي ينتهي الأمر بفضيحته، وإظهار عظيم مكره، وقبيح فعله.

وهذا ما حصل بالفعل، فهو كان يعتبر الحسنين طفلين صغيرين، كسائر الأطفال، ولكنه مع ذلك يلجأ إليهما، ويتوسل بهما ليجيرا بين الناس، في سابقة لم نجد لها نظيراً في تاريخ الأمم، عقلاء كانوا، أو سفهاء..

هـ: إن هذا الإصرار من أبي سفيان يأتي بعد هذا التهديد الذي سمعه، وأثار بلابل صدره، وضاعف خوفه من أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» كان على علم بحقيقة ما جرى، ووقف على كل جزئياته، وتفاصيله..

و: إن هذا يدل أبا سفيان على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد علم بهذه

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

الأمور بوسائل غير عادية، لأن المفروض: أن أبا سفيان قد سبق الأخبار إليه.. وهذا سيضعف من عزائمه، وسيصاب بالخور، والشعور بالفشل، وسوف تلفحه نيران الحسرة والكدر.

ز: ستزداد حسرة أبي سفيان، وهو يرى بأم عينه انقلاب سحره عليه، فقد أراد أن يسخر بمحمد «صلى الله عليه وآله» وبمن معه من المسلمين.. وإذ به يرى نفسه: أنه موضع سخرية النبي والمسلمين، وسيراه قومه الذين أرسلوه ليمكر بمحمد «صلى الله عليه وآله» أنه رجل فاشل بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

وسيتناقل الناس كل الناس، في البقاع والاصقاع أخبار هذا الفشل الذريع والمريع، وربما صار مضرب المثل، وأضحوكة للكبير والصغير.. ولاسيما إذا امتدت أخبار هذا الخزي إلى الأجيال المتعاقبة..

علي أمس رحماً بأبي سفيان:

وإذا كان أبو سفيان غادراً وماكراً، ويعتمد منطق الجاهلية، ويجهد في نصرة الظالم، وتضييع حقوق المظلومين، وينقض العهود، ولا يبالي بالوعود، ويسعى لخداع أكمل الخلق، وأفضل الأنبياء والمرسلين..

فإنه إنما كان يتعامل مع نبي معصوم، لا يخدع ولا يمكر، ولا يغدر، ولا يحابي أحداً على حساب الحق، والدين، ولا يعمل بالهوى، بل ينفذ ما يأمره به رب العالمين..

وقد حاول أبو سفيان أن يستعطف علياً «عليه السلام»، بالتذكير بالقرابة، حيث قال له: «يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني جئت في حاجة، فلا

أرجع كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى محمد».

وقد نسي أبو سفيان: أن القوم الذين يقول عنهم: إنهم بعداء وغرباء عنه، وليسوا من رحمه، وعلي أمس به رحماً منهم، وهم أهل المدينة الذين دافعوا عن علي، وعن النبي، وأهل بيته، وحاربوا أعداءه، ونصروا دينه، وقتل في سبيل ذلك كله، آباؤهم، وابناءهم، وإخوانهم..

وكان أبو سفيان الذي يدَّعي: أنه أمس رحماً بعلي وبالنبي، وأهل بيتهما، وبالحمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحارث ـ كان أبو سفيان ـ وأعوانه هم الذين قتلوا عمه حمزة، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، واضطهدوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشردوا المسلمين في البلاد، واستولوا على أموالهم، بعد أن حصروهم ثلاث سنين في شعب أبي طالب، لكي يموتوا جوعاً. حتى لقد اقتاتوا ورق الشجر، وكان صبيانهم يتضاغون جوعاً. ثم تآمروا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وانتدبوا عشرة رجال منهم ليقتلوه ليلة الغار، فأنجاه الله منهم.

وكان أبو سفيان هو القائد لأعداء علي، والنبي، والمسلمين في ذلك كله. فلماذا لم يتذكر بأن له رحماً بهؤلاء جميعاً. إلا في هذا اليوم الذي جاء ليمارس المكر والخديعة لهم، والسخرية بهم؟! وتكريس الظلم الذي ارتكب في بني نفاثة، وتضييع حقوق المظلومين منهم على أيدي الناكثين للعهود، والمخلفين للوعود، ومن المجرمين والقتلة؟!

وقد حاقت به الخيبة، وذاق مرارة الفشل الذريع، واحترق بنار الحسرة والخزي، وهو لم يزل مصراً على بغيه، ومكره، ولم يتراجع عنه قيد أنملة.

اللجوء إلى الزهراء عليها السلام:

وربما يكون أبو سفيان قد ظن أن علياً «عليه السلام» ينطلق في موقفه الرافض لطلبه من تراكمات تاريخية تدعوه إلى التحامل والتشدد في مواقفه تجاه من حاربهم، وحاربوه، ونابذهم، ونابذوه، ولم يزل يحمل لواء الجهاد ضدهم، دفاعاً عن نبيه، وعن دينه، وعن الحق وأهله..

وربما كان يرى: أن علياً «عليه السلام» يرغب في تصعيب الأمور على من لم يزل في موقع المعادي والشانئ.

والأهم من ذلك: أن علياً «عليه السلام» لم يجد مبرراً للوثوق بسلامة نوايا أبي سفيان من الغش، ولم يقدم أي شيء يدل على أنه لا يكيد لهذا الدين وأهله، ولا يتآمر ولا يخدع، ولا يتربص بهم الشر، والهوان، والذل والخسران.

وربما فهم أبو سفيان من كلام علي «عليه السلام»: أنه كان يعرف ما يخفيه، فعليه أن لا يتوقع مساعدته لإنجاح مسعاه.. بل لا بد له من البحث عن وسيط مؤثر، لا تحوم حوله الشبهات، ولا ترد له كلمة، ولا تفشل رغبة.. ولا بد أن يكون هذا الوسيط غافلاً عن حقيقة ما يجري، وليس له حضور فاعل في التحولات التي تجري من حوله..

والأهم من هذا وذاك: أن يكون لديه قابلية التفاعل مع مطالب أبي سفيان، من خلال مفاتيح كامنة في تكوينه، وفي شخصيته، تمنح أبا سفيان الفرصة لاقتحام الأسوار، وولوج الدار..

وربما كان من هذه المفاتيح المشاعر المرهفة، والعاطفة الجياشة، والتفاعل مع أساليب الإغراء، أو الإطراء، والمدح والثناء، والاستسلام لحالات

الاستعطاف، وإظهار المسكنة والحاجة، وقابلية الانخداع بالكلام المعسول، وما إلى ذلك..

وأكثر ما توجد هذه المواصفات في عنصر المرأة، ولا سيما إذا لم تكن قد خاضت من التجارب ما أحدث تغيراً في مزاجها، ومنحها منعة وحصانة في مواقفها، وأعطاها المزيد من التدبر والتعقل والرزانة في شخصيتها.

ولذلك ظن أبو سفيان أن فاطمة الزهراء بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، وزوجة علي «عليه السلام» هي التي يمكن أن تُنجِح مسعاه، وتُبلغه مبتغاه، فعرض عليها أن تجير بين الناس، فرفضت طلبه، واستدلت لهذا الرفض بقولها: «إنما أنا امرأة».

فإن كان أبو سفيان يتعامل بالمنطق الجاهلي، فإن أهل الجاهلية لا يرون للمرأة قيمة، وهي عندهم أحقر وأقل من أن تجير، أو أن تتصرف بما هو أدنى من ذلك بكثير.

أما في الإسلام، وعند أهل العقل والدين، فليس للمرأة أن تتصرف بما يرجع الأمر فيه إلى غيرها.. ولاسيما فيما يصل إلى درجة الإحراج لنبي معصوم، لا ﴿يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].. في أمر يرى أهل الحل والعقد: أن المصلحة فيه بخلاف ما تريد إلزامهم به..

أبو سفيان يناقش:

وقد حاول أبو سفيان: أن يحرج الزهراء «عليها السلام»، بقوله لها: إن

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة من النجم.

مجرد كونها امرأة لا يمنعها من أن تجير بين الناس، لأن أختها زينب قد أجارت أبا العاص بن الربيع، وأجاز ذلك محمد..

فجاءه الجواب من الزهراء «عليها السلام».

أولاً: بقولها له: إنما ذاك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أي أن الأمر في أسارى الحرب يعود إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو الذي يقرر أمرهم، وفق ما يأمره الله تعالى به، وزينب إنما أجارت زوجها، وهذا من حقها..

والنبي «صلى الله عليه وآله» قَبِل ذلك منها، وكان من حقه أن يقبل، وأن يرفض.

أما ما يطلبه أبو سفيان من الزهراء «عليها السلام»، فليس هو أن تجير أسيراً أو أسرى، بل يطلب منها أن تفرض على النبي «صلى الله عليه وآله» تمديد عهد لمن نكث ذلك العهد، وكانت وسيلة نكثه هي قتل جماعة من الناس ظلماً وعدواناً.. وقد صار للناس حق عند ذلك الناكث، لا بد أن يحصلوا عليه، وهو القصاص من القتلة، أو الدية على أقل تقدير.. فالأمر لا يرتبط برسول الله «صلى الله عليه وآله» من جميع الوجوه.. بل للناس فيه حقوق لا يمكن التجاوز والتخلي عنها إلا برضاهم.. وأين هذا من جوار زينب لزوجها الأسير، الذي يرجع أمره إلى النبي حصراً؟!

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» كان قد أخبر أبا سفيان، بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أصدر قراره الحاسم، والحازم والجازم في هذا الموضوع، ولا يستطيع أحد نقض ذلك القرار لا بجوار ولا بغيره..

وإنما يكون للجوار مورد وأثر في صورة ما لو حصل قبل صدور القرار النبوي الذي تلقاه من الله تعالى.. أما بعد صدوره، فلا يحق لأحد نقضه، لأنه قرار نبوي مظهر للحكم الإلهي القاطع..

لفت نظر:

قد يقال: ورد في النص المتقدم وصف زينب: بأنها أخت فاطمة، وهذا يؤيد القول: بأن زينب بنت النبي على الحقيقة..

ولكننا ذكرنا في كتبنا الأربعة حول بنات النبي «صلى الله عليه وآله»، شواهد وأدلة كثيرة تدل على أنه لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» بنت على الحقيقة غير الزهراء «عليها السلام»، أما زينب زوجة أبي العاص، ورقية وأم كلثوم زوجتا عثمان بن عفان فهن ربائب الرسول، فيقال لهن بناته بهذا الاعتبار.

الإغراء العقيم:

١ ـ لقد فشل أبو سفيان فشلاً ذريعاً في حمل الزهراء على الاستجابة إلى طلبه، ولم يجد ذريعة يتوسل بها، ولا منطقاً يقوى به على مواجهة منطقها، وحججها الدامغة التي أبطلت كيده، وأبارت جهده، وقوَّضت مجده، وفلَّت حدَّه، وهدمت سعده، حتى أيقن أن لا قيام له بعمده.. فتصاغر أمام عظمتها، واندحر في شؤمه وخزيه أمام حزمها وصلابة موقفها، وانحدر وأسفّ في مطالبه وطموحه، أمام شموخها وعزتها..

وحاول أن يخلط الأوهام بالأحلام، فطلب منها «عليها السلام»: أن تأمر ابنها الحسن: بأن يجير بين الناس، بالرغم من أنه يعتبره طفلاً، ويرى قومه ومن أرسله، بل وأكثر الناس من غيرهم: أن الحسن في عمر ست وسبع سنين

طفل كسائر الأطفال من حيث درجة الإدراك، ولا شأنية له بنظر الناس، تخوله أن يأخذ على عاتقه أمراً خطيراً كهذا.. ولا يرى الناس للأفعال التي تصدر منه أي قيمة تذكر، ولا يرتبون عليها أي أثر، فكيف إذا كان الهدف من تصرفه المطلوب منه هدر دماء سفكت بغير حق، وإحياء عهد أميت بالخيانة والنكث، تكريساً للعصبيات المقيتة، وارتكاساً في وهدة البغي، والاستكبار والتجبر؟!

بل أهل الجاهلية كانوا يرون: أن مجرد قبول عهد أبي سفيان بهذا الأمر، لا يعدو كونه تعبيراً عن الذل والعجز، والسقوط المهين والمشين، فما بالك إذا كان هو الطالب له، والملح عليه، والمطالب به؟! فإن هذا يدل على أنهم لا يستسيغون جوار من هو في سن الأطفال الصغار..

٢ ـ ويزيد هذا الأمر بشاعة وشناعة: أن أبا سفيان حاول أن يغلِّف طلبه هذا بخديعة بديعة، فقدَّم لها «عليها السلام» إغراءً موهوماً، ومسموماً، أراد أن يتخذ منه زينة تستخف العقول، وتدغدغ خواطر الجاهلين، والغافلين، فزعم لها «عليها السلام»: أن ولدها إذا أجار بين الناس، فإنه سيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

ولم يقل لها: إن هذه السيادة سيكون ثمنها ضياع دماء الأبرياء، وإظهار سذاجة أفضل الأنبياء، وسائر من معه من الأئمة والأوصياء، وسائر الأبرار والأتقياء.

ولم يشر إلى أن هذه السيادة ستجعل القتلة والمجرمين في مأمن من العقاب، وتقدم لهم المكافأة الكبرى على ما ارتكبوه، وتزيدهم كبراً وفخراً، ومباهاة

بجرائمهم المخزية، وما اقترفوه.

ولكن الزهراء «عليها السلام»:

أولاً: عرَّفت أبا سفيان: أن الأمور ليست كما يراها أهل الجاهلية، وأعداء القيم: وأن الجوار، إن كان بنظر الجهلة والظَلَمة أمراً صورياً، وقشرياً، واستعراضياً، فإنه في الإسلام كرامة وشهامة، وإباء، ويرتب مسؤوليات كبرى وحقيقية على المجير، ومنها الدفاع عمن يصبح في جواره، وتوفير الأمن له، وقد يضطر المجير إلى الدخول في حرب من أجله، والمجالدة بالسيوف، والطعن بالرماح، وقد تزهق أنفس، وتكون هناك جراح في مقام الكفاح.

ولعل هذا هو مغزى قولها «عليها السلام»: «والله، ما بلغ ابنيَّ ذلك، أن يجيرا بين الناس».. فقد أقسمت بالذات الإلهية، ليعرف أبو سفيان: أن المقام ليس مقام حيلة ومكر وخداع، فإن الإجارة ليست عنواناً فارغاً من المضمون، بل موقف ومسؤولية.. ولم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» وهو في سن الطفولة، لم يبلغ الخمس سنوات ليستطيع القيام بأعبائها، ولا يقبل الناس منه التصدي لها، ولا يرتبون الأثر على أي قرار يتخذه فيها..

وأبو سفيان يعرف ذلك بلا ريب، ومعرفته هذه تدل على أنه محتال، وماكر، ومخادع.

وأما قولها: «وما يدري ابناي ما يجيران من قريش»، فيبدو ـ إن صح ذلك عنها ـ: أنها تتحدث عن نظرة الناس، ومنهم أهل الجاهلية، ومنهم أبو سفيان نفسه لمن يكون بذلك السن، فهما بنظر هؤلاء لا يعرفان ما الذي يراد حفظه من عدوان النبي «صلى الله عليه وآله» ـ والعياذ بالله ـ؟!

هل يراد حفظ ماله؟!

أو حفظ البريء والمجرم؟!

أو حفظ عرضه؟!

وكل ذلك بتخيل: أن يعتدي الرسول «صلى الله عليه وآله» الذي هو رمز العدل، وعنوان الكمال والفضل على أي كان من الناس، إذا كان بريئاً.

وإن كان المقصود حماية المجرم، فهذا لا يمكن أن يفعله مسلم، وإلا فقد أثبتت الوقائع أنهما «عليهما السلام» بعد جدهما وأبيهما أعرف الخلق بالعلوم والأحكام، وأدراهم بالأمور كلها..

ثانياً: قالت «عليها السلام»: «..وما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..»، لأن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يظلم أحداً، ولا يُظلم عنده أحد، فهو عون للمظلوم على ظالمه، وهو خصم للظالم، فلا يصح أن يجار ظالم مجرم.

والإجارة على رسول الله تعني وضع المجير نفسه في موقع المستعد للتصدي للرسول لمنعه من إجراء حكم الله في الظالمين. كما أنها تعني اتهام النبي «صلى الله عليه وآله»، أو وضعه في دائرة من يمكن أن يكون معتدياً وظالماً..

وكلا الأمرين لا يرضاهما مسلم على نفسه.

الفصل الثاني

صغيران لا يحتملان العطش..



عطش الحسن والحسين عليهما السلام:

عن علي «عليه السلام»: أنه قال: عطش المسلمون عطشاً شديداً، فجاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقالت: يا رسول الله، إنهما صغيران، لا يحتملان العطش.

فدعا الحسن، فأعطاه لسانه، فمصه حتى ارتوى.

ثم دعا الحسين، فأعطاه لسانه، فمصه حتى ارتوى[1].

ونقول:

هنا أسئلة عديدة تحتاج إلى اجابات، فلاحظ ما يلي:

الزهراء عليها السلام تقول: يا رسول الله:

يلاحظ: أن فاطمة الزهراء «عليها السلام» لم تقل للنبي «صلى الله عليه وآله»: يا أبتاه، ولم تقل له: يا نبي الله.. بل قالت: «يا رسول الله»، فلماذا كان ذلك؟!

ويجاب:

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٦ وشرح الأخبار ج٣ ص٥٢٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٧٦.

أولاً: بأنه إذا كان العطش الشديد قد حلَّ بالمسلمين، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يخص أبناءه وأهله بما لا يحصل الناس عليه، وهم بحاجة إليه، وهذه هي سنَّة العدل، ومقتضيات الخلق الكريم، بل هو يؤثر الآخرين على نفسه وأهل بيته.

فكيف إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» لا يملك مما يحتاجه الناس ما يعطيه، بل كان يعاني من العطش كما يعانون، ويكابد ما يكابدون؟!

ثانياً: لو أراد «صلى الله عليه وآله» أن يخصّ ولديه بالماء عن سائر الناس، فإن ذلك سيجعل الآخرين يرتابون بعدله، وإنصافه، وبعده عن الهوى والعصبية.

والناس، حتى مع علمهم: بأن للحسنين «عليهما السلام» شأناً عظيماً في مستقبل هذا الدين، فيجب بحكم العقل حفظهما، كما يجب حفظ النبي «صلى الله عليه وآله»..

ولكن الناس عادة حين يشتد عطشهم، وبسبب حبهم لأبنائهم، وعطفهم عليهم في مثل هذه الحالات الصعبة، لا يحكِّمون عقولهم، بل ينساقون مع عاطفتهم، التي ترجِّح بنظرهم أبناءهم، حتى على أبناء الأوصياء والأنبياء.. لاسيما وأن أكثر الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية صماء، بكماء، عمياء، تغذي الأنانيات والعصبيات، وتستجيب للأهواء والشهوات..

ثالثاً: إنها «عليها السلام» خاطبته بالرسولية لا بالنبوة، حتى لا يذهب هذا الموقف باتجاه آخر، ويفرغه من محتواه، لأن الخطاب بالنبوة ربما أثار لدى الناس، أو بعضهم شعوراً خفياً: بأنه قد اتخذ هذا الموقف بوحي من الله، لا استجابة لشعور إنساني نبيل، ولا تلبية لنداء حس مرهف، أو خلق كريم، مع

أن المطلوب: هو بيان فضل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإظهار بعض جوانب إنسانيته، وكريم وعظيم خُلقه، وقد قال الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

صغيران لا يحتملان العطش:

وهنا سؤال آخر يقول: لماذا لم تذكر الزهراء «عليها السلام» لأبيها «صلى الله عليه وآله» اسمي ولديه، بل جاءت بنفس الحسن والحسين «عليهما السلام» إليه؟! كما أنها لم تشر إلى أنهما ولداه؟!

ولم تخبره عن عطشهما، أو جوعهما، ولم تحدد له ما تطلبه، بل اكتفت بالقول: يا رسول الله، إنهما صغيران، لا يحتملان العطش..

ونجيب:

أولاً: إذا أردنا توصيف شيء، أو الإخبار عنه بأمر، فقد نأتي باسمه، فنجعله موضوعاً للتوصيف، وللإخبار.. فيكون الموضوع للوصف والخبر هو ما أحضره الاسم في الذهن، وهو لا يعدو كونه صورة ذهنية لشيء، وهو وجود تنزيلي لذلك الشيء، يكون أدنى مرتبة من الموضوع الذي انتزعت الصورة عنه.

وإذا حضرت الصورة، فقد ينصرف الذهن إلى عنصر الطفولة فيها، مجرداً عن مدى قدرتها على تحمل العطش، ثم يقارن بينه وبين الصغار الآخرين، وأنه لا يختلف عنهم في مقدار تحمله للعطش.

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم.

وقد نحضر نفس الشيء بما له من وجود حقيقي، فنأتي بالكتاب مثلاً، ونحكم عليه بأنه جيد.. ونأتي بالشخص، ونصفه، أو نخبر عنه: بأنه عالم، أو عطشان، أو ما إلى ذلك..

وهذا ما فعلته الزهراء «عليها السلام» هنا، ولو جعلت الاسم هو الموضوع للوصف، فقد يتصور كل سامع ما ينطبق عليه الاسم بحالة تختلف عما يتصوره الآخر. ولكن حضور الشخص نفسه يكون أعمق تأثيراً في النفس من الاكتفاء باسمه، فإن للرؤية المباشرة آثارها على النفس، وعلى المشاعر، وعلى مدى الاندفاع والتفاعل، ويوجب تداعيات لحالات، وصفات لأحداث مضت، وللربط بين الشخص وبين علاقة النبي به، وقد يتذكر كلام النبي فيه، وحبه له، وقد يتذكر علمه، وعقله، وذكاءه، وغير ذلك.. ويوجب أيضاً مزيداً من الانجذاب إليه، والتعاطف معه في موضوع عطشه، إلى غير ذلك من أمور كثيرة يصعب الإحاطة بها.

ثانياً: لم تشر «عليها السلام» إلى أن الحسن والحسين هما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ربما لأن هذا التصريح قد يحصر ذهن السامع بهذه الخصوصية دون سواها، فيقارن بينها وبين سائر الأولاد الصغار، ولا يلتفت إلى خصوصيات كثيرة أخرى يراد أن تكون حاضرة أيضاً، ليدرك الناس مدى تميز الحسنين «عليهما السلام» على كل من سواهما، وفرادة ميزاتهما في أنفسهما، وفي سائر ما يحيط بهما.

ثالثاً: هي لم تشر إلى أنهما «عليهما السلام» لا يحتملان العطش بسبب صغرهما، ليكون كلامها شاملاً لكل صغير لا يحتمل العطش، فتستدرج

بذلك قراراً عاماً لكل صغير لا يحتمل العطش.. وتكون قد ساوت بين ولديها، وبين سائر أولاد الناس، بالرغم من التفاوت الكبير بينهما وبين غيرهما، فهما إمامان قاما أو قعدا، وهما أفضل البشر، وأكملهم عقلاً، وأصحهم إدراكاً، وأبينهم فضلاً بعد النبي وعلي «عليهما الصلاة والسلام».

ارتويا من لسان جدهما:

والنبي «صلى الله عليه وآله» حين أعطاهما لسانه قد دلَّ كل أحد على أن حاله حال سائر الناس من حيث الحاجة إلى الماء، وعدم توفره له.

ولكنه «صلى الله عليه وآله» حين أعطاهما لسانه، فارتويا منه، واستغنيا عن الماء بذلك يكون قد أظهر ما لهما من كرامة ومقام عند الله تعالى.

وصنع معجزة ظاهرة من شأنها أن ترسخ الإيمان، وتجلو القلوب، وتؤكد باهر فضله، وعظيم حب الله له، وكرامته عنده.

قدَّمه النبي لأنه استسقى أولاً:

وقالوا:

روى الخدري، وروى جماعة، عن أم سلمة، وعن ميمونة، واللفظ له، عن علي «عليه السلام» قال: رأينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أدخل رجله في اللحاف أو في الشعار، فاستسقى الحسن، فوثب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى منيحة لنا، فمص من ضرعها، فجعله في قدح، ثم وضعه في يد الحسن.

فجعل الحسين يثب عليه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يمنعه.

فقالت فاطمة: كأنه أحبهما إليك يا رسول الله.

قال: ما هو بأحبهما إلي، ولكنه استسقى أول مرة. وإني، وإياك، وهذين، وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد(١).

قال المجلسي «رحمه الله»:

«المنيحة ـ بفتح الميم والحاء، وكسر النون ـ: منحة اللبن، كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك، يحتلبها ثم يردها عليك.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

النبي يبادر بنفسه:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» بمجرد أن أدخل رجله في اللحاف أو الشعار، سمع استسقاء الإمام الحسن «عليه السلام»، فبادر بنفسه لإجابة طلبه..

واللافت هنا أمران:

أحدهما: أن علياً والزهراء «عليهما السلام» كانا حاضرين، وكان يمكنه «صلى الله عليه وآله» أن يشير إليهما بتلبية طلب ابنهما، ولو فعل ذلك لما كان فيه حرج.

الثاني: إن علياً والزهراء «عليهما السلام» لم يتدخلا فيما يجري، فلم يبادرا

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤ عن أحمد بن حنبل، والإبانة لابن بطة، وعن الأربعين للمؤذن، وشجرة طوبى ج٢ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٧٦ و ٢٧٧.

إلى التبرع بجلب تلك «المنيحة» ليشرب الإمام الحسن «عليه السلام» من لبنها، بل تركا أمر استخراج اللبن من ضرعها إلى النبي، ثم سقاه للإمام الحسن «عليه السلام»، بل هما لم يعرضا ذلك عليه «صلى الله عليه وآله» أصلاً.

فكيف نفسر هذين الأمرين يا ترى؟!

ونجيب:

ألف:

أولاً: لعل حرصه «صلى الله عليه وآله» على إنجاز هذا الأمر بنفسه سببه: طلب الثواب من عند الله تبارك وتعالى.. فإن لكل كبد حرَّى أجر.

ثانياً: إنه يدخل السرور على قلب ولده الإمام الحسن، لأنه يعرف أن ذلك سوف يفرحه، ويبهجه، وسوف يسر ذلك علياً وفاطمة أيضاً.

ثالثاً: إظهار كرامة الإمام الحسن «عليه السلام»، وإظهار محبة النبي «صلى الله عليه وآله» له..

ب: أما لماذا لم يبادر علي والزهراء «عليهما السلام» لتولي هذا الأمر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلعل من أسبابه:

أولاً: إن تدخلهما لثني الرسول عن عزمه قد يفهم على أنه من التقديم بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي نهى الله تعالى عنه في قوله: ﴿**لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾(١).

ثانياً: إذا كان هذا العمل من النبي «صلى الله عليه وآله» يتخذ صفة

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

العبادة، ويلتمس به الثواب فلا مورد للتدخل «صلى الله عليه وآله» لحرمانه من ثواب ساقه الله إليه..

ثالثاً: إذا كان النبي لا يفعل ولا يقول شيئاً إلا عن أمر الله، فلا مجال للتدخل لمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من القيام بما يريد فعله، وإلا لكان الله تعالى أمره أن يوكل الأمر إلى علي وفاطمة «عليهما السلام» من دون حاجة إلى تصديهما وعرض خدماتهما.

رابعاً: إن ما ذكرته الرواية من توثب الحسين «عليه السلام» للحصول على الماء، وتقديم النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن عليه، وسؤال فاطمة «عليها السلام» عن سبب ذلك، وجواب النبي «صلى الله عليه وآله» يوضح: أن المطلوب هو أن يتولى النبي هذا الأمر، لكي تتبلور المناسبة التي دعت إلى سؤال الزهراء، وجواب النبي «صلى الله عليه وآله» لها..

ولو أن غير النبي «صلى الله عليه وآله» قد تولى ذلك، كعلي أو الزهراء «عليهما السلام»، ثم جاء تفسير ما فعله علي أو الزهراء من الإصرار على أن يشرب الحسن «عليه السلام» قبل أخيه من نفس علي والزهراء لم يكن له ذلك الأثر الذي يحدثه قول الرسول في نفوس السامعين، ولاسيما ممن لا يرون لعلي، أو لفاطمة «عليهما السلام» فضلاً وتميزاً عن الآخرين، ولا يأخذون كلامهما بنفس الدرجة من البخوع، والخضوع والتسليم الذي يكون منهم تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأقواله وأفعاله..

كأنه أحب إليك؟!:

ولا بد أن نشير هنا إلى عدة أمور، هي التالية:

١ ـ ما ذكرته الرواية، من أن الحسين «عليه السلام» جعل يثب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلباً للشرب، لم يكن لأجل أن يستأثر لنفسه باللبن الذي خصصه النبي لأخيه، لأن الحسين «عليه السلام» وإن كان صغير السن، ولكن عقله وتصرفاته لا تشبه عقول وتصرفات الأطفال، بل هو إمام معصوم يبايعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحديبية في بيعة الرضوان، ويشهده على كتاب ثقيف، ويشركه الله ورسوله في المباهلة، وغير ذلك.. وهو لا يلهو ولا يلعب، وهو عالم، وعاقل، وعادل، وحليم، وله سلوك، وخلق، وتصرفات الإمام.

فتوثبه على النبي «صلى الله عليه وآله» قد أثمر إطلاق ضابطة حقوقية واخلاقية يحتاج الناس إلى رعايتها، في تحديد الأولويات حتى في مثل هذا المورد، حيث يفترض رعاية الحق الطبيعي، الذي حددته الأسبقية بالطلب، من حيث كشفها عن وجود حاجة طبيعية دعت إليه..

٢ ـ ظهر أن رعاية حق الأسبقية لا يختص بالبالغين، بل يفترض رعايته أيضاً حتى مع الأطفال الصغار، لأن ذلك ينعش مفهوم العدالة في وجدان الإنسان.

ويمنع من التضحية بهذا المفهوم الجميل والجليل استناداً إلى خيال زائف، يدفع إلى مناصرة الأصغر على الأكبر، وإيثاره، وتقديمه عليه في مختلف الحالات، كالعطاء، وشرب الماء، وغير ذلك..

لأن هذا التقديم الذي لا مبرر له سوى الرقة القلبية، والخضوع للمشاعر والاستجابة للعاطفة، يطيح بالعدالة، وبالحق الطبيعي، بذريعة صغر السن،

واعتباره سبباً كافياً لنقض الأولوية الطبيعية، التي نشأت عن الحاجة للماء أو للطعام، أو لغير ذلك.

وإلحاح الصغير، قد يكون له أسباب أخرى، كالتوطئة لبيان هذه القاعدة كما ألمحنا إليه آنفاً، إذا كان ذلك الصغير ليس إماماً، قد يكون السبب هو الغيرة، وحب الاستئثار والتقدم، وقد يكون للرغبة بالعبث والتلهي بما يُمنع عنه عادة، أو غير ذلك.

٣ ـ إننا لا نرتاب في أن الزهراء «عليها السلام» كانت تعلم: أن الحسين «عليه السلام» ليس أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الحسن «عليه السلام»، بل أرادت بسؤالها هذا أن تدفع وهم من يتوهم ذلك في حق أبيها.. ويؤكد: ذلك أن الزهراء تعرف ولديها كما يعرفهما رسول الله، وأنهما في درجة واحدة عنده «صلى الله عليه وآله»، ولو كان أحدهما أحب إليه من الآخر، ولو بمقدار ذرة، لكان في هذا الأحب ميزة ترجحه عنده على أخيه..

ولنفترض: أن هذا التمييز للإمام الحسن «عليه السلام» كان بسبب ميزة وخصوصية فيه، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعامل الحسين «عليه السلام» بنحو يظهر منه أنه يميز أخاه عليه.. ولا يشعره بذلك إلا إذا كان يريد حثّه على امتلاك تلك الخصوصية، ولم نجده فعل شيئاً من ذلك تجاه الحسين «عليه السلام».

والزهراء «عليها السلام» كانت تعرف أباها «صلى الله عليه وآله» وسلوكه وأخلاقه، وأنه ليس ثمة ما يدل على هذه الأرجحية ولكنها أرادت دفع ما ربما يتوهمه الآخرون، أو أرادت التمهيد لتسجيل القاعدة التي تقدمت الإشارة

إليها.

نحن يوم القيامة في مكان واحد:

ثم أضاف «صلى الله عليه وآله» قوله: «وإني، وإياك، وهذين، وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد»..

ونلاحظ هنا ما يلي:

ألف: قد يسأل سائل عن انجدال علي «عليه السلام» (أي نومه أو اتكائه على الأرض) في حضور رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلا يعد ذلك قلة احترام لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ونجيب:

بأن علياً «عليه السلام» نشأ وترعرع في كنف الرسول، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يدخل عليه وعلى ابنته فاطمة وولدها في أي وقت شاء، وأحياناً كان يدخل النبي «صلى الله عليه وآله» عليهما وهما نائمان، ويكون أحدهما نائماً.. وربما احتاج من بذل جهداً جسدياً إلى الاستلقاء أو الاتكاء طلباً للراحة أو مقدمة للنوم، وربما كان في حالة مرضية يحتاج معها إلى ذلك.. وربما.. وربما..

فليس نوم علي «عليه السلام» في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» نوم استهتار بمقامه، أو لقلة احترامه، فلا مجال لطرح هذا السؤال.

ب: إن هذا التذييل الذي ذكر أنهم جميعاً في مكان واحد يوم القيامة، قد حسم أموراً، هي:

١ ـ أنه لو كان علي «عليه السلام» مستهتراً بمقام الرسول، ولم يؤد حقه في الاحترام والإجلال، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يجعله معه يوم القيامة في مكان واحد..

٢ ـ إن كلامه «صلى الله عليه وآله» هذا لا يخلو من الالماح إلى أن كون الإمام الحسن أحب إليه من الحسين لا يتلاءم مع كونهما معه، ومع أبيهما وأمهما في مكان واحد يوم القيامة، لأن الذي ليس أحب إليه ينبغي أن يكون في مكان أدنى من مكان الأحب، كأخيه، وأبيه وأمه وجده.

٣ ـ بل قد يقال: إن هذه الفقرة تدل:

على أن فاطمة «عليها السلام» حين قالت للنبي: كأنه أحبهما إليك.. لم تخطئ في ذلك لكي ينحط مقامها يوم القيامة، ولا تكون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٤ ـ وتدل أيضاً: على أن الحسين «عليه السلام» حين توثب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن مخطئاً، إذ لو كان كذلك لا انحط مقامه عن مقام الرسول، ولم يكن معه في مكان واحد أيضاً.

فظهر: أن هذه الاختلافات في الدنيا قد جاءت وفق اعتبارات ومصالح اقتضتها، وليست على ظاهرها، كما يظن بعض الناس، بل هي في صراط الحق وكشفه للناس.

دليل العصمة والطهارة:

إن إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» عن أن هؤلاء الخمسة في مكان

واحد يوم القيامة هو إخبار غيبي لا يُعلم إلا بالوحي الإلهي، وهو يدل على أنهم جميعاً سيكونون طيلة أيام حياتهم في خط الطاعة لله، وعلى صفة الطهارة والعصمة.

درجات النعيم:

وإذا كان هؤلاء الخمسة في مكان واحد في الجنة، فذلك لا يعني أن يكون حصولهم على النعيم يكون بدرجة واحدة، إذ لا ريب في أن النبي وعلياً أفضل من الزهراء وولديها..

وهذا يعطي: أن درجة إحساس الأفضل بالنعيم تختلف وتتفاوت، بحسب اختلاف وتفاوت درجات الفضل والكرامة، والمعرفة والعلم بالله، وبأسرار الخلق، وحقائق الملكوت، ودرجة تفاعله مع ذلك كله، وعظيم عبوديته لله تعالى، وخضوعه له.

ويمكن تقريب الفكرة: ببستان أو روض، أو موقع يحوي أروع المناظر، وأعجبها، وأجمل الأزهار، والأطيار، والأشجار، وأعذب الأنهار، وأجمل الدور والقصور، والحور، وأبدع المناظر الخلابة، فدخل إليه رسام، وتاجر، وعالم وأمي، وسائق، وغيرهم من أصناف الناس.

فإنك تجد: أن درجة التذاذ هؤلاء ببدائع الصنع وروائع الخلق، ولذتهم وإدراكهم لأسرار التكوين، وحتى التذاذهم بالطعوم، وسواها يختلف ويتفاوت بحسب اختلاف طبائعهم، وإدراكاتهم، وأذواقهم، وعقولهم، ورهافة حسهم، ودرجة وطبيعة انفعالاتهم، وما إلى ذلك..

التكبيرات السبع في أول الصلاة:

ذكرت الروايات: أن سبب تشريع التكبيرات السبع في أول الصلاة: أن الحسين «عليه السلام» أبطأ عن الكلام، فخرج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الصلاة والحسين معه، فكبَّر «صلى الله عليه وآله»، فكبَّر الحسين «عليه السلام»، ثم كبَّر النبي ثانية كبَّر الحسين أيضاً، وهكذا إلى سبع تكبيرات، فجرت السنة بذلك[١].

ونفس هذا الحديث مروي في بعض المصادر، لكنه ذكر الحسن بدل الحسين «عليهما السلام».

والظاهر: أن التصحيف هو السبب في هذا الاختلاف، لتقارب كلمتي الحسن والحسين في رسم الخط، مع قلة الاعتناء بالنقط في تلك الحقبة.

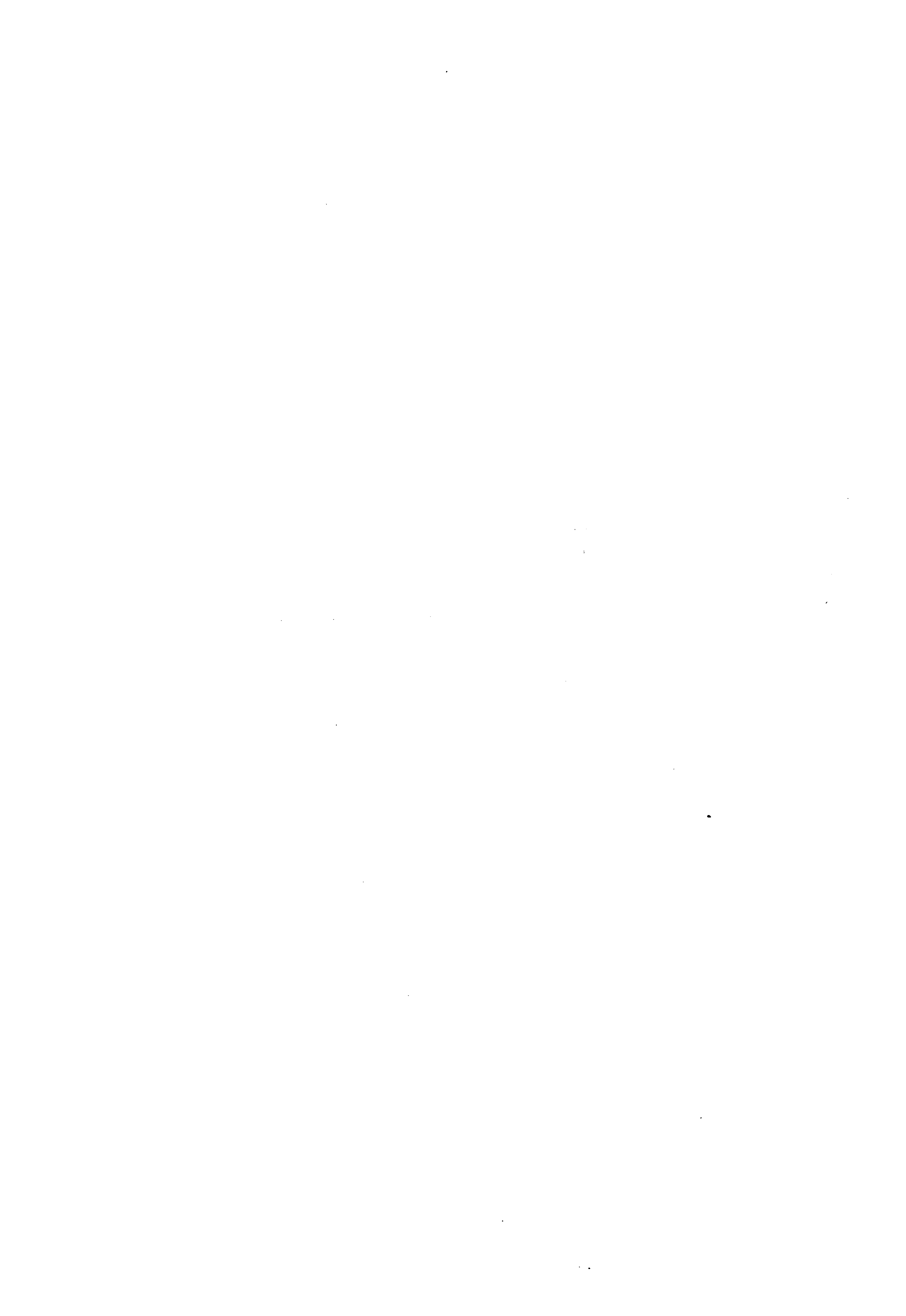
ولإننا نرجح أن يكون الحسين «عليه السلام» هو المعني بهذه الروايات، فإننا نحيل القارئ الكريم مراجعة كتابنا سيرة الإمام الحسين «صلى الله عليه وآله» ج٦، فصل تكبيرات الإفتتاح، فقد ذكرنا هناك أموراً ترتبط بهذه الروايات.

---

(١) ذكرنا مصادر ذلك في كتابنا سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٦ ص٩٧ و٩٨.

الفصل الثالث

منام فاطمة عليها السلام ..



رؤيا الزهراء عليها السلام:

١ ـ [محمّد بن سليمان]، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبدالله، قال: حدّثنا عبيدالله بن موسى العنسيّ، عن فطر بن خليفة: عن أنس بن مالك، قال:

رأت فاطمة في منامها: أنّ أعرابيّاً أقبلَ معه شاة حتّى دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له النّبيّ: يا أعرابيّ! اذبح، فذبح، ثمّ قال: اسلخ، ففعل، ثمّ قال: حزّ، فحزّ، ثمّ قال: اطبخ، فطبخ.

ثمّ قال للحسن والحسين: قوما فكلا.

فقاما وأكلا، فلمّا أكلا ماتا!

فانتبهت فاطمة رضي الله عنها من منامها فزعةً مذعورةً، فلمّا أصبحت غدت إلى أبيها لتُعلمه برؤياها.

فلمّا صارت ببعض الطّريق إذ [هي] بالأعرابيّ بعينه معه تلك الشّاة بعينها، فدخلا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلمّا دخلا تبسّم النّبيّ «صلى الله عليه وآله»، وقال كما رأت فاطمة في منامها، ثمّ قال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» للأعرابيّ: اذبح، ففعل، ثمّ قال: اسلخ، فسلخ، ثمّ قال: حزّ، فحزّ، ثمّ قال: اطبخ، ففعل.

ثمّ قال للحسن والحسين: قوما، فكلا.

فقالت فاطمة: يا أبتا! أحبّ أن تعفيهما، فما حرم (لعل الصحيح: خرم) رؤياي شيء إلّا أن يأكلا ثمّ يموتا!

ثمّ قال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: لا بأس عليهما.

ثمّ قال لهما: قوما فكلا.. فقاما فأكلا.

ثمّ التفت النّبيّ «عليه السلام» عن يمينه، فقال: يا رؤيا يا رؤيا!

فأجابه صوت ولم أرَ الشّخص، وهو يقول: لبّيك وسعديك يا رسول الله.

فقال له النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: ما الّذي أريت فاطمة في منامها؟ فقصّ عليه القصّة كلّها ولم يذكر الموت.

فنادى النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا حلّام يا حلّام!

فأجابه: لبّيك وسعديك يا رسول الله.

قال: ما الّذي أريت بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»؟

فقال: والّذي بعثكَ بالحقِّ نبيّاً ما لقيتها البارحة.

فنادى: يا ضغّاث يا ضغّاث!

فأجابه: لبّيك وسعديك يا رسول الله!

قال: ما الّذي أريتَ فاطمة في منامها؟

قال: أريتها أنّ الحسن والحسين ماتا!

قال: فما أردتَ بذلك؟

قال: أردتُ أن أحزنها!

فقال النّبيّ «صلى الله عليه وآله»: اعزب أحزنك الله تعالى واحمد ربّك.

ثمّ التفتَ النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى فاطمة رضي الله عنها، فقال: أجزعتِ إذ رأيتِ موتهما؟!

فكيف لو رأيتِ الأكبر مسقيّاً [بالسّمِ] «والأصغر مُلطّخاً بدمه في قاع من الأرض يتناوبه السِّباع؟!

قال: فبكت فاطمة، وبكى عليّ، وبكى الحسن والحسين.

فقالت فاطمة «صلوات الله عليها»: يا أبتا! أكفّار يفعلون ذلك، أم منافقون؟!

قال: بل منافقوا هذه الامّة [و] يزعمون أنّهم مؤمنون!

قالت: يا أبتا! أفلا ندعو الله عليهم؟!

فقال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: بلى. فقام في القبلة، وقام عليّ، والحسن والحسين، وقامت فاطمة خلفهم، ثمّ قنتَ بهم وقال في دعائه:

اللهمّ اخذل الفراعنة، والقاسطين، والمارقين، والنّاكثين، ثمّ اجمعهم جميعاً في عذابك الأليم.

ثمّ أنزل الله: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ربّكَ فَتَرْضى**﴾(١).

ثمّ خرج النّبيّ «صلى الله عليه وآله» إلى أصحابه، ثمّ قال: أيّها النّاس! إنّ الرّؤيا على ثلاثة، فالرّؤيا الصّادقة بُشرى من الله تعالى، والأحلام من حديث النّفس، والأضغاث من الشّيطان(٢).

---

(١) الآية ٥ من سورة الضّحى.

(٢) مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» لمحمّد بن سليمان الكوفي ج٢ ص١١٤ ـ ١١٧

٢ ـ حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال: حدثني أبي عن أبيه، عن أم الحسن بنت جعفر بن حسن بن حسن، عن فاطمة بنت الحسين، عن عمتها زينب بنت علي «عليهم السلام»، عن أسماء بنت عميس قالت:

أهدي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عناق مشوية، فبعث إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين «عليهم السلام»، فأجلسهم معه ليأكلوا، فأول من ضرب بيده إليها الحسن.

فجذبت فاطمة يده وبكت.

فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فداك أبوك، ما شأنك، لما تبكين؟!

قالت: يا رسول الله، رأيت في منامي البارحة كأنه أهدي إليك هذا العناق، وكأنك جمعتنا، فأوَّل من ضرب بيده إليها الحسن، فأكل [منها] فمات، فقال «صلى الله عليه وآله»: كفُّوا، ثم قال: يا رؤيا.

فأجابه شيء: لبيك يا رسول الله.

قال: هل أريت حبيبتي شيئاً [تكرهه]؟!

قال: لا والذي بعثك بالحق.

قال [النبي]: يا أضغاث.

قال شيء: لبيك يا رسول الله.

وراجع: بحار الأنوار ج٤٣ ص٩١ وج٥٨ ص١٦٦ وتفسير العياشي ج٢ ص١٧٨.

قال: هل أريت حبيبتي شيئاً؟!

قال: لا والذي بعثك بالحق.

[ف]قال: يا حديث النفس.

فأجابه شيء: لبيك يا رسول الله.

قال: هل أريت حبيبتي شيئاً؟!

قال: لا والذي بعثك بالحق.

قال: يا شيطان الأحلام.

[ف]أجابه شيء: لبيك يا رسول الله.

قال: هل أريت حبيبتي شيئاً؟!

قال: نعم، أريتها كذا وكذا.

قال: ما حملك على ذلك؟!

قال: العبث.

فقال: لا تعد إليها، ثم تفل [النبي «صلى الله عليه وآله»] عن يساره ثلاثاً وقال: أعوذ بالله من شرّ ما رأيت، ثم قال: كلوا بسم الله(١).

٣ ـ قال علي بن إبراهيم القمي «رحمه الله»: حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ هامش ص١١٤ و ١١٥ عن كتاب الجليس الصالح، (لمؤلفه المعافى بن زكريا، المتوفى سنة ٣٩٠هـ) ج٢ ص١٦٨.

كان سبب نزول هذه الآية[١]: أن فاطمة «عليها السلام» رأت في منامها أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» همَّ أن يخرج هو، وفاطمة، وعلي، والحسن والحسين «عليهم السلام» من المدينة، فخرجوا حتى جاوزوا من حيطان المدينة، فتعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات اليمين، حتى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء.

فاشترى رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاة كبراء ـ وهي التي في إحدى أذنيها نقط بيض ـ فأمر بذبحها، فلما أكلوا ماتوا في مكانهم.

فانتبهت فاطمة باكية ذعرة، فلم تخبر رسول الله بذلك.

فلما أصبحت جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحمار، فأركب عليه فاطمة «عليها السلام»، وأمر أن يخرج أمير المؤمنين، والحسن والحسين «عليهم السلام» من المدينة كما رأت فاطمة «عليها السلام» في نومها.

فلما خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان، فأخذ رسول الله ذات اليمين كما رأت فاطمة «عليها السلام» حتى انتهوا إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاة كبراء كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها، فذبحت وشويت..

فلما أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحت ناحية منهم تبكي، مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى وقع عليها وهي تبكي، فقال: ما شأنك يا بنية؟!

---

(١) أي الآية ١٠ من سورة المجادلة: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾.

قالت: يا رسول الله [إني] رأيت كذا وكذا في نومي، وقد فعلت أنت كما رأيته، فتنحيت عنكم، فلا أراكم تموتون.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى ركعتين ثم ناجى ربه، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد هذا شيطان، يقال له الدهار، وهو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا، ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمون به.

فأمر جبرئيل فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟!

فقال: نعم يا محمد، فبزق عليه ثلاث بزقات، فشجه في ثلاث مواضع.

ثم قال جبرئيل لمحمد: قل يا محمد إذا رأيت في منامك شيئا تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل:

أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون، وأنبياؤه المرسلون، وعباده الصالحون، من شر ما رأيت، ومن رؤياي.

وتقرأ الحمد، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، وتتفل عن يسارك ثلاث تفلات، فإنه لا يضره ما رأى.

وأنزل الله على رسوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية(١)»(٢).

وسند الرواية حسن.

---

(١) الآية ١٠ من سورة المجادلة.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٩٠ و ٩١ وج ٥٨ ص١٨٧ ـ ١٨٨ وراجع: ج٧٣ ص١٩٨ وتفسير القمي ج٢ ص٣٣٥ والبرهان (تفسير) ج٧ ص٤٧٤.

قال العلامة المجلسي «قدس سره»:

ما رأيت الكبراء بهذا المعنى فيما عندنا من كتب اللغة(١).

وتعرض الشيطان لفاطمة «عليها السلام»، وكون منامها المضاهي للوحي شيطانياً، وإن كان بعيداً، لكن باعتبار عدم بقاء الشبهة وزوالها سريعاً، وترتب المعجز من الرسول «صلى الله عليه وآله» في ذلك، والمنفعة المستمرة للأمة ببركتها، يقل الاستبعاد. والحديث مشهور ومتكرر في الأصول، والله يعلم(٢).

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ. وعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيه جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مَنْصُورٍ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي الْوَرْدِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ «عليه السلام» قَالَ:

قَالَ رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» لِفَاطِمَةَ «عليها السلام» فِي رُؤْيَاهَا الَّتِي رَأَتْهَا: قُولِي أَعُوذُ بِمَا عَاذَتْ بِه مَلَائِكَةُ الله الْمُقَرَّبُونَ، وأَنْبِيَاؤُه الْمُرْسَلُونَ، وعِبَادُه الصَّالِحُونَ، مِنْ شَرِّ مَا رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِه: أَنْ يُصِيبَنِي مِنْه سُوءٌ، أَوْ شَيْءٌ أَكْرَهُه، ثُمَّ انْقَلِبِي (لعل الصحيح: اتفلي) عَنْ يَسَارِكِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٣).

ونقول:

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٩١.

(٢) بحار الأنوار ج٥٨ ص١٨٨.

(٣) الكافي ج٨ ص١٤٢ و ١٤٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٥٠٠ و (الإسلامية) ج٤ ص١٠٦٦ وبحار الأنوار ج٧٣ ص٢٢٠ ومرآة العقول ج٢٥ ص٣٤١ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٣١٧.

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها:

هل للشيطان سبيل على فاطمة عليها السلام ؟!:

١ ـ ذكرت الرواية: أن ما رأته فاطمة حول الأعرابي وشاته، وأمر النبي «صلى الله عليه وآله» له بذبحها وسلخها، والحز منها، وطبخها، وإطعام الحسنين «عليهما السلام» منها، وقد ماتا في رؤيا فاطمة، ولكنهما لم يموتا في اليقظة، بالرغم من حصول جميع ما رأته فاطمة، باستثناء هذه النقطة، لأن الله تعالى أراد أن يظهر معجزة للنبي «صلى الله عليه وآله»، ليعرف الناس مقامه «صلى الله عليه وآله» عند الله..

فيكون هذا المنام الذي رأته «عليها السلام» وجاء مطابقاً للواقع في جميع فقراته، مناماً مضاهياً للوحي، كما قال العلامة المجلسي «رحمه الله»، وقد كانت جميع فقراته وجزئياته مقدمة للفقرة الأخيرة التي طمأن النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» إلى أنها لن تحصل، فكان كما قال.. وكان هذا من معجزاته «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ ذكرت رواية أنس: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أطلق ثلاث نداءات.

النداء الأول: إنه قال: يا رؤيا، يا رؤيا.. فأجابه صوت، فسأله عما أراه فاطمة «عليها السلام»، فذكر له القصة كلها، ولم يذكر (الموت).

النداء الثاني: قال: يا حلام، يا حلام.. فأجابه، فسأله ما الذي أراه فاطمة، فقال إنه لم يلقَ فاطمة تلك الليلة.

النداء الثالث: إنه قال: يا ضغاث، يا ضغاث، فأجابه فسأله، فاعترف بأنه أراها أن الحسن والحسين «عليهما السلام» ماتا بهدف أن يحزنها.

ونستفيد من هذا البيان: أن الشيطان، وإن كان لا يقدر على إغواء المعصوم في فكره واعتقاده، ولا على إغرائه بالذنب.. ولكنه يستطيع أن يحزنه، ويؤذيه.

ويكون معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾(١): هو سلطانه على فكرهم وعقلهم..

وأما ما عدا ذلك، فإن كان المعصوم نبياً، فإنه يؤذيه في جسده، ويصيبه بالتعب، كما قال سبحانه حكاية عن أيوب النبي «عليه السلام»: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾(٢).

وإن كان المعصوم ليس من الأنبياء والأوصياء، كما هو حال مريم، وفاطمة «عليهما السلام»، فقد يتمكن من إن يريهم في عالم الرؤيا صورة توجب لهم الضيق والحزن، وإن لم يصل إلى حد التعب والعذاب الجسدي.

الرؤيا والأحلام والأضغاث:

وقد صرحت الرواية: بأن الرؤيا التي ناداها النبي، قد ذكرت للنبي «صلى الله عليه وآله» ما جرى، فجاء مطابقاً لما ذكرته السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام».. وكما قال العلامة المجلسي: إنها منام يضاهي الوحي، وإن لم يسمِّ وحياً، لأنها لا تكون قط إلا حقاً وصدقاً.

ونقول:

١ ـ إن هذا يذكرنا بما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» من أن الرؤيا

---

(١) الآية ٩٩ من سورة النحل.

(٢) الآية ٤١ من سورة ص.

جزء من سبعة وسبعين جزءاً من النبوة[١].

وعن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»: إنها جزء من سبعين جزءاً من النبوة[٢].

لكن روايات رواها غير الشيعة تقول: إنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة[٣].

٢ ـ أما ما ظهر أنه أضغاث أحلام، فقد ذكرت بعض الروايات، ومنها هذه الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها: ما يدل على أن من شياطين الجن من يهدف إلى تخويف المؤمن، والتسبب بالحزن له. فيري الإنسان المؤمن صورة تشبه ولده، يريه فيها: أن ولده قد مات، فحتى لو كان الأب يعرف أنها من أضغاث الأحلام، فإن قلبه ينبقض، وتتأذى روحه، وتستفز مشاعره، حتى لو رأى ذلك كرسم على جدار، ويعلم أن ذلك على سبيل الايحاء والتوقع.

وقد أظهرت الرواية المتقدمة هذا المعنى، حين رأينا: أن هناك رؤيا عرفنا أنها كانت صادقة، ومطابقة للواقع.. وقد ضم إليها صورة، أو مناماً آخر صنعه الضغاث يؤذي المشاعر، ويحزن القلب..

وليس هذا من تسلط الشياطين على السيدة فاطمة «عليها السلام» في

---

(١) بحار الأنوار ج٥٨ ص٢١٠.

(٢) بحار الأنوار ج٤٩ ص٢٨٣ وج٦٤ ص٦٦ وج٥٨ ص٢٣٤ و ١٦٧ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٧٦ و ١٧٧ وج٩٩ ص٣٢ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٥٧ والأمالي للصدوق ص٦٤ والدر المنثور ج٣ ص٣١٢.

(٣) بحار الأنوار ج٥٨ ص١٧٨ و١٩١ وج٧٣ ص٢٢٠ والدر المنثور ج٣ ص٣١٢.

فكرها وعقلها، أو سلوكها.

٣ ـ ومن الواضح أن الجن الذي يفعل ذلك لا بد أن يكون معادياً لمن يريد أن يعبث بمشاعره، ويثير الحزن في قلبه..

فيأتي هنا سؤالان:

أحدهما: إن الضغاث ـ كما سمته الرواية ـ إذا كان عدواً للزهراء، ولأبيها، فكيف أجاب نداء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: لبيك وسعديك يا رسول الله، فإنه جواب ودود، يتضمن طاعة، وتمنيات رضية.. لأن معنى لبيك: أنني أجيبك إجابة بعد إجابة، وأنا دائماً حاضر معك.. ومعنى سعديك: أنه يتمنى له إسعاداً بعد إسعاد.. وهذا غاية الموافقة والطاعة.. وخطابه له «صلى الله عليه وآله» بالرسولية على حد الاعتراف بما يرفضه الشياطين عادة، ويتحاشون الاعتراف به.

ويجاب:

بأن الشيطان، وإن كان قد اتخذ قراره بإغواء البشر، وصدهم عن سبيل الله، ولكن ليس له أن يتجرأ على مقام الرسول.. ولو فعل ذلك، فإنه يعرِّض نفسه للعقوبة.. وهذا يفسر لنا خطاب إبليس لله تعالى بقوله: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾[1].

وقوله: ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[2].

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الحجر.

وقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

ويفسر لنا أيضاً قول الضغاث للنبي «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، وقوله: لبيك وسعديك، لأنه يعلم أن الله تعالى القادر سوف يعاقبه لو تجاوز حدّه.

وقد تحدث الله تعالى عن أن الشياطين في عهد سليمان «عليه السلام» كانوا مقرنين في الأصفاد، وقد قاتلهم علي «عليه السلام».

قال المفيد: هذا الحديث روته العامة كما روته الخاصة ولم يتناكروا شيئاً منه[٢].

وقد روى قاضي الجن عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: من تزيَّا بغير زيه فقتل فلا قود ولا دية[٣].

وفي نص آخر: من خرج عن زيِّه، فدمه هدر[٤].

والجن يعذبون في النار، كما دلت عليه الآيات.

وقد ذكرت الآيات: أنهم يرمون بالشهب إذا أرادوا استراق السمع في السماء قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[٥].

---

(١) الآية ٨٢ من سورة ص.

(٢) بحار الأنوار ج١٨ ص٨٤ ـ ٨٨.

(٣) بحار الأنوار ج٦٠ ص١٢٧ وج١٠٧ ص١٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٢١ وج٤ ص٤٠٠.

(٤) مستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٢١ وج٤ ص٤٠٠.

(٥) الآية ١٨ من سورة الحجر.

وقوله: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾(١).

وقال: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾(٢).

وعن ابن عباس: «إذا رمى الشهاب لم يخط من رمي به، وتلا: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾»(٣).

وفي رواية أخرى عنه قال: لا يقتلون بالشهاب ولا يموتون، ولكنها تخرق وتخرج من غير قتل(٤).

وإذا كانت الشهب التي يرمى الشياطين بها، من شأنها أن تؤذيهم، وتدحرهم عن مقاصدهم، فهم يعلمون أن الله القادر، قد زود نبيه الكريم بالقدرات اللازمة التي تلحق الأذى بهؤلاء الشياطين.. إذا تجاوزوا الحدود بنحو يستحقون به العقوبة..

وقد ذكرت الآيات الكريمة: أن بعض الشياطين كانوا عند سليمان مقرنين بالأصفاد، فهل يعجز النبي «صلى الله عليه وآله» عن مثل ذلك معهم إذا اقتضى الأمر..

السؤال الثاني: إن قوله «صلى الله عليه وآله» للضغاث: «اعزب، أحزنك

---

(١) الآيات ٨ ـ ١٠ من سورة الصافات.

(٢) الآية ٩ من سورة الجن.

(٣) الدر المنثور ج٥ ص٢٧١ وبحار الأنوار ج٥٦ ص٣٨٧.

(٤) المصدارن السابقان.

الله تعالى واحمد ربك» غير ظاهر الوجه، فهل المراد: احمد ربك على أنني لم أنزل بك العقوبة التي تستحقها، ووكلتك إلى ما أعده الله تعالى لك من عقوبات تستحقها.

أو أن قوله: «واحمد ربك» مصحف عن: «واخش ربك» أو عن «خف ربك» أو نحو ذلك..

وقد اتضح مما تقدم: أن ما رأته فاطمة «عليها السلام» في تلك الليلة: لم يكن من حديث النفس.. ولذا أجاب الحلام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه لم يلقها في تلك الليلة..

الخبر اليقين:

قد يقال: إن مراجعة ما لدينا من أحاديث كثيرة ووفيرة يفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يذكر ما يجري على أولاده من بعده، وأن الحسن يموت مسموماً، والحسين يستشهد بالسيف على أيدي طواغيت هذه الأمة.

ومن المقطوع به: أن الزهراء كانت على علم بذلك، وبكثير من تفاصيله.. وهذا يؤكد على أن هذا الذي رأته «عليها السلام» لم يكن أضغاث أحلام، بمعنى أنه أمر لا واقع له ولا أساس.

فلعل الشيطان كان يعرف ذلك، وأراد أن يريها موت ولديها في غير وقت موتهما. لأنه أراد أن يجرح مشاعرها بذلك، فما فعله الضغاث هو الاستعجال بالمساءة لها، وإرادة إيهامها بقرب وقوع هذا الأمر..

فكانت النتيجة هي أن هذا المنظر أحزنها، وجرح مشاعرها، وإن كانت

على علم: بأن وقت ذلك لم يكن قد حان، ثم أكد لها النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه ذلك بلسان نفس ذلك الشيطان الذي سعى إلى مساءتها وإيذائها.

ثم أعاد النبي على مسامعها خبر ما يجري على ولديها، وعرَّفها: أن من يفعلون ذلك هم منافقوا هذه الأمة.

الدعاء على قتلة الحسين عليه السلام:

ويلاحظ:

١ ـ أن الزهراء «عليها السلام» عرضت على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو على قتلة ولديها، فأجابها إلى ذلك، وقد رأينا أن عرضها هذا :

أولاً: لم يأت بصيغة الطلب منه، بل بصيغة السؤال الذي يجعل الخيار للمعروض عليه، والمسؤول إذا رأى المصلحة في أي منهما.

ثانياً: لم تطلب منه «صلى الله عليه وآله» أن يتولى هو الدعاء عليهم بل سألته إن كان يرجح لها هي ومن معها فعل ذلك.. إذ لعل شأن النبوة، ومصلحة الدين والحق أن لا يعلن موافقته على هذا الفعل ولو في تلك الفترة على الأقل.. ولأجل ذلك قالت له: «أفلا ندعو الله عليهم»؟!

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لها: افعلوا ذلك.. بل بادر ليكون هو المباشر للدعاء على قتلة ولديه «عليهما السلام».. فدل بذلك على أنه ليس المطلوب هو دعاء الأب والأم على القاتل، لكي يفسر ذلك على أن هذا هو التصرف الطبيعي لأبوين يفجعان بولديهما.. ولا يعني ذلك أن يقتدي بهما غيرهما في ذلك..

ولكن حين يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه ليتولى أمر الدعاء،

ويكون هو المنشئ له، فإن ذلك يرسّخ معنى الأسوة والقدوة به، ويؤكد على رجحان هذا الأمر لسائر الناس، وأن القضية تجاوزت معنى الاستجابة للدافع العاطفي الطبيعي، لينضم إليه الحافز الديني والإيماني، من مصدر التشريع، ومعدن الإيمان والدين.

رابعاً: إن الدعاء الذي أنشأه النبي «صلى الله عليه وآله» لم يتضمن طلب اهلاك أولئك الظالمين، لأن الله بعثه رحمة للعالمين.

بل تضمن عدة أمور:

أحدها: طلب العقوبة لهم بالعذاب الأليم على ما ارتكبوه من نفاق ونكث بيعة، وسعي لإطفاء نور الله، وإضمار الشر لرموز الدين، والمكر والغدر، والفتك بالمؤمنين.

الثاني: إنه طلب من الله تعالى خذلان هؤلاء المنافقين فيما يخططون له، ويسعون إليه، وإبطال أهدافهما الشريرة التي تهدف إلى محق هذا الدين، واستئصال أهله..

الثالث: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضمَّ هؤلاء الفراعنة المستكبرين الذين يَلِغُونَ في دماء أهل بيت النبي وعترته إلى القاسطين، والناكثين والمارقين، وطلب من الله تعالى أن يجمعهم في عذابه الأليم، لأن أهدافهم واحدة، وممارساتهم وسياساتهم تصب كلها في اتجاه واحد..

فهؤلاء جميعاً كانوا يريدون بحروبهم، وبذل كل جهودهم قتل علي «عليه السلام» وولديه الحسن والحسين، وسائر بني هاشم، وجميع شيعتهم ومحبيهم.. فينبغي أن يكون مصيرهم واحداً، وسيكون جمعهم في عذاب

جهنم مما يزيد في آلامهم وعذابهم.

الرابع: إن الله تعالى أنزل في هذه المناسبة قوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾(١).

لأن المعيار في النجاح والفشل في كل مسعى هو النتائج والآثار. فإذا كان هؤلاء في العذاب الأليم، وكان النبي وأهل بيته، وشيعتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فإن حسرة الفاشلين سوف تزداد آلامهم سوف تتضاعف.

رواية القمي معتبرة:

وبالنسبة للرواية الثانية نقول:

١ ـ إن سند رواية القمي معتبر عند علماء الرجال:

فهو إما حسن، باعتبار عدم التصريح بوثاقة إبراهيم بن هاشم، الذي مدحه العلماء وأثنوا عليه، واعتبروه من وجوه الطائفة..

أو صحيح، إذا اعتبرنا: أن وصفهم لإبراهيم بن هاشم: بأنه من وجهاء الأصحاب، يعدُّ ثناء يفوق تصريحهم بوثاقته.. إذ لا يكون من وجهاء الطائفة إلا من هو في أعلى درجات الوثاقة، والأمانة والدين.

٢ ـ إن رواية القمي هي قصة رؤيا أخرى رأتها السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»، غير القصة التي تحدثت عن موت الحسن والحسين «صلوات الله عليهما»، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة.

٣ ـ قد يدور بخلد البعض سؤال يقول:

---

(١) الآية ٥ من سورة الضحى.

ألم يكن من المفترض إذا كانت الروايتان قد وقعتا: أن تكون الأسبق منهما قد أعطت الزهراء «عليها السلام» قاعدة تعرف بها أن الرؤيا الثانية قد جاءت على غرار الرؤيا التي سبقتها، من حيث إن الهدف منها هو المساءة والإيذاء، فلماذا إذن تقلق من جديد؟!

وربما يجاب:

بأن التوافق بين هذه الرؤيا وتلك في بعض فصولها أو في أكثرها لا يعني توافقهما من جميع الجهات، فإذا كانت الإماتة لمن أكل من الشاة هنا قد صوَّرها لها شيطان بهدف إيذائها، وإثارة مشاعرها، فلا يلزم منه أن تكون كل رؤيا فيها موت من فعل شيطان يريد الإيذاء، وتهييج المشاعر..

وهذا يعطي: أن على الإنسان العاقل أن يتعامل مع كل حدث بحسب ما يقتضيه من الحيطة والحذر.. وهذا ما فعلته فاطمة الزهراء «عليها السلام».

تقبيل الحسن في فمه والحسين في نحره:

وقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقبِّل الحسن «عليه السلام» في فمه، ويقبِّل الحسين «عليه السلام» في نحره، وحين سئل عن ذلك بيَّن: أنه إنما يقبل موضع السم في الإمام الحسن «عليه السلام»، وموضع السيوف في الإمام الحسين «عليه السلام»[١].

ونقول:

---

(١) راجع: الأسرار الفاطمية للمسعودي ص٥٢٤ وأسرار الشهادة ص٣٩٢ و ٣٩٣ وتظلم الزهراء «عليها السلام» ص٢٩ عن ذخائر الأفهام.

لا حاجة إلى التذكير: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بذل جهوداً كبيرة لتعريف الناس بمظلومية أهل البيت «عليهم السلام»، وعدوان الظالمين عليهم، وسفك دمائهم.. وذلك بهدف، تعريف الناس بالمحقين، وتميزهم عن المبطلين والظالمين ليكونوا على بينة من أمرهم، وليكونوا في مأمن من الخداع بسبب قوة الإعلام المسموم.. وعدم التأثر بالأباطيل والشائعات المغرضة.

وتتأكد صحة هذه الأخبار وحقانية مضامينها بملاحظة: أنها تتحدث عن أحداث غيبية يمكن لكل أحد أن يقارن بين النص الذي حملها وبين الوقائع التي تجري.. وتبلغ صحتها ووضوحها حداً يصبح التكذيب بها أو الشك بها مساوق لتكذيب الرسول، أو الشك في صدق ما أخبر الله تعالى به ورسوله.

حديث ابن عباس:

حكى صاحب ذخاير الأفهام، عن عبد الله بن داود، عن الثقات، عن ابن عبّاس، قال: صلّينا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم، صلاة الصبح في مسجده الآن، فلمّا فرغنا من التعقيب التفت إلينا بوجهه الكريم، كأنّه البدر في ليلة تمامه، واستند على محرابه، وجعل يعظنا بالحديث الغريب، ويشوّقنا إلى الجنّة، ويحذّرنا من النيران، ونحن به مسرورون مغبوطون، وإذا به قد رفع رأسه، وتهلّل وجهه، فنظرنا، وإذا بالحسنين مقبلين عليه، وكفّ يمين الحسن بيسار الحسين «عليهما السلام» وهما يقولان:

مَنْ مِثْلُنا وَقَدْ جَعَلَ اللهُ جَدَّنا أَشْرَفَ أَهْلِ السَّمواتِ وَالارْضِ، وَأَبانا خَيْرَ أَهْلِ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ، وَأُمَّنا سَيِّدَةً عَلى جَميعِ نِساءِ الْعالَمينَ، وَجَدَّتَنا أُمَّ الْمُؤْمِنينَ، وَنَحْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وزاد سرورنا واستبشرنا بعد ذلك، وكلّ منّا يهنّي صاحبه على الولاية لهم، والبراءة من أعدائهم.

فنظرنا نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإذا بدموعه تجري على خدّيه.

فقلنا: سبحان الله! هذا وقت فرح وسرور، فكيف هذا البكاء من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فأردنا أن نسأله، وإذا به قد ابتدأنا يقول: يعزّيني الله على ما تلقيان من بعدي يا ولديّ من الإهانة والأذى.

وزاد بكاؤه، وإذا به قد دعاهما وحطّهما في حجره، وأجلس الحسن «عليه السلام» على فخذه الأيمن، والحسين «عليه السلام» على فخذه الأيسر، فقال: بأبي أبوكما، وبأُمّي أُمّكما، وقبّل الحسن «عليه السلام» في فمه الشريف، وأطال الشمّ بعدها، وقبّل الحسين «عليه السلام» في نحره بعد أن شمّه طويلاً، فتساقطت دموعه، وبكى وبكينا لبكائه، ولا علم لنا بذلك.

فما كان إلاّ ساعة وإذا بالحسين «عليه السلام» قد قام ومضى إلى أُمّه باكياً مغموماً.

فلمّا دخل عليها، ورأته باكياً قامت إليه تمسح دمعه بكمّها، وأسكته (لعل الصحيح: تسكته) وهي تبكي لبكائه، وتقول: قرّة عيني، وثمرة فؤادي! ما الذي يبكيك، لا أبكى الله لك عيناً، ما بالك يا حشاشة قلبي؟!

قال: خَيْراً يا أُمّاه!

قالت: بحقّي عليك، وبحقّ جدّك وأبيك إلاّ ما أخبرتني.

فقال لها: يا أُمّاه! كَأَنَّ جَدّي مَلَّني مِنْ كِثْرَةِ تَرَدُّدي إِلَيْهِ.

قالت: فداك نفسي، لماذا؟!

قال: يا أُمّاه! جِئْتُ أَنَا وَأَخي إِلى جَدِّنا لِنَزُورَهُ، فَأَتَيْناهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَبِي وَأَصْحابُهُ مِنْ حَوْلِهِ مُجْتَمِعُونَ، فَدَعَى الْحَسَنَ وَأَجْلَسَهُ عَلى فَخِذِهِ الأَيْمَنِ، وَأَجْلَسَني عَلى فَخِذِهِ الأيْسَرِ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ بِذلِكَ حَتّى قَبَّلَ الْحَسَنَ في فَمِهِ بَعْدَ أَنْ شَمَّهُ طَويلاً، وَأَمّا أَنَا فَأَعْرَضَ عَنْ فَمي، وَقَبَّلَني في نَحْري، فَلَوْ أَحَبَّني وَلَمْ يُبْغِضْني لَقَبَّلَني مِثْلَ أَخي..

هَلْ في فَمي شَيْءٌ يَكْرَهُهُ؟! يا أُمّاه!

شَمّيهِ أَنْتِ!!

قالت الزهراء «عليها السلام»: هيهات يا ولدي! والله العظيم! ما في قلبه مقدار حبّة خردل من بغضك.

فقال: يا أُمّاه! كَيْفَ لا يَكُونُ ذلِكَ وَقَدْ عَمِلَ هذا؟!

قالت: والله! يا ولدي! إنّي سمعته كثيراً يقول: حسين منّي وأنا منه.

ألا ومن آذى حسيناً فقد آذاني.

أما تذكر يا ولدي! لمّا تصارعتما بين يديه جعل يقول: إيهاً يا حسن!

فقلت له: كيف يا أبتاه! تنهض الكبير على الصغير؟!

فقال: يا ابنتاه! هذا جبرئيل ينهض الحسين، وأنا أنهض الحسن.

وإنّه يا ولدي! مرّ يوماً جدّك على منزلي وأنت تبكي في المهد، فدخل أبي وقال لي: سكّتيه يا فاطمة! ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني، وكذلك الملائكة بكاؤه

يؤذيهم.

وقال مراراً: اللّهمّ إنّي أحبّه، وأحبّ من يحبّه. فكيف يا ولدي تلك؟! لكن سر بنا إلى جدّك.

فأخذت بيد الحسين وهي تجرّ أذيالها حتّى أتت إلى باب المسجد، فما رأت غير الإمام والنبيّ «صلى الله عليه وآله».

فلمّا رآها النبيّ «صلى الله عليه وآله» تنفّس الصعداء وبكى كمداً، فجرت دموعه على خدّيه حتّى بلّت كمّيه.

فقالت: السلام عليك، يا أبتاه!

فقال: وعليك السلام يا فاطمة! ورحمة الله وبركاته.

قالت له: يا سيّدي! كيف تكسر خاطر الحسين، أما قلت: إنّه ريحانتي التي أرتاح إليها؟! أما قلت: هو زين السماوات والأرض؟!

قال: نعم، يا ابنتاه! هكذا قلت.

فقالت: أجل كيف ما قبّلته كأخيه الحسن؟! وقد أتاني باكياً، فلم أزل أسكته، فلم يتسكّت، وأسلّيه فلم يتسلّ، وأعزّيه فلم يتعزّ.

قال: يا بنتاه! هذا سرّ أخاف عليك إذا سمعته ينكدر عيشك، وينكسر قلبك.

قالت: بحقّك، يا أبتاه! ألاّ تخفيه عليّ.

فبكى وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يا بنتاه! يا فاطمة! هذا أخي جبرئيل أخبرني عن الملك الجليل: أن لا بدّ

للحسن أن يموت مسموماً، تسمّه زوجته بنت الأشعث «لعنها الله»، فشممته بموضع سمّه، ولا بدّ للحسين أن يموت منحوراً بسيف الشمر «لعنه الله»، فشممته بموضع نحره(١).

ونقول:

في هذه الرواية مواضع عديدة تحتاج إلى تصويب، فلاحظ ما يلي:

سند الرواية:

١ ـ إن صاحب كتاب ذخائر الأفهام يذكر سنده إلى عبد الله بن داود، ولم يذكر أسماء الرواة الذين هم بين عبد الله بن داود وبين ابن عباس، واكتفى بوصفهم بالثقات.

٢ ـ إن ابن عباس قد تفرد بهذه الرواية، دون سائر الصحابة الذين حضروا تلك الصلاة مع النبي «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ إن ابن عباس ولد سنة الهجرة، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنوات. فهو دون سن البلوغ.

أمور تحتاج إلى تفسير:

وقد تضمنت الرواية أموراً تحتاج إلى تفسير وايضاح، ونذكر منها:

١ ـ قول ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه بعد الفراغ من التعقيب «استند إلى محرابه، وجعل يعظنا بالحديث الغريب». فلماذا وصف ابن عباس حديث النبي «صلى الله عليه وآله» بالغريب؟!

---

(١) تظلم الزهراء للقزويني ص٤٨ و ٤٩ و (ط أخرى) ص٧٠.

أو لماذا اختار النبي الحديث الغريب ليعظهم به؟!

٢ ـ هل صحيح أن الحاضرين من الصحابة جعل بعضهم يهنئ بعضاً على الولاية لأهل البيت، والبراءة من اعدائهم.. ألم يكن من بينهم حاقدون وشانئون؟!

ولِمَ غاب هؤلاء الصحابة الموالون عن نصرة علي «عليه السلام»، حين هوجم في بيته، في نفس يوم وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

٣ ـ وتقول الرواية: إن الحسين «عليه السلام» بعد أن جلس ساعة في محضر النبي «صلى الله عليه وآله» قام وذهب إلى أمه باكياً مغموماً، احتجاجاً على عدم تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» اياه في فمه.

فلماذا صبر الحسين «عليه السلام» ساعة كاملة حتى قام وذهب؟!

ولماذا لم يبادر إلى الذهاب بمجرد أن قبله النبي «صلى الله عليه وآله» في نحره، ولم يساو بينه وبين أخيه الحسن في أن يقبله في فمه؟!

وفي هذه الساعة هل ذهب المصلون إلى بيوتهم؟! وهل ذهب ابن عباس مع من ذهب؟! فإن كان قد ذهب، فمن أين، وممن نقل هذه التفاصيل التي لم يشهدها؟! وإن كان قد بقي، فلماذا بقي؟! علماً بأن ابن عباس حين استشهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان بعمر عشر سنوات، أو ثلاث عشرة سنة على أبعد تقدير..

فهل كان يتوقع حصول شيء يكمل هذه القصة؟!

وكيف عرف ابن عباس ما دار بين الحسين وبين أمه؟!

هل ذهب معه إليها؟! أو سمع ذلك من ناقل له؟!

ومن هو ذلك الناقل؟!

٤ ـ هل كان الإمام الحسين «عليه السلام» يحسد أخاه، أو ينافسه، أو يجاريه، حتى في موضع تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» إياه؟!

ولماذا لم يفسر الإمام الحسين شم النبي طويلاً له بأنه دليل شدة حبه له؟! أليس هذا الشم الطويل دليل حب عارم؟!

٥ ـ لقد اعتبر الحسين «عليه السلام» عدم تقبيل جده له في فمه دليل ملالة جده منه لكثرة تردده عليه.. فهل كان يتردد عليه أكثر من تردد أخيه الحسن «عليه السلام»؟! والملالة تقتضي أن لا يقبله أصلاً، وأن يعرض عنه، لا أن يشمه طويلاً، ثم يقبله في نحره.

٦ ـ إن بيت الزهراء كان في المسجد، وباب بيتها يفتح إلى المسجد مباشرة، فما معنى قول ابن عباس: فأخذت بيد الحسين، وهي تجر أذيالها حتى أتت إلى باب المسجد.

والأسئلة هنا هي التالية:

أولاً: لماذا ذهبت إلى باب المسجد؟! وهي إذا فتحت باب بيتها فإن المسجد يكون بين يديها، وأمام ناظريها.

إلا أن يقال: إنه عبر عن باب بيتها إلى المسجد: بأنه باب المسجد، لأنه يفتح عليه، ويفضي إليه.. ولكن هذا يبقى غير مألوف في التعبير عن المراد في مثل هذا المورد.

ثانياً: لم نفهم لماذا قال: تجر أذيالها، فهل كان ابن عباس يراها وهي داخل بيتها في تلك اللحظة؟! أم أنه كان يراها وهو خارج بيتها، من كوة، أو من ثقب، أو من باب مفتوح؟! فإن ذلك كله احتمالات لا مبرر لها.

٧ ـ تظهر الرواية الحسين في صورة المربك والمتردد، الذي يفكر تفكيراً طفولياً بعيداً عن التركيز، يشهد على ضآلة الوعي، وفهم الأمور بسطحية.. وهذا ما لا يمكن قبوله في حقه «عليه السلام»، بعد أن شهد له النبي «صلى الله عليه وآله» بالإمامة وهو في ذلك السن، وكان الحسين «عليه السلام» من المبايعين له تحت الشجرة، وأشركه في المباهلة، واشهده على كتاب ثقيف وغير ذلك كثير..

٨ ـ زعمت الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين سألته فاطمة عما جرى قال لها: هذا سر أخاف عليك إذا سمعته ينكدر عيشك الخ.. مع أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد كشف لها هذا السر مراراً وتكراراً، ولم يزل يذكر لها ولعلي وسواهما ما سيجري على الحسنين «عليهما السلام» منذ ولادتهما «عليهما السلام»، فما معنى أن يعتبر ما أفشاه وأشاعه هو نفسه مرات كثيرة سراً يخاف عليها من سماعه؟!

٩ ـ واللافت هنا:

أولاً: إن الرواية تدَّعي: أن الحسين «عليه السلام» لم يخرج من شكه وتردده بالرغم من كل الشواهد التي ساقتها له أمه «عليها السلام»، وكان على علم بتلك الشواهد.. بالرغم من أنها «عليها السلام» أقسمت له بالله العظيم على أنه ليس في قلب جده مقدار حبة من خردل من البغض له..

فألا يدل على ضعف مكانة أمه وجده «عليهما الصلاة والسلام» في نفسه «عليه السلام»؟! وعدم ثقته بما يقولان ويفعلان؟!

ثانياً: إنها حين اصطحبته إلى جده لكي تثبت له صحة كلامها لم نر النبي «صلى الله عليه وآله» كلَّمه بشيء، ولا طيَّب خاطر، ولا تعرض لشيء من هواجسه بسلب ولا إيجاب.. بل اكتفى ببيان سبب اختياره تقبيله في نحره، وتقبيل أخيه في فمه..

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» ألقى تبعة ما يحصل لولده الحسن «عليه السلام» على جعدة بنت الأشعث، ولم يشر إلى معاوية، وتدبيره الأمر معها، وبذله الأموال، وتقديم الإغراءات لها بشيء.

ثم ألقى تبعة ما يجري للحسين «عليه السلام» على شمر بن ذي الجوشن، ولم يشر إلى يزيد، وابن سعد، وابن زياد بشيء..

فهل يصح أن يقال: إن هذه الرواية تشير إلى أن وراء الأكمة ما وراءها، وأنها تدس السم في الدسم، أو تكاد؟!

جبرائيل: إني لأظنك تحبهما:

وجاء في رواية هلال بن جناب: أن جبريل كان عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فجاء الحسن والحسين، فوثبا على ظهره، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأمهما: ألا تشغلين عني هذين؟!

فأخذتهما، ثم أفلتا، فجاءا، فوثبا على ظهره، فأخذهما، فوضعهما في حجره.

فقال له جبريل «عليه السلام»: يا محمد، إني أظنك تحبهما؟!

فقال: كيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا؟!

فقال جبريل «عليه السلام»: أما إن أمتك تقتل هذا ـ يعني حسيناً ـ فخفق بجناحه خفقة، فجاء بتربة، فقال: أما إنه يقتل على هذه التربة.

فقال: ما اسم هذه التربة؟!

قال: كربلاء.

قال هلال بن جناب: فلما أصبح الحسين في المكان الذي أصيب فيه، وأحيط به، أتي بنبطي.

فقال له الحسين: ما اسم هذه الأرض؟!

قال: أرض كربلاء.

قال: صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أرض كرب وبلا. وقال لأصحابه: ضعوا رحالكم، مناخ القوم مهراق دمائهم[1].

ونقول:

إننا نلاحظ ما يلي:

١ ـ لم تذكر الرواية المتقدمة شيئاً عن استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»، بل اكتفت بالإخبار عن شهادة الإمام الحسين «عليه السلام»، وإحضار جبرئيل للنبي «صلى الله عليه وآله» تراباً من موضع استشهاده

---

(١) راجع: نظم درر السمطين ص٢١٥ و ٢١٦ وسيرتنا وسنتنا ص٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦١٤ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٩٤٧ و ٩٤٨.

«صلوات الله وسلامه عليه»..

٢ ـ يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يطلب من الزهراء «عليها السلام» أن تبعد عنه الحسن والحسين «عليهما السلام»، بل طلب منها أن تشغلهما عنه.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يأمر الحسنين بالابتعاد عنه، بالرغم من أن جبرئيل كان عنده «صلى الله عليه وآله»، ولا يأتي جبرئيل إلا لأمر مهم يقتضي مجيئه..

٣ ـ من المعلوم: أنه لم يحدث بحضور جبرئيل أي أمر غير عادي، يخالف ما كان يراه في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلما أوفده الله تعالى إليه..

غاية الأمر: أن الحسن والحسين «عليهما السلام» وثبا على ظهر جدِّهما بحضور جبرئيل، فطلب «صلى الله عليه وآله» من أمهما أن تشغلهما عنه، فلما أفلتا وعادا للوثوب على ظهره أخذهما «صلى الله عليه وآله» ووضعهما في حجره..

فمبادرة جبرئيل إلى القول: «يا محمد، إني لأظنك تحبهما» ثم ما تبع ذلك دل على أن جبرئيل قد جاء بأمر يرتبط بهما، أو بأحدهما.. فخاطب النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الخطاب توطئة للدخول في الموضوع يريه التربة التي يقتل عليها ولده الحسين «عليه السلام».

ومن المعلوم: أن السياسة الإلهية كانت تقضي بتربية وجدان الناس، وبلورة مشاعرهم، وتطهير ضمائرهم، وحفظ يقينهم، وبلورة الحق في قلوبهم

وعقولهم، حتى لا تهيمن عليهم، أو لا يتأثروا بالأضاليل والأباطيل، ولا تقهرهم البهرجات والشائعات، والتحريفات.

هل هو الظن أو اليقين؟!:

إن جبرئيل لم يكن بعيداً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان على يقين من حب النبي لأهل بيته المعصومين الطاهرين، الذين يراهم مطيفين بعرش الله.. وقد بلَّغ النبي عشرات الآيات القرآنية في حقهم، والثناء عليهم، وبيان فضلهم، وموقعهم، وما إلى ذلك.. فلماذا قال: إنه يظن: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يحبهما في موقع يقتضي التصريح باليقين؟!

ونجيب:

لقد استعمل الظن بمعنى اليقين في العديد من الآيات القرآنية، لاعتبارات مختلفة اقتضت ذلك..

ولعل سبب تعبير جبرئيل بالظن عن يقينيه:

أولاً: مراعاة جانب الأدب مع الله تعالى في أمر موكول إلى الغيب، الذي لا يناله أحد إلا بإذن، وتوفيق منه تعالى.

ثانياً: إن قوله «صلى الله عليه وآله» لأمهما «عليها السلام»: ألا تشغلين عني هذين؟! أثراً في اختيار كلمة أظن، واستدراجاً منه وتوطئة لتوضيح الأمر، فإن كلمة أظن توهم: أن حبه «صلى الله عليه وآله» لهما ليس في أفضل حالاته، وأعلى درجاته..

ثالثاً: عبَّر بالظن لكي ينصرف كل فكر، وجهد النبي «صلى الله عليه

وآله» إلى باطنه، لكي يعود النبي إلى نفسه، ويستعرض مشاعره، ويتفحص هيمنات قلبه، ويرصد توقد مشاعره «صلى الله عليه وآله»، ليواجهه بما يلهب هذه المشاعر، ويزيد من توهجها وتألقها، ويدفع بها إلى أقصى مدى، من خلال الحديث عن قتل الأشرار للإمام الحسين بصورة فجيعة وفظيعة، ومريعة.

ثم ليحضر التراب الذي يسفك دمه عليه، ليراه «صلى الله عليه وآله» بأم عينيه، ليكون أشد وقعاً، وأعظم أثراً في إظهاره عظمة النبي «صلى الله عليه وآله»، وتجسيد صبره الهائل، وطاعته لله، وابتغائه رضاه.

وإذا كان الناس يخرجون عن طورهم، ويتخلون عن اتزانهم، ويتبخر حلمهم وصبرهم إذا أصيبوا بفقد ولد، حتى لو لم يظهر له أي تمييز في فهم، أو علم، أو خلق، أو طهارة ذات، أو أي نوع من أنواع الصفات والميزات التي توجب مزيداً من التعلق، والحب.. فإن صفات الحسن والحسين، وميزاتهما في الفهم والعلم، والفضل، والأخلاق، وفي كل شيء كانت كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار.

ولن يكون الحزن على الحسين مشبهاً لحزن الآخرين على أولادهم الذين لا يملكون أية ميزة، سوى أنهم بشر عاديون.

هذا ما يجري على هؤلاء:

قال العلامة المجلسي:

وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي، نقلاً من خط الشهيد رفع الله درجته، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور «طاب ثراه» قال:

روي أنه دخل النبي «صلى الله عليه وآله» يوماً إلى فاطمة «عليها السلام»، فهيأت له طعاماً من تمر، وقرص، وسمن، فاجتمعوا على الأكل هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام».

فلما أكلوا سجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأطال سجوده، ثم بكى، ثم ضحك، ثم جلس. وكان أجرأهم في الكلام علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إني لما أكلت معكم فرحت وسررت بسلامتكم واجتماعكم، فسجدت لله تعالى شكراً.

فهبط جبرئيل «عليه السلام» يقول: سجدت شكراً لفرحك بأهلك؟!

فقلت: نعم.

فقال: ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك؟!

فقلت: بلى يا أخي يا جبرئيل.

فقال: أما ابنتك، فهي أول أهلك لحاقاً بك، بعد أن تظلم، ويؤخذ حقها، وتمنع إرثها، ويظلم بعلها، ويكسر ضلعها.

وأما ابن عمك، فيظلم، ويمنع حقه، ويقتل.

وأما الحسن، فإنه يظلم، ويمنع حقه، ويقتل بالسم.

وأما الحسين، فإنه يظلم، ويمنع حقه، وتقتل عترته، وتطؤه الخيول، وينهب رحله، وتسبى نساؤه وذراريه، ويدفن مرملاً بدمه، ويدفنه الغرباء.

فبكيت، وقلت: وهل يزوره أحد؟!

قال: يزوره الغرباء.

قلت: فما لمن زاره من الثواب؟!

قال: يكتب له ثواب ألف حجة، وألف عمرة كلها معك، فضحك[١].

ونقول:

إننا نذكر هنا بما يلي:

هل سمعوا كلام النبي صلى الله عليه وآله مع جبرائيل عليه السلام؟!:

ليس في الرواية: إن علياً والحسن والحسين، وفاطمة «عليهم السلام» قد سمعوا النبي «صلى الله عليه وآله» يتكلم مع جبرئيل، مع أنهم يجلسون معه.. وكان يوحى إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بمحضر من الصحابة، وما كانوا يسعمون كلامه مع جبرئيل، ولا كلام جبرئيل معه..

ونجيب:

أولاً: بالنسبة لكلام جبرئيل نقول:

إنه «عليه السلام» كان يلقي كلامه في أذن النبي «صلى الله عليه وآله»، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ﴾[٢].. وكان علي «عليه السلام» وحده يسمع ويرى ما يراه ويسمعه النبي «صلى الله عليه وآله»، وفقاً لقول النبي «صلى الله عليه وآله» له: «إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، غير أنك لست بنبي»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٩٨ ص٤٤ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٢٧٥ و ٢٧٦.

(٢) الآية ٥١ من سورة الشورى.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٣٧ ـ ١٦٠ (الخطبة القاصعة) رقم ١٩٢

وسماع علي «عليه السلام» دون سائر من حضر يكون بتصرف إلهي، يمكنه من السماع..

أما سماع كلام النبي «صلى الله عليه وآله» مع جبرئيل، فإنه أيضاً قد لا يكون ميسوراً، فها نحن نرى النائم يرى الرؤيا، ويتكلم فيها، ويضحك ويبكي، ولا يشعر الجالس بجانبه بشيء..

وربما كان جبرئيل يتلقف الكلام من النبي «صلى الله عليه وآله» بمجرد حضوره في نفسه، فإن النفس تتحدث، ويعلم الله كلامها.

الإخبار عن الغيب:

هذه الرواية ذكرت تفاصيل لما يجري لأهل البيت «عليهم السلام».. ولاسيما الزهراء.. من ظلم، وأخذ حق، ومنع إرث، وكسر ضلع.. وما يجري على الحسين «عليه السلام»..

ونحن لسنا هنا بصدد استقصاء الكلام في هذه الأمور..

وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٨ والطرائف لابن طاووس ص٤١٥ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص٢٢٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٣ وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٦ وج ١٨ ص٢٢٣ وج ٣٨ ص٣٢٠ وج ٦٠ ص٢٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٦٨ والغدير ج٣ ص٢٤٠ وسنن النبي للطباطبائي ص٤٠٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٠٧ ونهج السعادة ج٧ ص٣٣ و ١٤٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٩٧ وخصائص الوحي المبين ص٢٨ ونهج الإيمان ص٥٣٢ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٩ ومشارق أنوار اليقين ص١٧٣.

من أجل ذلك نقتصر على التذكير: بأن لهذه الأخبار الغيبية فوائد وعوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ ـ إن هذه الأخبار هي من دلائل صدق نبينا «صلى الله عليه وآله»، ومن موجبات زيادة اليقين: بأنه «صلى الله عليه وآله» لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وهي حجة على من سمعها منه «صلى الله عليه وآله»، وعاش حتى رأى تحققها، وحجة على من بلغه إخباره عنها، ورأى أو عرف بتحققها بوسائل إثبات معتبرة.

٢ ـ إن المعجزة القرآنية، وإن كانت تبقى حاضرة عند الناس.. لكن الكثيرين قد يغفلون عن وجوه الإعجاز فيه، أو أن أهل الضلالات، قد يثيرون شبهات لا يقدر بعض الناس على دفعها، لقصور معرفتهم، أو لغير ذلك من أسباب.. فتكون هذه الإخبارت عن الغيب هي الحجة التي يفهمها، أو يدرك إعجازها العالم والجاهل، والكبير والصغير، والمسلم وغير المسلم.

٣ ـ إن هذه الأخبار تُعرِّف الناس بالحق والباطل، وتميز المحق عن المبطل، والظالم من المظلوم، وهي باب هدى، وسبيل نجاة..

٤ ـ إن هذه الأخبار تخاطب الضمير، وتوقظ الوجدان، وتعطي السكينة، والقدرة على مقاومة الشبهات، ومناعةً من الخضوع للضلالات والترهات.

هل الحسين يدفنه الغرباء؟!:

وذكرت الرواية المتقدمة ما يجري على الإمام الحسين «عليه السلام»،

فكان مما قالت: «ويدفنه الغرباء».. وهذا لا يمكن قبوله على ظاهره:

أولاً: لما ورد من أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله(١).

ثانياً: لما ورد من أن الإمام السجاد «عليه السلام» هو الذي تولى دفن الإمام الحسين «صلوات الله عليه»(٢).

إلا أن يقال: لعل مراده بالغرباء بنو أسد، الذين حضروا إلى كربلاء، وأعانوا الإمام علي بن الحسين على دفن الأجساد بنحو أو بآخر، ولم يحضر ذلك أحد من أرحام وقبائل، وأبناء وإخوان شهداء كربلاء.

الشفاعة للعصاة أحب إلي:

روي عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ذات يوم، ودخل في أثره الحسن والحسين «عليهما السلام»، وجلسا إلى جانبيه، فأخذ الحسن على ركبته اليمنى، والحسين على ركبته اليسرى، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى.

وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله، إنك لتحب الحسن والحسين؟!

فقال: وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا، وقرتا عيني؟!

فقال جبرئيل: يا نبي الله، إن الله قد حكم عليهما بأمر، فاصبر له.

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٢٨٩ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج٢ ص٧٦٣ و ٧٦٤ وبحار الأنوار ج٤٥ وص١٦٩ ج٤٨ ص٢٦٩ و ٢٧٠ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٦٦ و ٣٦٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٤٠.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص٣١٩ و ٣٢٠ وعن أسرار الشهادة ج٣ ص٢٢٥ ومقتل الحسين لبحر العلوم ص٤٦٦ وعن الأنوار النعمانية.

فقال: وما هو يا أخي؟!

فقال: قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً، وإن لكل نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين، فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل، أنا راض بحكم ربي، لا أريد إلا ما يريده، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي، ويقضي الله في ولدي ما يشاء(١).

ونقول:

إنك لتحبهما:

يلاحظ: أن جبرئيل قد جزم هنا باليقين بحب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام»، لكنه في تلك الرواية عبَّر عن يقينه بالظن، فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: إذا كانت هذه القضية قد حصلت بعد تلك، فلا يبقى إشكال، لأن جبرئيل يبني يقينه على إخبار النبي بأمر هو «صلى الله عليه وآله» يعنيه،

---

(١) المنتخب للطريحي ج١ ص٨٤ و ٨٥ وأسرار الشهادة ص١٠٧ و ١٠٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٤١ و ٢٤٢ والعوالم ج١٧ ص١١٩ وج١٦ ص٣٦٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٠٩ و ٣١٠.

وهو أعرف به.

ثانياً: إن هذا السؤال، إنما يرد لو كان قول جبرئيل: «إنك لتحبهما» قد جاء على سبيل إظهار الرضا، والإعجاب.. أما إذا كانت الصيغة استفهامية يطلب بها إقرار النبي «صلى الله عليه وآله» لمضمون السؤال، فلا يبقى فرق بين هذه الرواية وتلك.

حب الكمال والجمال، لا حب الأطفال:

١ ـ ظهر من الرواية المتقدمة: أنها تشبه كثيراً رواية هلال بن جناب التي ذكرناها وتحدثنا عنها آنفاً، ولكن في هذه الرواية أموراً أخرى سوف نشير إلى بعض القول فيها، غير أننا نحب قبل ذلك لفت النظر إلى ما يلي:

أولاً: إلى علاقة الحسن والحسين «عليهما السلام» بجدهما لم تكن مجرد علاقة طفل بجده الذي يرتاح له، ويلاعبه، ويداعبه، ويقدم له الهدايا والعطايا، ثم وبمرور الأيام، حيث لا بد من توديع مرحلة الطفولة لتبدأ هذه العلاقة بالاضمحلال، لتحل محلها علاقة اعتماد وثقة، ومعونة.

ثانياً: إذا توفرت أجواء تساعد على اكتساب الكمالات والفضائل، أضيف إلى ذلك الحب عامل الإعجاب، والإكبار والاحترام، وربما تجاوز الأمر ذلك ليصل إلى حد التباهي به والافتخار.

ولكن علاقة الحسنين بجدهما لم تمر بهذه المراحل، بل اختزلت منذ بدايتها، إلى نهايتها في مرحلة واحدة، وبُعدٍ واحد، فكانت علاقة فضل وعلم، وحكمة، ودراية، ونبل، وكمال، وخلق رضي، وأرواح صافية، وانسجام وانصهار، وإجلال وإكبار، واعتزاز بالله، وطاعته، مع الخلوص، والإخلاص، والتقوى..

وهي علاقة صافية، وسليمة، ليس فيها لهو ولا لعب لأن الإمام ـ وكذلك النبي ـ لا يلهو ولا يلعب..

٢ ـ يلاحظ: أن جبرئيل ـ كما ذكرته رواية أم سلمة ـ قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا رسول الله، إنك لتحب الحسن والحسين». فجزم وأكد حب النبي «صلى الله عليه وآله» لهما: بـ «إن» المشددة، وباللام أيضاً..

لكنه في رواية هلال بن جناب قال: «إني أظنك تحبهما».

ونضيف إلى ما سبق:

أن جبرئيل رأى النبي يطلب من الزهراء: أن تشغلهما عنه، فعبر جبرائيل عن ظنه فقط، ولم يأت في كلامه بأي تأكيد على ما ظنّه..

ولكنه في قصة أم سلمة رأى النبي «صلى الله عليه وآله» حين دخلا عليه، وجلسا بالقرب منه رفعهما إليه، وأجلسهما على ركبتيه ثم جعل يقبِّل هذا تارة، وذاك أخرى، فدل بذلك على شدة حبه «صلى الله عليه وآله» لهما، فأورد جبرئيل كلامه بصورة جازمة، مشفوعاً بعدة تأكيدات على ما يقوله.

٣ ـ ذكرنا في رواية هلال بن جناب المتقدمة: أن جبرئيل يريد أن يرفع من درجة العلاقة العاطفية بالحسنين «عليهما السلام»، ويستحضر الشعور بها، لكي يواجه النبي بحقيقة ما سيجري عليهما صلوات الله وسلامه عليهما.

وقد أمعن في إثارته لمشاعر النبي «صلى الله عليه وآله» حين قال له: «وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً»، فإنها كلمة جارحة بلا ريب حين توجه لرجل هو أعظم الناس رهافة حس، وتوهج عاطفة..

فكيف إذا كانت هذه العاطفة ترتبط بالولد؟!

وكيف إذا كان هذا الولد هو مجمع الكمالات والكرامات والفضائل؟!

وكيف إذا جاءه هذا الخبر الصاعق من مخبر صادق هو جبرئيل!!

وكيف إذا كان ممهوراً بحكم جازم، ولازم من قبل بارئ الخلق أجمعين، بحصول القتل بالسم، والذبح بالسيف؟!

٤ ـ وبذلك ترتفع درجة الألم إلى أقصى مدى، ثم يأتي عرض نجاة الحسنين من القتل، من دون أي جهد، بل بأسهل وأيسر ما يكون من الوسائل، وهي أن يتفوه النبي بطلب النجاة من القتل لهما.

على أن يكون البديل لذلك القتل، إن صرف «صلى الله عليه وآله» نظره عن الدعاء لهما بالنجاة، هو أن يكون «صلى الله عليه وآله» الشفيع عند الله للعصاة من أمة محمد «صلى الله عليه وآله»..

٥ ـ يلاحظ: أن هذا البديل عن قتل الحسنين «عليهما السلام» لا يبدو مغرياً، ولا يشجع على اختياره، فإن أحداً لا يقدِّم ولديه للقتل بهذه الطرق الشنيعة والفظيعة، مقابل أن يكون له حق الشفاعة للعصاة، فمن الذي يشفق على عاص لربه، متمرد عليه مقابل قتل ولدين له لا نظير لهما في الخلق أجمعين، في العلم والفهم، والحكمة والفضل والتقوى، وغير ذلك.

إن الناس سيقولون: إن العاصي لا يستحق الشفاعة، فهل يستحق أن تشترى الشفاعة ببذل الولد الذي لا نظير له، بل بولدين لا نظير لهما؟!

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» في أوج هذا الانفعال العاطفي، وأمام عرض قد لا يرتاح إليه الكثيرون اختار أن يمضي حكم الله، لأن هذا النبي

هو الذي قال الله تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[١].

وقال له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٢].

ولأجل ذلك لم يختر ما يتوافق مع الاندفاعة العاطفية المتوهجة، وما ينسجم مع الحنان الأبوي، والدافع الذاتي.

٦ ـ إن ما تقدم يدل على أن المطلوب هو إظهار عظمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإذا كان إبراهيم قد رضي بذبح ولده، ثم أعفاه الله تعالى منه، مع ملاحظة ما سيكون عليه ذلك الذابح الرحيم والعطوف..

فإن نبينا «صلى الله عليه وآله» قد رضي بأن يقتل ابناه، وهما أفضل من إسماعيل بن إبراهيم ـ يقتل ـ هذا بالسم، وذاك مذبوحاً بيد أشر خلق الله تبارك وتعالى، وأشدهم قسوة، وكفراً، وبغياً.

هل يستحق العصاة كل هذا؟!:

وقد يأتي هنا سؤال: إنه إذا كان العصاة لا يستحقون أن يضحي من أجلهم بإنسان عادي، جاهل، أو بفاسق غير عادل، فهل يضحي من أجلهم بأئمة الهدى، ورموز الفضل والتقى، المعصومين المكرمين؟! فضلاً عن أن تكون التضحية بهما بهذا النحو الفظيع والفجيع!!

وعلى هذا، فلماذا لا يكون الأولى هو تسليم العصاة لمصيرهم، ومجازاتهم

---

(١) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٢) الآية ٦ من سورة الكهف.

على ما اقترفوه، ويبقى هؤلاء الصفوة ذخراً للأمة، ونبراساً للهداية؟!

ونجيب:

بأن ما فعله النبي «صلى الله عليه وآله» هو الأولى والأسمى، لأن هذه التضحية قد فتحت أبواب الأمل بالنجاة للأمة إلى يوم القيامة، وجعلت من الحسنين وسائر أهل البيت «عليهم السلام» باب رحمة، وهداية خيرٍ لكل البشر، وجعلهم هذا ملاذاً للراجين، وملجأ للعاصين التائبين، وسلوة للحزين، وهم غوث الملهوف، وفرج المكروب.

ولأجل ذلك ورد في الخبر: «إن الحسين مصباح هدى، وسفينة نجاة»(١).

وإخراج البشر من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى الخير هو مسؤولية رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالدرجة الأولى.. ولو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» اختار بقاء الحسنين، ولم يختر مقام الشفاعة للعصاة، لكان قد فرَّط بالأمة، ولما كان أفضل الخلق، وأكرمهم على الله تعالى.

مضمون وصية رسول الله صلى الله عليه وآله:

ورد في بعض النصوص الاحتجاجية لعلي «عليه السلام»، أو لأبي ذر: أنه قال: «لقد علمتم، وعلم خياركم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) راجع: عيون أخبار الرضا ج١ ص٦٢ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٠٥ وج ٩١ ص١٨٤ وغاية المرام ج١ ص١٥٠ و ٢٠٣ وج ٢ ص١٧٠ و ٢٦٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٦٢ وكمال الدين وتمام النعمة ص٢٦٥ والصراط المستقيم ج٢ ص١٦١ ومدينة المعاجز ج٤ ص٥٢ وإعلام الورى ج٢ ص١٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٦٢.

قال: الأمر بعدي [لعلي بن أبي طالب]، ثم لابنيَّ [منه] الحسن والحسين، ثم للطاهرين من ذريتي»[١].

ونقول:

ألف: هذا النص يدل على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا وهما في سن ست أو سبع سنين يملكان صفات المعصوم وميزاته التي منها: العلم، والحكمة، والعقل، والعصمة، والطهارة، والشجاعة، وغير ذلك..

ب: إن هذا النص يمثِّل إخباراً عن أمر غيبي، وهو: أن هذه الصفات الجليلة سوف تبقى وتستمر في الحسن والحسين إلى آخر حياتهما في هذه الدنيا.

ج: إن هذا النص قد قرَّر أن الحسنين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهذا ما حاول خصوم أهل البيت إنكاره، أو إثارة الشبهات حوله.

د: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أوضح: أن في ذريته، بالإضافة إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» طاهرين آخرين أيضاً.. تكون لهم مقام الإمامة.. فليس لغيرهم، لا من بني العباس، ولا من بني أمية، ولا من غيرهم: أن يدَّعي هذا المقام لنفسه، لأن هؤلاء ليسوا من ذريته، وليسوا من الطاهرين أيضاً.

هـ: إنه «صلى الله عليه وآله» لا يقصد الطهارة الخبثية في الجسد، بل قصد الطهارة الروحية والعملية، والأخلاقية، من كل رجس ورذيلة.

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٠٠ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩٥ والدرجات الرفيعة ص٢٣٧ وراجع: اليقين لابن طاووس ص٣٣٩ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٤٠ ونهج الإيمان ص٥٨١.

الفصل الرابع

قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله..



أوصى النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام والحسنين عليهما السلام:

١ ـ روى علي بن الحكم، عن زياد بن أبي الحلال، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هل أوصى إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» مع أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

قال: نعم.

قلت: وهما في ذلك السن؟!

قال: نعم. ولا يكون لسواهما في أقل من خمس سنين(١).

٢ ـ وفي نص آخر عن أبي بصير: أن الإمام الباقر «عليه السلام» قال رداً على المختارية الذين زعموا أن محمد بن الحنفية إمام: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوصى إلى علي والحسن، والحسين، فلما مضى علي «عليه السلام» أوصى إلى الحسن والحسين. ولو ذهب يزويها عنهما لقالا له:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٩ ص٣٧٦ و (الإسلامية) ج١٣ ص٤٣٩ والوافي ج٢ ص٣٢٨ وج٢٤ ص١٦٩ و ١٧٠ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص٥٦٥ وجواهر الكلام ج٢٨ ص٤٠٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص٢٢٤.

نحن وصيان مثلك، ولم يكن ليفعل ذلك.

وأوصى الحسن إلى الحسين، ولو ذهب يزويها عنه لقال: أنا وصي مثلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن أبي، ولم يكن ليفعل ذلك. قال الله عز وجل: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[1]. هي فينا وفي أبنائنا[2].

٣ ـ وعن أبي جعفر «عليه السلام»: أوصى رسول الله إلى علي والحسن، والحسين، وهما صبيان[3].

ونقول:

ما المراد بالوصية؟!:

هناك من فهم النصوص المتقدمة على أنها تتحدث عن الوصية في الأمور المالية، والولاية على الوقف، ونحو ذلك.. فإنها جائزة بلا فرق بين الكبير والصغير، والمميز وغيره، ومن بلغ الخمس سنين، ومن لم يبلغها.

وقالوا:

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنفال، والآية ٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الكافي ج١ ص٢٩١ و ٢٩٢ وإثبات الهداة ج١ ص٤٤٣ و ٤٤٤ وكنز الدقائق (تفسير) ج٥ ص٣٧٩ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤١٣ والوافي ج٢ ص٢٧٩ و ٢٨٠ ومرآة العقول ج٣ ص٢٦٤ و ٢٦٥ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص١٧١.

(٣) دلائل الإمامة ص٢٣١ وراجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٣٨ و ١٣٩ وإثبات الهداة ج١ ص٤٨٦ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٢٨٦ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥٠٥ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٤٤٠ و ٤٤١.

إن الفقهاء لم يعملوا بالرواية التي اشترطت بلوغ الموصى إليه الخمس سنين(١).

ويمكن أن يقال لهم:

إن الفقهاء لم يطرحوا رواية السنوات الخمس، لأن المراد بها ـ قد يكون بنظرهم ـ: أن الوصية إلى الحسنين «عليهما السلام» صحيحة في جميع سني حياتهما، لأنهما إمامان معصومان قادران على التصرف الصحيح، في كل الأمور.. والآيات، وكلمات الرسول في حقهما، وسيرة حياتهما تشهد على ذلك.

أما الوصية لغيرهما، فمشروطة ببلوغه خمس سنين، لأنه لا يصل إلى درجة التمييز إلا في هذا السن غالباً.

فلو أقدم على أي تصرف في المال، أو في الوقف.. فربما تسبب بفساد لا مبرر له.

غير أننا نقول:

إن ما نقل عن الفقهاء، أو ما حاولنا توجيه كلامهم به، ليس هو المعني بهذه الروايات، لأن هذه الروايات، ليست ناظرة للوصية بالأمور المالية، أو بالولاية على الوقف، بل هي ناظرة لمقام الإمامة.. لأن السؤال الذي وجه إلى الإمام الصادق «عليه السلام» كان عن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي، والحسن والحسين «عليهما السلام» في آن واحد..

ولو كان الأمر يختص بالأمور المالية والأوقاف، لكفى أن يوصى إلى

---

(١) راجع: جواهر الكلام ج٢٨ ص٤٠٣ و٤٠٤ والحدائق الناضرة ج٢ ص٥٦٥.

أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، ثم يكون علي «عليه السلام» هو الذي يوصي من بعده لمن شاء.

يضاف إلى ذلك: أن الرواية المتقدمة برقم [٢] عن الإمام الباقر «عليه السلام»، تقول: إنه «عليه السلام» أبطل إمامة محمد بن علي (ابن الحنفية) بنفس هذه الوصية النبوية لعلي والحسن والحسين «عليهم السلام» في آن واحد.. وبيَّن «عليه السلام»: أن علياً لا يملك إقصاء الحسنين، ونصب ولده، محمداً أو غيره، لأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نصبه ونصبهما جميعاً في آن واحد.

كما أن الحسن «عليه السلام» لا يستطيع إقصاء الحسين، لأنه سيحتج عليه بتنصيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهما معاً..

فالمعيار هو النص والوصية من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولم ينص الرسول «صلى الله عليه وآله» على غير علي والحسنين «عليهم السلام».

ثم ذكر الإمام الباقر «عليه السلام»: أنه بعد مضي الإمام الحسين، فإن آية: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾(١). تلزم كل إمام بالوصية إلى الإمام الذي بعده، وهو ابنه المباشر، وفق التسلسل، والسمات والصفات المحددة لهم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا ما قرره الإمام الباقر «عليه السلام» بقوله: «هي فينا وفي أبنائنا».

اشتراط الخمس سنين؟!:

بقي أن نشير إلى أن السؤال الذي يحتاج إلى جواب هو عن سبب اشتراط

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

بلوغ الخمس سنين لمن يوصى إليه، مع أنه لا يشترط ذلك، لا في النبي، ولا في الإمام، فإن عيسى «عليه السلام» أخبر عن نفسه بأنه نبي منذ الأيام الأولى من ولادته، فقد قال للناس: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾[1].

ونجيب:

إن الرواية التي ذكرت السنوات الخمس، إنما كانت تتحدث عن نظرة الناس إلى هذا الأمر، فإنهم يتعاملون مع صغير السن على أنه طفل، لا يعرف الصالح من الطالح، وله إدراك محدود، وقدرات ضعيفة، ولاسيما إذا كان عمره سنة أو سنتين.

ولكن الأمر بالنسبة للحسن والحسين قد تغيَّر بعد نزول الآيات في حقهما، وظهور عظيم فضلهما، ورجاحة عقلهما، وصوابية تفكيرهما. وقد شاركا في قضية المباهلة، وبايعا النبي «صلى الله عليه وآله» في بيعة الرضوان، وشهدا على كتاب ثقيف، وكان حكمهما حكم النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي وفاطمة «عليهما السلام» في موضوع سد الأبواب الشارعة في المسجد، وقد أظهر الله لهما من الكرامات والفضائل ما أزال أي شك أو شبهة في أمرهما، حتى إن الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، قد أعلن إمامتهما للأمة، مع صغر سنهما، فهما إمامان منذ ولدا، قاما أو قعدا.

حديث ختم الإمامة:

روى الكليني «رحمه الله» حديثاً ملخصه: أن أم أسلم التي كانت قد

---

(١) الآية ٣٠ و٣١ من سورة مريم.

قرأت كتب الأمم السالفة، وفيها: أن لكل نبي وصياً، جاءت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وسألته عن وصيه من هو؟!

فقال لها: «من فعل فعلي هذا فهو وصيي»..

ثم ضرب بيده إلى حصاة من الأرض، ففركها بأصبعه، فجعلها شبه الدقيق، ثم عجنها، ثم طبعها بخاتمه، ثم قال: من فعل فعلي هذا، فهو وصيي في حياتي وبعد مماتي.

قالت: فخرجتُ من عنده، فأتيتُ أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنت وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: نعم يا أم أسلم. ثم ضرب بيده إلى حصاة، ففركها، فجعلها كهيئة الدقيق. ثم عجنها، وختمها بخاتمه. ثم قال: يا أم أسلم، من فعل فعلي هذا فهو وصيي.

فأتيتُ الحسن «عليه السلام» وهو غلام، فقلت له: يا سيدي أنت وصي أبيك؟!

فقال: نعم يا أم أسلم، وضرب بيده وأخذ حصاة، ففعل بها كفعلهما.

فخرجتُ من عنده، فأتيتُ الحسين «عليه السلام» ـ وإني لمستصغرة لسنه ـ فقلت له: بأبي أنت وأمي، أنت وصي أخيك؟!

فقال: نعم يا أم أسلم، ايتيني بحصاة، ثم فعل كفعلهم.

فعُمِّرت أم أسلم حتى لحقت بعلي بن الحسين بعد قتل الحسين «عليه السلام» في منصرفه، فسألته: أنت وصي أبيك؟!

فقال: نعم، ثم فعل كفعلهم «صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

وقد روي نفس هذا المضمون مع بعض الإضافات والاختلافات، وفي نص آخر، لكنهم قالوا: إن القضية كانت مع أم سليم، وذكروا: أنها امرأة من النمر بن قاسط، وليست أم سليم الأنصارية، ولا أم سليم الدوسية، ولا الثقفية، ولا أم سليم الخافضة، التي كانت تخفض الجواري في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢].

وهذه القضية رواها غير الشيعة أيضاً، لكن النص المرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام» فيها جاء هكذا:

«فخرجت من عنده، فلقيت الحسين «عليه السلام»، وكنت عرفت نعته من الكتب السالفة بصفته، وتسعة من ولده أوصياء بصفاتهم، غير أني أنكرت حليته لصغر سنه.

فدنوت منه، وهو على كسرة رحبة المسجد، فقلت له: من أنت يا سيدي؟!

قال: أنا طلبتك يا أم سليم. أنا وصي الأوصياء، وأنا أبو التسعة الأئمة

---

(١) الكافي ج١ ص٣٥٥ و ٣٥٦ وإثبات الهداة ج٢ ص٤٠٣ ومدينة المعاجز ج٤ ص٣٠٧ ـ ٣٠٨ وج١ ص٥١٦ ـ ٥١٨ وج٣ ص٢٥٠ ـ ٢٥١ و ٤٦٧ ـ ٤٦٨ وينابيع المعاجز ص١٧٥ و ١٧٦ ومرآة العقول ج٤ ص١٠٥ و ١٠٦ والوافي ج٢ ص١٤٦ و ١٤٧ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٩ ص٣٨٧.

(٢) مقتضب الأثر ص٣٠٧ ـ ٣١٢ و (المكتبة العلمية ـ قم) ص٢٠ و ٢١ وإثبات الهداة ج٢ ص٥٨٦ و ٥٨٧ وبحار الأنوار ج٢٥ ص١٨٥ ـ ١٩٠ وأسرار الشهادة ص١٧٠ والثاقب في المناقب ص٥٦٢ و ٥٦٣ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٩ ص٣٨٨ ـ ٣٩٢.

الهادية. أنا وصي أخي الحسن. وأخي وصي أبي علي. وعلي وصي جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فعجبت من قوله، فقلت: ما علامة ذلك؟!

فقال: ايتيني بحصاة.

فرفعت إليه حصاة من الأرض.

قالت أم سليم: لقد نظرت إليه وقد وضعها بين كفيه، فجعلها كهيئة السحيق من الدقيق. ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء، فختمها بخاتمه. فثبت النقش فيها، ثم دفعها إليَّ وقال لي: انظري فيها يا أم سليم، فهل ترين فيها شيئاً؟!

قالت أم سليم: فنظرت، فإذا فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي، والحسن والحسين، وتسعة أئمة «صلوات الله عليهم» أوصياء من ولد الحسين «عليهم السلام»، قد تواطأت أسماؤهم إلا اثنين منهم: أحدهما جعفر، والآخر موسى. وهكذا قرأت في الإنجيل.

فعجبت، ثم قلت في نفسي: قد أعطاني الله الدلائل، ولم يعطها من كان قبلي، فقلت: يا سيدي، أعد عليَّ علامة أخرى!

قالت: فتبسم، وهو قاعد، ثم قام، فمد يده اليمنى إلى السماء، فوالله، لكأنها عمود من نار تخرق الهواء، حتى توارى عن عيني. وهو قائم، لا يعبأ بذلك، ولا يتحفّز، فأسقطت وصعقت، فما أفقت إلا به.

ورأيت في يده طاقة من آس، يضرب بها منخري، فقلت في نفسي: ماذا أقول له بعد هذا؟!

وقمت وأنا ـ والله ـ أَجِدُ إلى ساعتي رائحة هذه الطاقة من الآس.. وهي ـ والله ـ عندي، لم تذو، ولم تذبل، ولا تنقص من ريحها شيء، وأوصيت أهلي أن يضعوها في كفني.

فقلت: يا سيدي، من وصيك؟!

فقال: من فعل مثل فعلي. الخ..»(١).

ونقول:

النصوص على علي بالإمامة:

هناك المئات من النصوص التي تؤكد على إمامة وخلافة علي وأبنائه الأحد عشر من بعده وبعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن مئات وآلاف النصوص الدالة على مآثر أبي الأئمة، وفضله ومقامه عند الله سبحانه. وقد أخذ له النبي «صلى الله عليه وآله» البيعة له من عشرات الألوف في يوم غدير خم، قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً.

فلعل أم أسلم، أو أم سليم كانت تعيش في منطقة بعيدة، ولم تسمع الشيء الكثير من هذه النصوص والمواقف، فجاءت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وسألته عن وصيه.

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٩ ص٣٨٩ و ٣٩٠ عن مقتضب الأثر ص٣٠٨ ـ ٣١٢ و (المكتبة العلمية ـ قم) ص١٨ ـ ٢١ وإثبات الهداة ج٢ ص٥٨٦ و ٥٨٧ وبحار الأنوار ج٢٥ ص١٨٥ ـ ١٩٠ وأسرار الشهادة ص١٧٠ والثاقب في المناقب ص٥٦٢ و ٥٦٣.

طرق إثبات الإمامة:

١ ـ إن الأدلة على الإمامة متعددة، فقد يكون الدليل هو النص من الله، أو من النبي، أو الإمام.

وقد يكون الدليل هو المعجزة التي لا تكون إلا من نبي أو وصي.

والمعجزة قد تكون فعلاً، كابراء الاكمه والأبرص، واحياء الموتى، وتسبيح الحصى بيده، وإلانة الحديد أو غيره له، وما إلى ذلك..

وقد تكون هي الإخبار بالغائبات التي لا سبيل للبشر إلى معرفتها، مما يعني: أن لدى هذا الشخص العلم الخاص الذي لا يُعْطى إلا لنبي أو وصي، كالإخبار بساعة موت شخص، أو إخبار الناس بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم، ونحو ذلك..

٢ ـ يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله»: حين سألته أم أسلم عن وصيه، لم يقل لها: فلان وصيي، لأنه لو اكتفى بذلك، فقد تثار الشبهات حول المراد من كلامه، وربما حاولوا تأويله، أو التصرف فيه، وربما اتهموا ناقله في عقله، أو في صدقه، أو في نواياه، أو ادِّعاء البداء بعد ذلك، أو الزعم بأن الأمور قد تغيرت، وما إلى ذلك.

من أجل ذلك أعطاها «صلى الله عليه وآله» علامة تستدعي صنع المعجزة التي يراها الناس بصورة حية ومباشرة، الأمر الذي لا يدع للانكار مجالاً مقبولاً ومعقولاً، إلا إذا كان جحوداً فاضحاً ومخزياً لمن يلجأ إليه.

٣ ـ ويلاحظ: أن أم أسلم قد امتحنت تلك العلامة الإعجازية في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خلال عرضها على علي وولديه الحسن

والحسين «عليهم السلام»، كما دل عليه قولها: إنها أتت الحسن، وهو غلام، وأتت الحسين «عليه السلام» وهي مستصغرة لسنه.

وقد صنع الجميع: علي والحسن والحسين «عليهم السلام» كما صنع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٤ ـ وهذا يدل على قيام معنى الإمامة في كل واحد منهم، ولديهم ـ بالفعل ـ خصوصياتها، وملكاتها، وقد رأتها منذ ذلك الحين، ولكن تصدي كل واحد منهم بصورة فعلية ومباشرة هو الذي يكون مرهوناً بوفاة الإمام الذي قبله.. لا أنها سوف تحصل لهم بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» عند حضور وقت بلوغ الإمامة لكل واحد منهم إلى مرحلة الفعلية.

معجزة الحسين المزدوجة:

١ ـ إن أم أسلم، وإن كانت قد اطلعت على بعض كتب الأمم السالفة، وعرفت أن لكل نبي وصياً، وعرفت صفته، ولكنها في مقام التطبيق في بعض الموارد لم تستطع تطبيق النعت على المنعوت، والصفة على الموصوف إلا بمساعدة اقتضت اظهار معجزة اخرى، تؤكد مضمون ودلالة العلامة التي حصلت عليها من قبل النبي «صلى الله عليه وآله».

فقد عرفت نعت الحسين من كتب المتقدمين، ولكنها انكرت صغر سنه، فكان أن بادر الحسين نفسه لاخراجها من حيرتها حين سألته من أنت يا سيدي؟!

فأجابها بقوله: أنا طلبتك يا أم سليم (أو أسلم)، أنا وصي الأوصياء، أنا أبو التسعة.

فأعلمها: أنه يعلم بالذي تبحث عنه، وبيَّنه لها بتفاصيله التي أزالت كل شك وريب، ولكنها لم تتراجع عن طلب الإثبات، لأنها تريد أن تمنع المصطادين بالماء العكر من التشويش على الحق والحقيقة بادعاء: إن من الممكن أن يكون الحسين «عليه السلام» قد سمع بأمرها، وعرف أنها تبحث عن الوصي بعد الإمام الحسن «عليه السلام»، فقال ما قال.. ولم يحصل التأكد من صحة قوله.

فطلبت منه أن يطبع اسمه على الحصاة بصورة بارزة، كما فعل أبوه وأخوه قبله، فكان لها ما أرادت.

٢ ـ اللافت هنا: أنه «عليه السلام» لم يبادر إلى أخذ حصات من الأرض بنفسه، ليحفر اسمه عليها، ربما لئلا يتوهم متوهم، أو يشكك شانئ، بإثارة احتمال أن يكون الحسين «عليه السلام» قد أعد هذه الحصاة وهيأها للأمر الذي أراده منها مسبقاً..

ولذلك طلب من أم أسلم أو أم سليم نفسها، أن تختار هي أي حصاة شاءت، وتأتيه بها فأخذها منها، وجعلها بين كفيه، فجعلها كهيئة السحيق من الدقيق، ثم عجنها. فجعلها ياقوتة حمراء، فختمها بخاتمه، فثبت النقش فيها.

٣ ـ إن تحويل الحصاة إلى ياقوتة حمراء هو الآخر معجزة أخرى حاسمة تهدف إلى إبطال وسوسات شياطين الجن والأنس، إن ادَّعوا: أن الصدفة هي التي أوصلت إلى هذه الحصاة الرخوة، أو أنه كان قد اتفق مع أم أسلم على اختيار هذه الحصاة بالذات.

فجاء تحول الحصاة إلى ياقوتة حمراء، ثم ثبت النقش فيها، فكان ذلك

حجة دامغة لا مناص عنها، ولا محيص منها.

٤ ـ وربما كانت حمرة الياقوت ترمز إلى المناسبة بين هذا الوصف، وبين حمرة دمه «عليه السلام» الذي سوف يسفكه المجرمون في كربلاء.

٥ ـ ثم كانت الدلالة الأعظم والأفخم أنه «عليه السلام» حين أراد أن يعيد الحصاة إليها قال لها: «انظري فيها يا أم سليم، هل ترين فيها شيئاً؟!»

فإنه «عليه السلام» ـ بلا شك ـ كان عارفاً بما فيها، ولكنه أراد أن يثير رغبتها بالنظر إليها لتكتشف على الفور دلالة أخرى ليس على إمامة الحسين «عليه السلام» وحسب، وإنما على إمامة الأئمة التسعة من ولده، حيث رأت فيها اسماء النبي والأئمة الاثني عشر التي جاءت مطابقة لما كانت قرأته في الأنجيل..

٦ ـ إن الإنجيل المتداول ليس فيه هذه الأسماء، فهل كان الإنجيل الصحيح المنزل على عيسى متداولاً في عهد النبي؟!

قد يقال: إن هذا هو الحل، وأنه كان في زمن النبي إنجيل حقيقي يحاول المعنيون إخفاءه، وإبعاده عن التداول، وانجيل آخر كتبه الناس ليكون تاريخاً لعيسى ـ كما هو الحال من كتب السيرة النبوية، فجاءت أناجيل هؤلاء، متوافقة مع أغراض كتَّابها، وميولهم، واعتقاداتهم وما يريدون تسويقه بين الناس.

ولنا حول الإنجيل المتداول بحث مطبوع باسم: «أين الانجيل»، فليراجعه من أراد.

٧ ـ وآخر ما أتحف الإمام الحسين «عليه السلام» به تلك المرأة علامة

أخرى طلبتها هي منه، فمدَّ يده إلى جهة السماء، فرأتها كأنها عمود من نار، تخترق الهواء، حتى توارت عن عينها، فأغمي عليها.

فأيقظها «عليه السلام» بمعجزة أخرى لها تتمثل بطاقة من آس بقيت تجد رائحتها إلى أن توفيت، وأوصت إلى أهلها أن يضعوها في كفنها.

تسبيح الحصى:

روي في حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» دفع الحصى إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، فسبحت في أيديهما. ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحصى لا يسبحن إلا في يدي نبي، أو وصي نبي. والحسن والحسين من عترتي، وأوصيائي، وخلفائي[1].

وعن زيد بن أرقم، قال: سبع حصيات سبحن في كف رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فوضعها في يد الحسن بن علي «عليه السلام»، فسبحن، كما سبحن في كفه.

ثم وضعها في كف الحسين «عليه السلام»، فسبحن في كفه.

وكل من حضر من الصحابة أخذ الحصيات، ولم يسبحن في أيديهم.

فسئل «عليه السلام» عن ذلك، فقال: الحصى لا يسبحن إلا في كف نبي، أو وصي نبي. الحديث[2].

---

(١) إثبات الهداة ج٢ ص٥٥٢ عن كتاب تحفة الطالب للشيخ محمد بن علي العاملي الشامي، نقلاً عن كتاب المصابيح، من كتب العامة.

(٢) إثبات الهداة ج٢ ص٥٦٠ عن كتاب تحفة الطالب للشيخ محمد بن علي العاملي

ونقول:

التفريق بين المحق والمبطل:

١ ـ حين يريد أهل الباطل اثارة الشكوك في نصوص الإمامة: إما بتحريف النص، أو تضييع معناه بالتأويلات السقيمة، والاحتمالات الموهومة والعقيمة، أو إنكار صدوره، أو ادِّعاء نصوص أخرى مبطلة له، أو مخرجة له عن معناه، فإن ذلك ليس فقط يُضَيِّع الحق، أو يصعِّب الوصول إليه، بل هو قد يثير الفتنة والتدابر والاختلاف والعداوات، ويضعف التماسك الاجتماعي.

وقد يحاول الطامعون، والطامحون إثارة العصبيات، وتحريك النوازع النفسية، وشراء الضمائر، وما إلى ذلك..

ويفسح المجال أمام الأعداء لتغذية هذه الأجواء، وخلط الصحيح بالسقيم، والحق بالباطل، والإمعان في الابتعاد عن الصواب.

من أجل ذلك نرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقدم للناس معياراً يلجأون إليه، ويعتمدون عليه. وهو أن الحصى تسبِّح في يد النبي والوصي، ولا تسبح في يد غيره.. ثم أثبت صحة ذلك بالتجربة والمعاينة المباشرة، فإن الحصيات السبع سبحن في يد النبي، ثم في يد الحسن، ثم في يد الحسين.

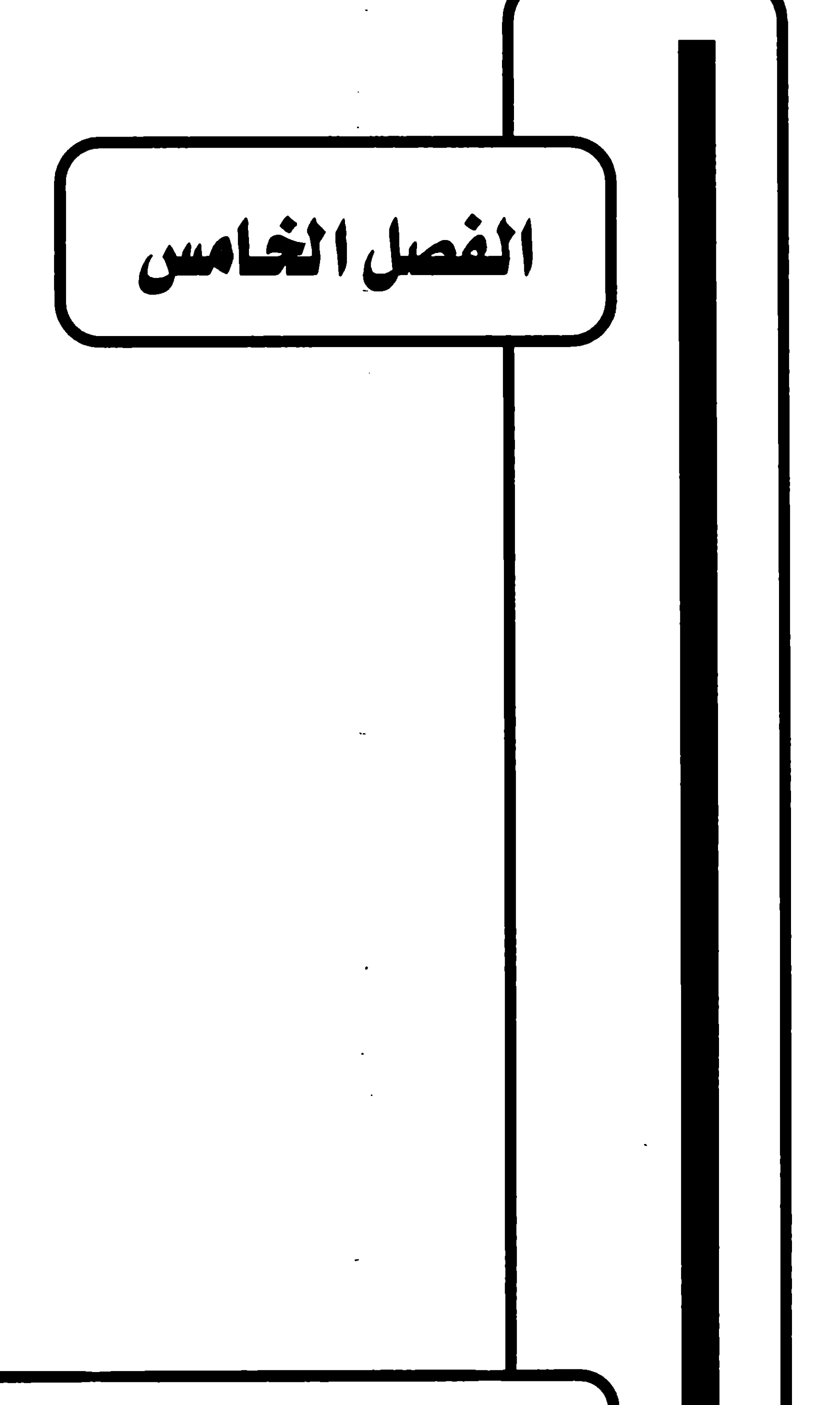
ولكنها لم تسبح في يد أحد من الصحابة الذين حضروا ذلك المجلس، مع أن الجميع قد أخذوا الحصيات في أيديهم، يحدو كل واحد منهم أمل بالفوز، والفلاح غي هذا الأمر.

الشامي، نقلاً عن كتاب المصابيح، من كتب العامة.

وهذا الذي جرى قد كشف المحق من المبطل، والكاذب من الصادق.

وهذا معيار يغري الطامعين والطامحين بتجربة خطهم، ويغري الآخرين بالرصد الدقيق، والانتباه لما يجري، وحفظ نتائج الإمتحان..

كما أن التمرد على نتائجه يثير الخوف، ويدعو إلى الرهبة من عواقب ذلك حتى لدى المتمرد، بسبب شعوره: بأن الله تعالى هو الذي يرعى هذا الأمر، وربما أوجب التصدي له ضرراً وخطراً لا خلاص منه.



الفصل الخامس

ورثهما يا رسول الله..



ورّثهما يا رسول الله:

١ ـ الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن الزبير بن أبي بكر، عن إبراهيم بن حمزة الزبيري، عن إبراهيم بن علي الرافعي، عن أبيه، عن جدته بنت أبي رافع [عن أمها] قالت:

أتت فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بابنيها الحسن والحسين «عليهما السلام» إلى رسول الله في شكواه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك، فورثهما شيئاً.

[وفي نص آخر: انحل ابني هذين يا رسول الله[١].

أو: يا رسول الله، هذان ابناك فانحلهما][٢].

فقال: أما الحسن، فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين، فإن له جرأتي وجودي [سخائي][٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٩.

(٢) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٤.

(٣) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٣

زاد في نص آخر: أن فاطمة قالت: رضيت يا رسول الله، فلذلك كان الحسن حليماً مهيباً، والحسين نجداً جواداً[١].

وسند الخصال هكذا: الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن محمد بن علي، عن عبد الله بن الحسن بن محمد، وحسين بن علي بن عبد الله بن أبي رافع، عن شيخ من الأنصار، يرفعه إلى زينب بنت ابن أبي رافع، عن أمها[٢].

عنه، وروضة الواعظين ص١٥٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٥ عن كتاب السؤدد، عن سفيان بن سليم، وعن الإبانة عن العكبري بالإسناد إلى زينب بنت رافع، والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٤٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٨٤ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٧٠ والمعجم الأوسط ج٦ ص٢٢٢ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤٢٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٧ ص٢٦٨ وج١٢ ص١١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وأسد الغابة ج٥ ص٤٦٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٠ والإصابة ج٨ ص١٥٨ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٩٩ وعن الإرشاد للمفيد ص١٦٩ وإعلام الورى ص٢١٠ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٤١٢ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٢٣ وكشف الغمة ج٢ ص١٣٩ ونفس الرحمن ص٢٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٠٨ و ٧٠٩ وج١٨ ص٥٤٥ و ٥٤٦ وج٢٥ ص٥٠٥ وج٢٦ ص٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ وج٢٧ ص٦٠ وج٣٣ ص٥٩٢ .

(١) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٩ وشرح الأخبار ج٣ ص١٠٠ و ١٠١.

(٢) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣

٢ ـ الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن محمد بن جعفر، عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سليمان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: أما الحسن فأنحله الهيبة والحلم، وأما الحسين فأنحله الجود والرحمة(١).

ونقول:

هل يورث الأنبياء؟!:

بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» منع أبو بكر الزهراء «عليها السلام» من إرثها من أبيها، وقال: إنه سمع النبي «صلى الله عليه وآله»، يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة(٢).

ص٢٦٣ عنه.

(١) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ و ٧٨ وقرب الإسناد ص١١٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٣ و ٢٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠١ ونفس الرحمن ص٢٩٩.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص٢١٠ وج٥ ص٨٢ و ١٥٣ ومسند أحمد ج١ ص٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٠٠ وج٧ ص٦٥ وج١٠ ص١٤٣ وج١٧ ص٢٥٧ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٧٦ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٥ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٦٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص١٩٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٥٣ وج١٤ ص٥٧٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٨ ص١٥٢ والإكمال في أسماء الرجال ص١٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣١٥ وكنز العمال ج٥ ص٦٠٤ وتركة النبي «صلى الله عليه وآله» لحماد بن زيد البغدادي ص٨٢ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٢٢ والسقيفة وفدك للجوهري

مع أن القرآن تحدث في أكثر من آية عن إرث الأنبياء، مثل قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُود﴾(١).

وقال على لسان زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٢).

فهل يمكن أن يقال: إن حديث طلب الزهراء من النبي توريث ولديها مفتعل للإيحاء بصحة حديث أبي بكر؟! لأن نتيجته هي: أنه «صلى الله عليه وآله» ورَّث ابنيها معنوياً، ولم يذكر إرث المال بشيء.

ونجيب بما يلي:

أولاً: إن الزهراء «عليها السلام» كانت تعلم: أن الحسنين «عليهما السلام» لا يرثان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مالاً ولا عقاراً، مع وجود أمهما، لأن البنت تحجب أبناءها عن الإرث من أبيها.

فيكون ما فعلته الزهراء «عليها السلام» ليس ناظراً إلى إرث المال، بل كان مطلوبها الإرث المعنوي الذي يميِّز ولديها عن سائر الناس، ويرسخ

ص١٠٧ والعمدة لابن البطريق ص٣٩٠ و ٣٩١ والطرائف لابن طاووس ص٢٥٨ و ٢٥٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٢٢ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١١١ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤١٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٤٠ وشرح أصول الكافي ج٧ ص٤٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٥ ص٥٣٥ وج٣٣ ص٣٥٦.

(١) الآية ١٦ من سورة النمل.

(٢) الآية ٥ و٦ من سورة مريم.

معنى الإمامة في وجدان الناس لهما «عليهما السلام».

وربما كان المطلوب: أن يكشف النبي «صلى الله عليه وآله» عن ميزاتهما في العلم، والفضل، والتقوى، والعقل، والدين والإيمان، والحكمة، وسائر ميزاتهما وصفاتهما.

ولأجل ذلك لم يقل لها النبي: إن السبط لا يرث، مع وجود الطبقة السابقة عليه، لأنه يعلم أنها «عليها السلام» لا تجهل هذا الأمر..

كما أنها «عليها السلام» لم تعترض على جوابه لها، ولم تقل له: إنها تقصد توريثهما من المال..

بل قال لها ـ من خلال تصرفه ـ: إنه يورثهما من الأمور المعنوية، ويدل الناس على ما لديهما من ميزات ومؤهلات لأسمى المقامات..

ثانياً: إن ما ذكرناه آنفاً يعطي أيضاً: أنها «عليها السلام» لم تطلب من النبي أن يورث ولديها سمات وصفات، لأن هذه الأمور لا تقبل التوريث بمعناه المتداول الذي يستبطن معنى الانتقال بقرار من المورِّث، لأن الصفات والسماء من الأمور التكوينية، وليست خاضعة للاعتبار والجعل، مثل الملكية، والرقية، والزوجية، والحرية.

ثالثاً: تقدم: أن بعض نصوص هذا الحديث لم تتحدث عن إرث، بل تحدثت عن نحلة، وهي العطية بلا مقابل.. وقد نحل النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن «عليه السلام» صفات: «الهيبة، والسؤدد، والحلم».

ونحل الحسين «عليه السلام»: «الشجاعة والجود، والنجدة والرحمة».

وذلك من خلال تربيته لهما، وتنشئتهما على الخلق الكريم، والفضل

العميم، والخير والبركات، وحميد الصفات، ثم ما أتحفهما به من علوم ومعارف، وما إلى ذلك.

سبب التمايز في الصفات:

ذكرت الروايات المتقدمة: أن الصفات التي منحها النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن «عليه السلام» تختلف عن تلك التي منحها للحسين «صلوات الله وسلامه عليه»..

فلماذا كان هذا الاختلاف؟!

وهل كان الآخر فاقداً للصفات التي منحت لأخيه؟!

وهل يمكن أن يكون ما أشار إليه في إحدى الروايات: «فلذلك كان الحسن حليماً مهيباً، والحسين نجداً..»؟! هو هذه الواجدية والفاقدية؟!

ونجيب:

بأن جميع صفات الخير والفضل موجودة لدى الحسن والحسين بدون فرق بينهما، ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» يريد أن يكشف للأمة عن أن الظروف، ومسار الأحداث سوف يفرض تجلي بعض الصفات في الإمام الحسن بصورة أتم، وأظهر، وأبين من تجلياتها في أخيه الذي سوف تختلف الظروف ومقتضياتها معه..

كما أن الظروف، ومسار الأحداث سوف يستثير صفات أخرى كامنة في عمق وجود الإمام الحسين لتعبر عن نفسها، وتعلن وجودها أكثر من سائر الصفات.

ويجب أن يعدّ هذا من أعلام النبوة أيضاً، لأنه ينتهي إلى إظهار أمور

غيبية سوف تحدث في المستقبل، وتتسبب في بروز هذه الصفات لدى الإمام الحسن «عليه السلام»، وبروز تلك لدى الإمام الحسين «عليه السلام».. فهو من قبيل الإخبار عن السبب، وهو تلك الأمور التي فرضت تعاملاً خاصاً له ارتباط بصفات بعينها، كامنة في عمق وجود هذا أو ذاك، فمثلاً:

١ ـ لقد فرضت الظروف التي نشأت بعد استشهاد أمير المؤمنين، وتخاذل الناس عن حرب معاوية، وخيانة بعض القادة، والالتحاق به مع شطر كبير من جيشه، مقابل حفنة من المال.. واضطرار الإمام الحسن «عليه السلام» إلى اعتماد تدبير يحفظ المخلصين والمستضعفين من شيعته، فرضي بالتخلي عن خيار الحرب مقابل شروط فرضها أظهرت بطلان كل دعاوى معاوية، ومن معه، وعرَّتهم، ووفضحتهم.. ولولا ذلك منه «عليه السلام»، لأبيد الشيعة المخلصون، وأهل البيت الطاهرون، وحلَّت الكارثة، وذهبت سدى جميع جهود الأنبياء، وتضحيات الشهداء الأبرار، وجهاد وجهود الأخيار..

ولكن الكثيرين من شيعته «عليه السلام» ومن غيرهم ممن عاشوا في عصره، ومن الذين جاؤا بعده، وإلى يومنا هذا لم يدركوا وجه الحكمة فيما أقدم عليه فانزعجوا من هذا الصلح، واطلقوا ألسنتهم فيه، بالنقد والاعتراض، وربما تجرأ بعضهم على الإمام الحسن «عليه السلام» بسبب ذلك..

ولعل بعض من في قلوبهم مرض، اتخذوا منه مبرراً للظهور على حقيقتهم والبوح بما في نفوسهم.

مع أن هذا الصلح مع معاوية، كان أعظم نصر للمؤمنين، وأعظم خيبة وفشل لمعاوية وتضييع لأهدافه الشريرة، حيث سلبه الذريعة لارتكاب جريمته

في محق الدين، وإبادة حماته وأهله، وإبطال جهود الأنبياء، والصالحين، وحرمان الأمة إلى يوم القيامة من كل خير وصلاح، ونجاح وفلاح.

فاحتاج «عليه السلام» إلى الكثير من الحلم، والصبر، والتحمُّل لما يظهرونه من سوء تصرف، ووعورة أخلاق، وموقفه هذا يتناسب كثيراً مع قول الشاعر:

أريد حياته[1] ويريد قتلي — عذيرك من خليلك من مراد

٢ ـ المثال الآخر: أن بني أمية من خلال معاوية وفريقه كانوا يسعون لاستضعاف الناس، واجتذابهم إليهم من خلال التباهي بالقوة والشوكة، وإظهار أبهة الملك، وهيبة السلطان، والسعي لتهوين أمر بني هاشم، خصوصاً آل علي «عليهم السلام»، وعزلهم عن الناس، والاستخفاف بهم.. فاقتضى الأمر اظهار الإمام الحسن «عليه السلام» للهيبة، والسؤدد والقوة، لكي يتماسك الناس مقابل اغراءات معاوية، وتباهيه بالسلطة، وافتخاره بالمال والمقام.

٣ ـ وبعد أن ظهر بغي بني أمية، وسعيهم الخبيث لطمس معالم الحق والدين، وامعنوا في انتهاك الحرمات، واتباع الشهوات، والاستطالة على الناس بالبغي والعدوان، والعنجهية الظالمة.. كان لا بد من إظهار معنى الشجاعة، وأن يتجلى معنى النجدة، ونصرة المظلوم، والانتصار للحق وأهله، ورفع الصوت عالياً في وجه الطغاة.. مع استبسال وتضحية وفداء، وبذل للغالي والنفيس.

وهذا ما أظهره الإمام الحسين «عليه السلام»، وصدّق ما كان رسول

---

(١) أو حباءه.

الله «صلى الله عليه وآله» بصريح العبارة تارة، وبالإلماح والإشارة أخرى ،كما هو الحال في هذا النص الذي نتحدث عنه.

٤ ـ وحين استأثر بنو أمية بالأموال، والمناصب، والمقامات، وجعلوها وسيلة لشراء الضمائر، ورشوات للتخلي عن الدين والحق، والإيمان، وأداة لإخضاع وإذلال أهل الحاجة كان لا بد أن تتجلى في الإمام الحسين صفة الجود والكرم، والبذل.

٥ ـ ثم تجلت صفة الرحمة فيه «عليه السلام»، ليحتضن كل عاجز، ومريض، وكل من يعاني من مكاره الدهر، ويقاسي الآلام، ويتجرع المرارات.

الحسنان عليهما السلام عند النبي صلى الله عليه وآله في مرض موته:

١ ـ قالوا: «ودعا النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن والحسين قرب موته، فقربهما وشمهما، وجعل يرشفهما، وعيناه تهملان»[١].

٢ ـ وقالوا أيضاً: إنه حين أغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرض موته جاء الحسن والحسين «عليهما السلام» يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأراد علي «عليه السلام» أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: يا علي، دعهما، أشمهما ويشماني، وأتزود منهما ويتزودان

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٣٣ وج٤٣ ص٣٨١ والمحجة البيضاء ج٨ ص٢٧٨ وكشف الغمة ج١ ص١٨.

مني[١].

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، نذكر منها ما يلي:

علاقة النبي صلى الله عليه وآله بالحسنين عليهما السلام:

هناك نصوص كثيرة تتحدث عن حب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن والحسين «عليهما السلام»، وهذه النصوص منها..

وبالنسبة للنص الأول نقول:

قد يرى البعض: أن عوامل هذا الحب للحسنين «عليهما السلام» متعددة، نذكر منها:

١ ـ إنهما سبطا رسول الله، وللجد علاقة بأسباطه وحب لهما. وليس ثمة ما يدعو إلى التخلي عن عاطفة القرابة هذه.

٢ ـ هما أيضاً طفلان صغيران، وللطفولة وحركاتها جاذبية خاصة، واستلطاف وإعجاب.

٣ ـ إن هذه اللحظة ـ هي اللحظة الحرجة، حيث يشرف النبي «صلى الله عليه وآله» على الموت ـ لحظة صعبة، لأنها لحظة فراق للأحبة، فمن الطبيعي أن تكون المشاعر ملتهبة، والعاطفة جياشة..

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٣ و ٢٩٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٢١ و ٥٢٢ والأمالي للصدوق ص٧٣٦.

ونضيف:

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان يشعر بأن ثمة من لا يحب أهل بيته، بل يبغضهم ويبغي لهم الغوائل، ويحيك المكائد، وينصب لهم المصائد. وهذا ينذر بتعرضهم لمتاعب ومصاعب وآلام، ومصائب، وربما أكثر من ذلك.

ويؤكد هذا المعنى: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يزل يخبر بأن الحسن «عليه السلام» سوف يقتل بالسم، وأن الحسين «عليه السلام» سوف يستشهد بالسيف هو وأهل بيته وأصحابه في كربلاء.

٥ ـ إن هذين الطفلين وجدهما وأبواهما أفضل مخلوقات الله تعالى، وكان «صلى الله عليه وآله» يعلم: أنهما سوف تنزل بهم المصائب والبلايا، من دون ذنب اقترفوه ـ لا مع قاتليهم، ولا مع غيرهم ـ سوى أنهم يريدون لكل البشر الخير، والسعادة في الدنيا، والفلاح والفوز في الآخرة.. على أن يتم ذلك، بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن دون أي إكراه لأحد، أو عدوان على أحد، كما أنهم يريدون حفظ الشريعة، وظهور الحق والعدل..

٦ ـ وقد أظهر هذا البكاء الشديد من رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن جذوة حبه لهما لم تخب، ولم تَزُل، بل زادت توقداً وتوهجاً، فليس لأحد أن يبدي حتى احتمال أن يحصل أمر قد يعكر صفوة هذه العلاقة.

وبذلك يظهر: أن أدنى شيء يسيء لهما، أو ينقص من مقامهما سيكون مناقضاً لكل أحوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» معهما..

بل يجوز لنا أن نقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يبكي هذا

البكاء الشديد، ولا يظهر هذا الحنان العارم بمن يمكن أن يعصيه، ولا يرضيه، أو يمكن أن يرتكب أية مخالفة في جميع أدوار حياته من أولها إلى آخرها، فيكون هذا أيضاً من أدلة عصمتهما «عليهما السلام».

أشمهما ويشماني:

وقد تحدث النص الأول، عن أنه «صلى الله عليه وآله»: «شمَّهما، وجعل يرشفهما، وعيناه تهملان»..

وفي النص الثاني قال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «دعهما، أشمَّهما ويشمَّاني»..

ونستفيد من ذلك:

١ ـ أنه «صلى الله عليه وآله» يتحدث عن الحسنين «عليهما السلام» وعن نفسه بصورة متكافئة، فقال:

ألف: أشمهما ويشماني.

ب: أتزود منهما، ويتزودان مني..

مع أن عمرهما لا يزيد على ست وسبع سنوات، ولم يعاملهما كأطفال.

٢ ـ إن كلماته هذه تدل على أنهما «عليهما السلام» يستفيدان من شمهما لجدهما: نفس الآثار والخصائص التي يحصل عليها النبي «صلى الله عليه وآله» من شمِّه لهما «عليهما السلام».

ولو كانا مجرد طفلين لكان ينبغي أن يتحدث عن نفسه، لا عنهما، لأنه هو الذي يحصل على آثار شمِّه، دونهما.

٣ ـ ورد في الروايات الأخرى عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «هما

ريحانتاي من الدنيا»[١].

ومن المعلوم: أن الخصوصية المطلوبة في الريحان هي رائحته الذكية..

ويبدو لنا: أن ما يشمه النبي «صلى الله عليه وآله» فيهما هو ما ينتشر منهما من طيب الفعل، أو طيب الذكر، فيشعر «صلى الله عليه وآله» بآثار صفاتهما، وأخلاقهما، وطهر وصفاء ذاتهما، وجمال ميزاتهما، فيأنس بذلك، وتنتعش روحه، وتبتهج نفسه.

٤ ـ والحسنان أيضاً، يجدان في جدهما نفس ما يجده جدهما فيهما من جمال، وكمال، وخير، ومن صفات وسمات..

وهذا يدل على أن لديهما من الإدراك والفهم، والعلم، والعقل ما جعلهما يشعران نفس الشعور. ويستفيدان نفس الآثار، فتنتعش روحاهما بطيب أخلاقه، وأريج صفاته، وجمال سماته.

يتزود منهما، ويتزودان منه:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «وأتزود منهما، ويتزودان مني».

ومن المعلوم: أن التزود بالشيء هو أخذه والاحتفاظ به لوقت الحاجة في السفر.

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» على فراش الموت، وهو مسافر إلى

---

(١) راجع: نظم درر السمطين ص٢١٥ و ٢١٦ وسيرتنا وسنتنا ص٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦١٤ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٩٤٧ و ٩٤٨.

الآخرة، فمعنى تزوده: أنه يريد أن يحصل منهما على ما يستفيد منه بعد موته وسفره إلى ربه.. والحسنان أيضاً يتزودان من جدهما ما ينفعهما في الدنيا والآخرة.

ويبدو لنا: أن الزاد: هو ما يستفاد منه في غذاء، أو نماء، أو في بقاء، وفي حفظ.. فقد يراد تغذية البدن، أو الروح، أو إنعاش الوجدان والضمير، أو زيادة في العقل، والبصيرة في الأمور، ولأجل ذلك يقول تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[1].

وعن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» أنه قال: «تزودوا ـ رحمكم الله ـ فقد نودي فيكم بالرحيل الخ..». وهذا بعض من كلامه الذي كان ينادي به كل ليلة[2]. فالتقوى، والأعمال الصالحة هي زاد الإنسان إلى الآخرة.

كما أن بعض العبادات، والأعمال قد يكون لها أثر في التكوين النفسي، وفي التوفيقات، وفي تغذية ملكات الإنسان المؤمن كالصبر، أو تقوية الإيمان، وتكون زاداً ينشِّط حركة الإنسان المؤمن في طلب مرضاة الله، أو في خدمة عباده، أو يمنح شجاعة، أو غيرة أو صلابة في الدين، وما إلى ذلك.

فيكون شم الحسن والحسين لجدهما شماً لعبق النبوة، وأرج الرسالة، واستلهام للأخلاق والقيم، والنفحات الروحية، وهو يمنحهما سمواً، ويزيدهما تألقاً في سماء الكمال، ويزيدهما صفاءً في الفكر، وطهراً في الروح.

أما النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، فإنه حين يشم الحسنين «عليهما

---

(١) الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

(٢) راجع: مستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٤٧ وبحار الأنوار ج٧٠ ص١٠٦ عن الإرشاد.

السلام»، فإن ذلك يمنحه السكينة، والرضا، والطمأنينة إلى مستقبل هذا الدين، لأنه سوف يجد في شمه لهما عبق الطهر، والعلم، والتقوى، والخلوص، والحكمة، والشجاعة، والصلابة في الدفاع عن الحق وأهله، وغير ذلك..

كما أن إظهاره العناية بهما إلى هذا الحد، سيترك أثره على نظرة الناس إليهم، وسيزيد من احترامهم لهم، ويدلهم على قداستهم، وسيجعل عملهم ومواقفهم وأقوالهم أبعد أثراً، في دحر الباطل، وإنعاش الحق، وحفظ الدين.

وهذا عمل صالح له سوف يكافئه الله تعالى عليه، ويرفع من درجاته في الآخرة.

الإغماء ينافي الشاهدية:

وقد قالت الرواية المتقدمة: إنه حين أغمي على الرسول «صلى الله عليه وآله» في مرض موته جاء الحسن والحسين «عليهما السلام» الخ..

والسؤال هو: هل يجوز أن يغمى على النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الإمام؟!

فإن من الواضح: أن الإنسان يفقد الوعي والشعور في حالة الإغماء، وهذا ينافي ذلك مقام الشاهدية المنصوص عليه في القرآن، فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا** النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا **وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[١].

ونجيب:

أولاً: إن الإغماء كالنوم، والنبي ينام أيضاً، وهو شاهد على الخلق، ولا

---

(١) الآية ٤٥ و٤٦ من سورة الأحزاب.

ينافي نومه شاهديته.

ثانياً: دلت الروايات على أنه «صلى الله عليه وآله» تنام عينه، ولا ينام قلبه[١].

وقد رووا عنه «صلى الله عليه وآله»: أن الله جعل له «صلى الله عليه وآله» خمسة أرواح تنام أربعة منها، والخامسة هي التي حمل فيها النبوة. وهذا الروح لا ينام، ولا يغفل، ولا يلهو، ولا يسهو، ويرى به ما في شرق الأرض وغربها، وفي برها وبحرها[٢].

وفي حديث آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» كان نائماً في بستان، فجاءه أبو ذر فوجده نائماً، فأعظمه أن ينبهه، فتناول عسيباً يابساً، فكسره ليسمعه صوته، يستبرئ به نومه، ليعرف إن كان نائماً، أو مستيقظاً.

فسمعه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فرفع رأسه، فقال: يا أبا ذر، تخدعني؟! أما علمت أني أرى أعمالكم في منامي، كما أراها في يقظتي؟! إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي[٣].

وبذلك يعلم: أن الناس حين يرون أن النبي «صلى الله عليه وآله» ينام يتوهمون ـ كما توهم أبو ذر ـ أن نومه كنومهم.. وليس الأمر كذلك، كما صرحت به الروايتان المتقدمتان.

---

(١) بحار الأنوار ج٩ ص٦٦ و٢٨٦ و٣٠٧.

(٢) بحار الأنوار ج١٧ ص١٠٦ وبصائر الدرجات ص١٣٤ وعن الاختصاص والبخاري حديث الإسراء وتحفة الأحوزي.

(٣) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤١١ ورجال الكشي ص٢٩.

ثالثاً: هناك نصوص تدل على أن الأنبياء والأئمة يعرفون بالأمور، ونقرأ في زيارات الأئمة «عليهم السلام»: أشهد أنك ترى مقامي، وترد سلامي، وتسمع كلامي. فإذا كان الموت لا يحجبهم عن ذلك، فهل يحجبهم الإغماء عنه؟!

صياح وبكاء الحسنين عليهما السلام:

وقد تقدم: أن الحسنين «عليهما السلام» جاءا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» يصيحان ويبكيان.

ومن الواضح: أن حزنهما الشديد هذا لم يكن لمجرد، فقد الجد، والمربي، والعطوف، القريب والحبيب، وإنما هو لعظم الفاجعة، وهول المصيبة لفقدهما أباً، وفقد المخلوقات، وجميع الكائنات راعيها، وهاديها إلى الكمال والخير، والصلاح بأمر من الله تبارك وتعالى.

المناجاة في ليلة الحزن:

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم، عن أبيه «عليهما السلام» قال: لما كانت الليلة التي قبض النبي «صلى الله عليه وآله» في صبيحتها دعا علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، «عليهم السلام»، وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال: يا فاطمة، وأدناها منه، فناجاها من الليل طويلاً.

فلما طال ذلك خرج علي ومعه الحسن والحسين، وأقاموا بالباب ..

إلى أن تقول الرواية عن علي «عليه السلام»: «وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان قدميه، ويبكيان بأعلى أصواتهما»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٩٠ ـ ٤٩٢ عن الطرائف لابن طاووس ص٣٨ ـ ٤٤.

ونقول:

إن السؤال الذي يحتاج إلى جواب هنا هو: لماذا دعا النبي «صلى الله عليه وآله» علياً، وفاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام».. ولم يناج إلا فاطمة «صلوات الله وسلامه عليها» منهم؟!

وسؤال آخر يقول: هل هناك سر يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن لا يظهره أمام علي، والحسنين «عليهم السلام»؟!

فإن المناجاة هي أن يتحدث شخص إلى آخر دون أن يسمع الآخرون ما يدور بينهما.. فقد روي: أنه إذا كان ثلاثة، فلا يتناجى منهم اثنان دون صاحبهما. فإن ذلك مما يحزنه ويؤذيه[1].

وفي روايات أخرى: لا يتناجى اثنان دون الثالث، أو دون صاحبهما، (فإن ذلك مما يغمه)[2].

---

(١) الكافي ج٢ ص٦٦٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص١٠٥ و (الإسلامية) ج٨ ص٤٧٢ ومرآة العقول ج١٢ ص٥٦٢ ومشكاة الأنوار ص١٨٩ و ٣٣٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٩٩ وج٢ ص٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٦٩ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢٥٠.

(٢) الكافي ج٢ ص٦٦٠ وهداية الأمة ج٥ ص١٥٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص١٠٥ و (الإسلامية) ج٨ ص٤٧٢ وراجع: مستدرك الوسائل ج٨ ص٣٩٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٦٤ وغوالي اللآلي ج١ ص١٤٦ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٠٠ وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٣٢ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٤٦ وصحيح البخاري ج٧ ص١٤٢ وسنن الدارمي

وهنا يأتي السؤال الثالث الذي يقول: لماذا يؤذي النبي «صلى الله عليه

ج٢ ص٢٨٢ وصحيح مسلم ج٧ ص١٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٤١ وسنن الترمذي ج٤ ص٢٠٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٣٢ ومجمع الزوائد ج٤ ص٨١ وج٨ ص٦٣ وفتح الباري ج١١ ص٦٩ و ٧١ وج١٢ ص٣٧٥ وعمدة القاري ج٢٢ ص٢٦٧ و ٢٦٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٩٣ ومسند الحميدي ج١ ص٦١ وج٢ ص٢٨٧ ومسند ابن الجعد ص١٨٣ و ٣٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص١١٧ والأدب المفرد للبخاري ص٢٥٠ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٣٣٢ وج٩ ص٥٠ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٣٤٢ و ٣٤٤ و ٣٤٦ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٤٣ و ١٥٦ و ٢٨١ و ٣٣٤ وج٥ ص١٧٤ والمعجم الصغير ج٢ ص٩ والمعجم الكبير ج٩ ص١٨٦ وج١٠ ص١٤٠ و ١٨٩ وج١٢ ص٢١٤ ومسند الشاميين ج١ ص٤١٢ وشعب الإيمان ج٧ ص٥١٠ والاستذكار ج٨ ص٥٧١ و ٥٧٢ والتمهيد لابن عبد البر ج١٥ ص٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ ورياض الصالحين ص٦٣١ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٢٦ والجامع الصغير ج١ ص١٢٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٩ ص٢٨ و ٤٥ و ٤٦ وج١٦ ص٣٣١ وكشف الخفاء ج١ ص٩٧ وج٢ ص٣٧٠ وتفسير البغوي ج٤ ص٣٠٨ والمحرر الوجيز ج٥ ص٢٧٨ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤٧ وفتح القدير ج٥ ص١٨٨ وأضواء البيان ج٤ ص١٩٣ والتفسير الوسيط للزحيلي ج٣ ص٢٦١٣ والتاريخ الكبير ج٢ ص٣٠٥ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٩٩ وج٤ ص١٤٣ و ٢٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٤ ص١٨٥ وعلل الدارقطني ج٥ ص٦٩ و ٧٠ وتاريخ بغداد ج٨ ص١٥٤ وج١٠ ص١١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٥٥ وج٢٢ ص٣٠١ وسير أعلام النبلاء ج١٤ ص٤٥٣ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٢٠.

وآله» علياً والحسن والحسين «عليه السلام»؟

ونجيب:

أولاً: بأن هذه الروايات نفسها تكفلت بالجواب، لأنها صرحت: أن سبب النهي هو حزن وغمّ يلحق بالشخص الحاضر، المستبعد من المناجاة.

ومن الواضح: أن علياً والحسن والحسين «عليهم السلام» لا يحزنون إذا ناجى النبي «صلى الله عليه وآله» ابنته، وهو أفضل الخلق أجمعين، وهي سيدة نساء العالمين لعلمهم بأنه «صلى الله عليه وآله» محض الخير، والبركة، ولا يفعل شيئاً إلا عن أمر الله، ولا يأمر إلا بما فيه فلاح وصلاح ونجاح، فهذا المورد لا يشمله النهي عن النجوى.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد للناس أن يعرفوا طرفاً من مكانة الزهراء عند الله ورسوله.

ثالثاً: إن ما يريد أن يناجيها به خاص بها، وهي أمور وتكاليف تخصها، ويريد أن يفضي بها إليها.

رابعاً: يريد أيضاً: أن لا يسمع الحسنان «عليهما السلام» مضمون المناجاة، ربما لأنها قد تسبب لهما حزناً وأذى.

وهي أمور ترتبط بما دبَّروه ضد علي وأهل البيت «عليهم السلام» ليواجهوهم به بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويشهد لذلك: أن الرواية ذكرت: أن علياً «عليه السلام» كان عارفاً بمضمون المناجاة، فإنه حين خرج مع ولديه وأقاموا بالباب، وعائشة وسائر

الناس كانوا خلف الباب، قالت له عائشة: لأمر ما أخرجك منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخلا بابنته دونك في هذه الساعة.

فقال لها علي «عليه السلام»: قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنت فيه وأبوك وصاحباه الخ ..

وهذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان بصدد إيكال مهمة لفاطمة ترتبط بما كان بعض الأصحاب قد دبره بليلٍ.. ولا يريد للحسنين «عليهما السلام»: أن يسمعا الكلام، لأنهما يتأذيان به، وربما كان من أسباب ذلك: أن يثير حفيظة بعض الناس، ليفصح عن أمر كان يدبر في الخفاء.

خامساً: إن هذا النص الذي ذكرناه قد يدل على أن من جملة أهداف إحضار علي وولديه: هو أن لا يتمكن أحد، حتى زوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، من اقتحام خلوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع ابنيه..

وربما خشي إن أراد النبي نفسه أن يتولى إبعادهن، من أن يواجهنه بما يسوءه، مما يشبه ما جرى في رزية يوم الخميس، حين أراد أن يكتب كتاباً للأمة لن يضلوا بعده أبداً، فقال بعض هؤلاء: إن الرجل ليهجر.

وقد رأينا: أن علياً والحسنين «عليهم السلام»: بقوا أمام الباب، وعائشة، وسائر الناس كانوا خلف الباب. وهذا يؤكد هذا الاحتمال الذي ذكرناه.

سادساً: إن من جملة فوائد هذه النجوى، التي خص بها النبي الزهراء «عليه وعليها الصلاة والسلام»: أن يربط الناس مضمون هذه النجوى بما سيجري عليها يوم وفاته عند قبره «صلى الله عليه وآله»..

وقد يزيد في اهتمام الناس بالأمر: رؤيتهم النبي يمنع علياً وولديه من

سماع مضمون النجوى، فإن أمراً كهذا لم يحدث قبل ذلك منه «صلى الله عليه وآله»، ولاسيما تجاه هؤلاء الصفوة.

وسوف تشرِّق أذهانهم وتغرِّب في التحليل والتكهن بالأمر الذي يريد «صلى الله عليه وآله» أن يخفيه حتى عن هؤلاء الصفوة الطاهرة، فضلاً عن غيرهم.

يبكيان بأعلى أصواتهما:

تقدم: أن الحسن والحسين «عليهما السلام»: كانا في ليلة وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبلان قدميه، ويبكيان بأعلى أصواتهما.

ونلاحظ هنا:

أولاً: إن هذا البكاء الشديد، والحزن الغامر من طفلين صغيرين في السن لا مجال لاحتمال أي تصنع أو مبالغة أو رياء فيما يفعلانه، كما لا مجال لاحتمال وجود أي غرض شخصي، أو لفوات منفعة لهما، أو خوفاً من خطر داهم ينزل بهما، أو ما إلى ذلك.

فهو حزن صادق، ينم عن ادراك عميق لعظم الفاجعة، وفادح الخسارة النازلة.. لأن الفقيد هو أشرف الكائنات، وأفضل المخلوقات، وهو الهادي والحافظ، والأب الرحيم، وهو مصدر الخيرات، وموضع البركات.

هو بكاء إمامين كشف الله لهم الحجب، وأراهم ملكوت السماوات والأرض، وعرَّفهم أسراره، وسبروا أغواره، وعاينوا تحولاته وأطواره.. فاستحقوا بذلك وسواه من الكمالات والفضائل، وباهر الشمائل: أن يكونوا

الأئمة للخلق، والهداة إلى السداد والرشاد، والخير والحق في العباد.

ثانياً: إن حزن الحسنين هذا إنما ظهر والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يزال على قيد الحياة، فليت شعري إلى أي حد بلغ حزنهما عليه بعد الوفاة؟!

وماذا علينا لو تذكرنا هنا ما جرى بين علي «عليه السلام» وأبي بكر، فقد قال علي لأبي بكر حين توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما لي أراك متحازناً؟!

فقال له علي «عليه السلام»: إنه قد عناني ما لم يعنك ..

ففوجئ أبو بكر بجوابه هذا، واضطر إلى أن يثبت أنه هو الآخر حزين أيضاً(١).

فدلت هذه الرواية على ما يلي:

ألف: إن أبا بكر كان يرى علياً متحازناً لا حزيناً على الحقيقة، مع أن أبا بكر يعلم أن علياً تربى في حجر النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد زوَّجه «صلى الله عليه وآله» ابنته وهي سيدة نساء العالمين، وقد آخاه دون سواه، وكان يراه نفسه، وجعله وصيه والإمام من بعده، وما إلى ذلك.

وقد دافع علي «عليه السلام» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاهد بين يديه، وعرَّض نفسه للسيوف، وملاقات الحتوف، وفداه بنفسه

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣١٢ وكنز العمال ج٧ ص٢٣٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٧ ص١٥٩ وحياة الصحابة ج٢ ص٨٤ ونهاية الإرب ج١٨ ص٣٩٨ و ٣٩٩.

ليلة الغار، وما إلى ذلك، ولم يصدر منه ما يشير إلى خلل في علاقته به، ومحبته له طيلة حياته، ولو بمقدار ذرة.. فكيف عرف أبو بكر أن علياً ليس حزيناً، بل هو متحازن؟!

ب: إن الحزين يكون حزنه في قلبه، وما يظهر عليه من سمات، ويبدو من حالات، إنما هي آثار لذلك الحزن.. وقد يتصنع بعض الناس، فيُظهر الحزن، ويُبطن السرور، أو يُبطن عدم المبالاة.. والفرق بين الحزن والتحازن كالفرق بين البكاء والتباكي.. فالتفريق بين الحزن والتحازن يحتاج إلى إشراف على ما في القلوب، أو إلى وحي إلهي يخبر عن ذلك.. فهل يستطيع أبو بكر أن يدَّعي لنفسه شيئاً من هذا أو ذاك؟!

ج: هل يمكن لأبي بكر أن يدَّعي: أن في الصحابة من هو أشد حزناً على النبي «صلى الله عليه وآله» من علي؟! سواء أكان أبو بكر، أو غيره؟!

د: إن جواب علي لأبي بكر يدل على أن أبا بكر هو الذي لم يكن حزيناً، بل ولا متحازناً، بل هو قال ذلك لعلي «عليه السلام» على قاعدة: رمتني بدائها وانسلت، وسعيه لإثبات حزنه يشهد على أن علياً «عليه السلام» قد أحرجه.. وقديماً قيل: كاد المريب أن يقول: خذوني.

هـ: كما أن قوله «عليه السلام»: «عناني ما لم يعنك» بمثابة الدليل على صحة ما قاله «عليه السلام» عن أبي بكر، فيكون قد رد الدعوى على أبي بكر، ولكن مع دليلها. أي أنه «عليه السلام» قد أثبت على أبي بكر هذا الأمر، مع إلماحة لطيفة إلى الدليل على ذلك، وهو أن فقد علي «عليه السلام» لرسول الله خسارة فادحة له من جميع الجهات، لأنه «عليه السلام» هو المستفيد

من بركات وجوده «صلى الله عليه وآله»، ومن هديه، وعلمه، وأخلاقه، وتوجيهاته، وما إلى ذلك.. وليست خسارة لأبي بكر.. ربما لأنه لم يكن بصدد الحصول على أمثال هذه الأمور، كما يريد علي «عليه السلام» أن يعرِّف الناس به.

و: إن جواب علي «عليه السلام» قد اضطر أبا بكر إلى الوقوع في التناقض، فإن سؤاله لعلي «عليه السلام» يدل على أنه غير مهتم حتى بإظهار الحزن على النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن يحزن على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه يتوسم ذلك في علي أيضاً.. ولكن جواب علي له حمله على أن يصرَّ على ادِّعاء أشد الحزن لنفسه..

وهنا يأتي السؤال الآخر، عن سبب حزن أبي بكر، وعدم حزن علي، ولجوئه إلى التظاهر بالحزن.

شراكة الحسنين عليهما السلام في التغسيل والصلاة:

١ ـ وقد أوصى النبي علياً «عليه السلام»: إذا أراد تغسيله، فقال: «وأحضر معك فاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام»، من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي»[١].

٢ ـ كما أن مما أوصى به النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» فيما يرتبط بالصلاة عليه أنه قال:

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٩٢ و ٤٩٣ وج٧٨ ص٣٠٤ عن الطرائف لابن طاووس ص٤٢ وعن مصباح الأنوار ص٢٧٠ وراجع: الصراط المستقيم ج٢ ص٩٤.

«يا علي، كن أنت وابنتي فاطمة، والحسن والحسين، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف. وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

قال علي «عليه السلام»: بأبي وأمي، من يؤذن غداً؟!

قال: جبرئيل «عليه السلام» يؤذنك.

قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجاً فوجاً، ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك»[1].

وعن سلمان: «..فلما غسله وكفنه، أدخلني، وأدخل أبا ذر، والمقداد، وفاطمة، وحسناً وحسيناً «عليهم السلام»، فتقدم وصففنا خلفه وصلى عليه الخ..»[2].

ونقول:

١ - إن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بإشراك الحسنين «عليهما السلام» في غسله، وفي الصلاة عليه «صلى الله عليه وآله» مع أنهما، لا يزيد عمرهما على ست وسبع سنوات، يدل على أنه «صلى الله

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٩٣ و ٤٩٤ وج٧٨ ص٤٢ و ٤٣ و٤٥ عن الطرائف، وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٥٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩.

(٢) ملاذ الأخيار ج٢ ص٤٧٧ و ٤٧٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩ والاحتجاج للطبرسي ص٨٠ و (ط دار النعمان) ج١ ص١٠٥ و ١٠٦ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٠٦ وج٧٨ ص٣٨٥ والأنوار البهية ص٤٧ وغاية المرام ج٥ ص٣١٥.

عليه وآله» لا يراهما طفلين، كما يحسبه البعض.. ولا يعاملهما معاملة الأطفال. فإذا ضممنا إلى ذلك أنه «صلى الله عليه وآله» لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، عرفنا أنه «صلى الله عليه وآله» قد تلقى الأمر بذلك من الله تبارك وتعالى.

وإذا كان المبرر لهذا الأمر الإلهي: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا إمامين كما نص عليه رسول الله، فإن هذا التوظيف العملي لمقام الإمامة، بممارسة صلاحياتها، والاضطلاع بشؤونها، والتصدي والقيام بمهماتها، يدل على أن إمامتهما ثابتة بالفعل، فلا مجال لدعوى أنه «صلى الله عليه وآله» أخبر عن أنهما سيكونان إمامين في المستقبل، أو أنه أخبر عن أهليتهما لمقام الإمامة.

٢ ـ نضيف إلى ما تقدم: أن اشراك فاطمة «عليها السلام» في الصلاة عليه، وفي حضور غسله «صلى الله عليه وآله»، والذي فيه مزيد تشريف وتكريم لها ولهما، وتنويه بمقامها ومقامهما. وإعلان صريح لعظيم منزلتها ومنزلتهما منه ـ إن ذلك ـ يهدف أيضاً إلى التعريف بأهمية عنصر العصمة والطهارة فيها وفيهما.

ولأجل مقام الإمامة والعصمة الذي أشرنا إليه صلَّى الإمام الجواد «عليه السلام» على أبيه الإمام الرضا «عليه السلام»، وصلى الإمام الهادي «عليه السلام» على الإمام الجواد «عليه السلام»، وصلى الإمام الحجة «عجل الله فرجه» على أبيه.. مع أن الجواد والهادي والحجة «عليهم السلام» كانوا أيضاً صغيري السن آنئذ.

لماذا يأذن جبرئيل بالصلاة؟!:

تقدم: أن جبرئيل هو الذي يؤذن علياً «عليه السلام» (أي يخبره) بحضور وقت الصلاة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجبرئيل إنما يفعل ذلك بأمر من الله تعالى. وربما كان الهدف هو مزيد من التشريف والتكريم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن إذن ولي الميت شرط في الصلاة عليه. والولي لأشرف المخلوقات، وأفضل الكائنات هو الخالق البارئ، والمكوِّن لها تبارك وتعالى. كما أن في هذا مزيد تكريم لعلي «عليه السلام» أيضاً، فإنه هو الذي يخاطبه جبرئيل، ويحمل له التكاليف الإلهية.

النظر إلى عورة الميت:

وتقول الرواية المتقدمة: إنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» أن يحضر فاطمة والحسن والحسين غسله، من غير أن ينظروا إلى عورته.. ونقول:

١ ـ إن علياً «عليه السلام» قد غسل النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في قميصه[١].

٢ ـ ورد في الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لا يحل أن يرى مجرَّدي إلا علي[٢].

---

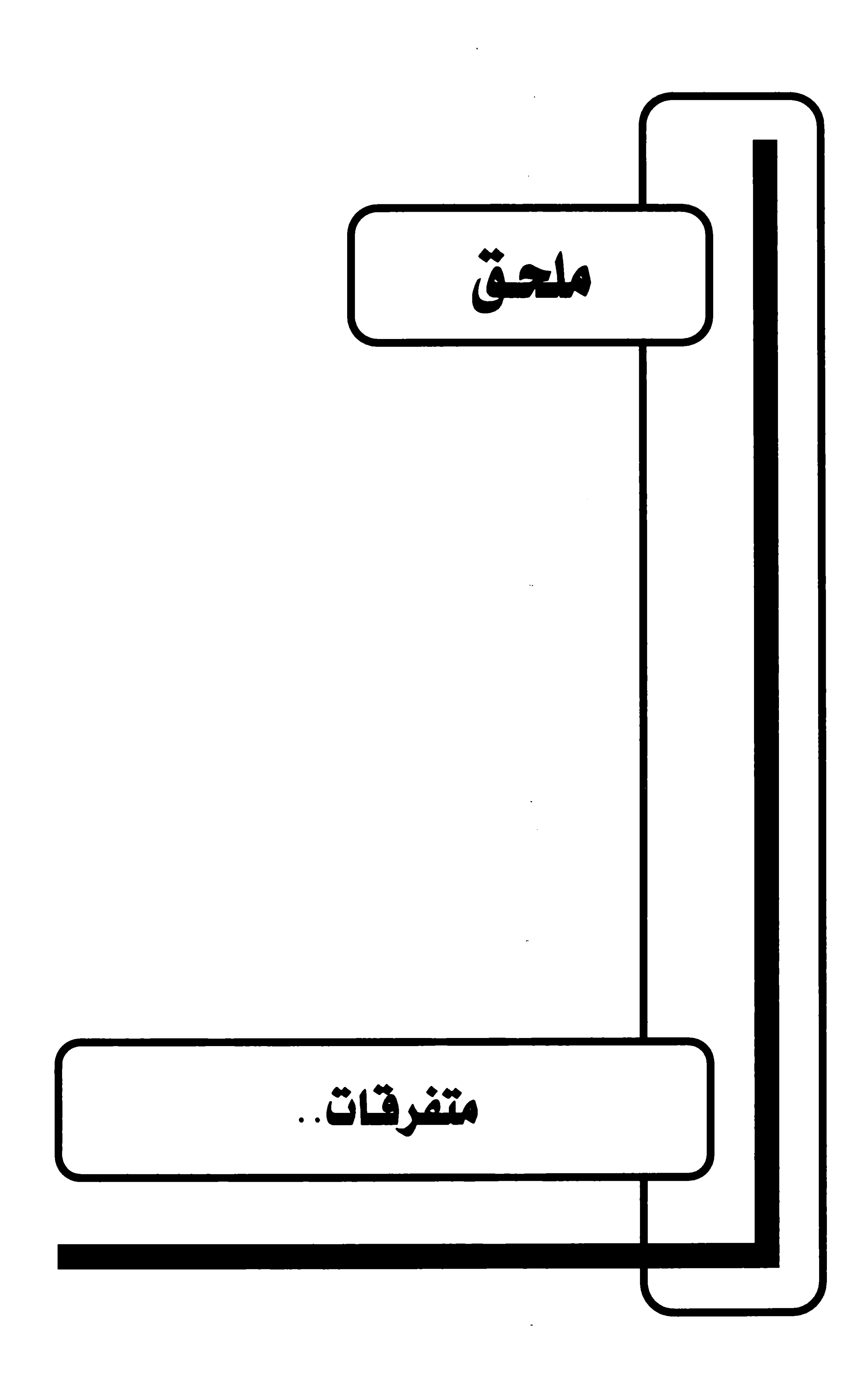
(١) هناك نصوص كثيرة دلت على ذلك، فراجع كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٩ ص٣٨ ـ ٤٢.

(٢) مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٩٤ والعمدة لابن البطريق ص٢٩٦

والمقصود بعورته التي لا يجوز أن يراها غير علي «عليه السلام» هو ما يواريه القميص.. أما العورتان ـ بمعنى القبل والدبر ـ فلا يجوز أن يراهما أحد.

وقد رووا: أن علياً «عليه السلام» قد عصب عيني الفضل بن العباس حتى لا يرى شيئاً مما يواريه القميص، لحرمة رؤية ذلك على سائر الناس كحرمة رؤية العورة نفسها.

وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٣٣ والإيضاح لابن شاذان ص٥٣٤.


ملحق
متفرقات..

الحسن في رواية الجزيرة الخضراء:

هناك رواية تتحدث عن الجزيرة الخضراء، وتدَّعي: أن فيها ذرية للإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه»، وفيها أيضاً:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد حجة الوداع قرأ القرآن من أوله إلى آخره، وكلما مرَّ بموضع فيه اختلاف بيّنه له جبرائيل «عليه السلام»، وعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» يكتب ذلك في درج من أدم، وذلك بحضور جماعة، منهم: الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وحسان بن ثابت..

فالجميع قراءة أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

ونقول:

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢ ص١٥٩ ـ ١٧٤ والنص موجود أيضاً في تبصرة الولي ص٢٤٣ ـ ٢٥١ وثمة مصادر أخرى قد أوردته، ولكنها قد نقلته عمن ذكرنا. ولذا، فلا حاجة إلى ذكرها.

لقد بينَّا في بحث لنا نشر مستقلاً: أن هذا الرواية لا تصح، لكثرة المؤاخذات عليها.. وأن هناك ما يدل على أنه ليس للإمام المهدي «عجل الله فرجه» ذريَّة..

كما أنه لم يكن قد ظهر أي اختلاف في القرآن لكي يبينه جبرئيل.

كما أن النبي نفسه لا يحتاج إلى جبرئيل ليعرِّفه موارد الاختلاف في جلسات متتالية، وأمام جمع من الناس.

ولماذا لم تذكر الرواية علياً «عليه السلام»، وذكرت ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام»؟! هل لأنهم يريدون أن يكون جاهلاً بموارد الاختلاف ليكون جهله هذا هو سبب ما وقع في الأمم من خلاف؟!

وأما سائر المآخذ، فمن أراد الاطلاع عليها، فليراجع كتابنا: الجزيرة الخضراء.

مقتل رجل في التاسع من ربيع الأول:

في بعض الروايات: أن حذيفة بن اليمان دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم التاسع من ربيع الأول، وعنده علي والحسنان «عليهم السلام»، وهم يأكلون مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو يخبرهم بمقتل رجل في هذا اليوم تصدر منه أمور هائلة، تجاه أهل البيت «عليهم السلام»[1].

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣١ ص١٢٠ ـ ١٣٢ وج٢٠ ص٣٣٢ وج٩٥ ص٣٥١ ـ ٣٥٥ وهوامش البحار، عن كتاب زوائد الفوائد، وعن دلائل الإمامة، وعن مصباح الأنوار للشيخ هاشم بن محمد، وعن الأنوار النعمانية، وراجع: مستدرك

ونقول:

١ ـ هناك من يريد أن يقول: إن المقصود بالرجل الذي يقتل يوم ٩ ربيع الأول هو عمر بن الخطاب، وأن الأمور الهائلة التي صدرت منه هي ضرب الزهراء، وإسقاط جنينها، وغصب فدك، ومحاولة احراق بيتها بما فيه، وغير ذلك..

غير أننا نقول:

إننا نجد في مقابل ذلك: أن الكثيرين يقولون: إن عمر قتل في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة[1].

وأين هذا من شهر ربيع الأول؟!

الوسائل ج١ ص١٥٥ عن الشيخ المفيد، والعقد النضيد والدر الفريد ص٦٠ ـ ٦٤ والمحتضر ص٩٣ ـ ١٠١.

(١) راجع: الإستيعاب ج٣ ص١١٥٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص٤٣٩ والوافي بالوفيات ج٢٢ ص٣٠٤ والبداية والنهاية ج٧ ص١٥٥ وبحار الأنوار ج٣١ ص١١٣ و ١١٥ و ١١٨ و ١١٩ وج٥٥ ص٣٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٦٥ ومسار الشيعة ص٤٢ والعدد القوية ص٣٢٨ و ٣٢٩ والمصباح للكفعمي (ط مؤسسة الأعلمي سنة ١٤١٤ هـ) ص٦٧٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٦٦ والمعجم الكبير للطبراني ج١ ص٧٠ وفتح الباري ج٩ ص١٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٠٩ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤ ص٤٦٣ و ٤٦٦ والكنى والألقاب ج٣ ص١٦٧ ومصادر ذلك كثيرة جداً.

بل ادُّعي الإجماع على قتله في ذي الحجة[1].

فلا مجال للخروج من هذا الإجماع إلا بدليل.

وقد ذكرنا بعض ما قد يقال: إنه صالح للدليلية في الجزء الرابع والعشرين من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام «عليه السلام». ولولا أن ذكره سيكون استطراداً طويلاً ومملاً لكنا أزعجنا به القارئ الكريم..

٢ ـ يلاحظ: أن رواية حذيفة تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» كان حتى على مائدة الطعام يغذو علياً وولديه بمعارف وأخبار حساسة عن المستقل.. وبعضها يلامس مشاعرهم، وعواطفهم، وله مساس بالكيان، وبالكبرياء والعنفوان..

وهي أخبار مثيرة ومحزنة.. فلماذا تذكر بحضور الحسن والحسين «عليهما السلام»؟! فلو لم يكونا ـ على صغر سنهما ـ في مستوى الحدث، وبإمكانهما تحمُّل هذه الأخبار الخطيرة والمثيرة لكان «صلى الله عليه وآله» حدثهما بغير هذه الأمور، فيختار لهما ما فيه راحة وبهجة، ويمنحهما طمأنينة وسكينة.

ولكن واقع الأمر: أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يغذوهما بعلم الإمامة.. ولاسيما بما هو غائب آت، لكي لا يتفاجآ به، بل يكونان مستعدين له بالفكر والوعي، والشجاعة، والصبر، والتحمل، والثبات.. لا بردات الفعل العاطفية، ولا بالانهزام والإحباط، ولا بالحيرة، والضياع.

---

(١) راجع: المصباح للكفعمي (ط مؤسسة الأعلمي سنة ١٤١٤ هـ) ص٦٧٧ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٣٧٢ وج٣١ ص١١٩.

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لا يدع فرصة تمر بدون أن تكون مشحونة بالفوائد، والعوائد، حتى على مائدة الطعام، لأن لذة العلم والمعرفة والفكر، والتدبير، والعمل في سبيل الهدف لا تتأثر بلذة الطعام.. بل هي تهيمن عليها، إن لم نقل: إنها تغني عنها، ولا يبقى هناك شعور بالحاجة إليها، لأن لذائد الجسد تتهاوى وتتضاءل أمام لذة الروح والعقل.

٤ ـ إن الاطِّلاع على الغائبات هو أحد أهم وسائل اثبات الإمامة، لأنها من مفردات العلم الخاص العاضد، والشاهد على صحة النص على الإمام.. والدليل على اختيار الله واصطفائه له، كما أشرنا إليه أكثر من مرة.

الفهرس